١٥٠ قصة

من قصص الصالحات

إعداد

أبو مالك محمد بن حامد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران/١٠٢

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء/١ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب/٧٠ - ٧١ .

ثم أما بعد...

فلقد طلّ علينا في هذه الأوقات رؤوس جُهّال تطاولت على شريعة الإسلام ، ونالت من ثوابته ، تعمل ليل نهار على نسف قواعده وأُسه ، وارتفعت الصيحات هنا وهناك مطالبين بإعطاء المرأة حقوقها التي سلبها الإسلام منها - هكذا يدّعون - ؛ فبئست الدعوة تلك ، وبئس الداعي من رفع لوائها ، قاسمهم الأمين - ووالله

ما هو بقاسم ولا بأمين – فأي حقوق سُلبتْ منها ؟! وهي العزيزة ، المكرمة ، أمًا وبنتًا وأختًا .

من هنا نقدم هذه الصفحات المشرقة من حياة نساءٍ رائداتٍ ، سطّر التاريخ أعمالهم على مرّ الزمن ، وبُعد الشُقة بينهن ، حفرت بأعمالها وأخذت مكانها في التاريخ وخلد ذكرها بتلك الأعمال الرائدة ، التي يعجز عن تحقيقها بعض رجالات هذا الزمان .

فجاء هذا الكتاب (١٥٠ قصة من قصص الصالحات) لَبِنة في تعزيز مكانة المرأة ، وبيان سموها ، وعلو كعبها ، نستقرأ به أعمالهن وفضلهن، وما نالت ذلك إلا بالتمسك بشرائع الدين الحنيف .

هذا وقد جاء الكتاب على النحو الذي بين يديك غير معتبر بترتيب تاريخي ولا بفترة زمنية محددة ، إذ القصد منه ليس التأريخ، بل العبرة والعظة وشئ من أخبارهن .

والله الموفق

-١-

آمنة ابنة وهب

بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أم النبي صلى الله عليه وسلم.

أعطاها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى به حكيمة قومها، وكانت من الفصاحة والحكمة والبلاغة على جانب عظيم لم يسبقها إليه أحد من نساء العرب، توفيت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بست سنوات، ودفنت بالأبواء.

قال ياقوت في "معجمه": "والسبب في دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرا، فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة تخرج إلى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنوات خرجت زائرة لقبره، ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها.

ويقال: إن أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة، وحمل معه آمنة (أم رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فلما رجع منصرفا إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء) .

وقيل: دفنت بدار رائعة وهو موضع مكة.

وقيل: بمكة في شعب أبي دب، وكانت من شاعرات العرب المجيدات.

ومن شعرها قولها وهي في نزع الموت وكانت نظرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يلعب بجانبها فتأسفت على تركه صغيرها وأنه سينشأ يتيما من الأب والأم، ولكن تأست بما يناله من الفخر والمجد في قومه وفي العالم بأسره مما رأته منه في حال صغره وهذا ما قالته:

بَارَكَ فِيكَ اللَّهُ مِنْ غُلَامٍ ... يَا ابْنَ الَّذِي مِنْ حَوْمَةِ الْحِمَامِ
نَجَا بِعَوْنِ الْمَلِكِ الْمِنْعَامِ ... فَوَدَى غَدَاةَ الضَّرْبِ بِالسِّهَامِ
بِمِائَةٍ مِنْ إِبِلٍ سِوَامِ ... إِنْ صَحَّ مَا أَبْصَرْتُ فِي الْمَنَامِ
فَأَنْتِ مَبْعُوثٌ إِلَى الْأَنَامِ ... مِنْ عِنْدِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
تُبْعَثُ فِي الْحَلِّ وَفِي الْإِحْرَامِ ... تُبْعَثُ بِالتَّحْقِيقِ وَالْإِسْلَامِ
دِينِ أَبِيكَ الْبَرِّ إِبْرَاهَامِ ... فَاللَّهُ أَنْهَاكَ عَنِ الْأَصْنَامِ

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق. وسلمت روحها.

وقيل: إن بعضهم رثاها بهذه الأبيات:

نَبْكِي الْفَتَاةَ الْبَرَّةَ الْأَمِينَهْ ... ذَاتَ الْجَمَالِ الْعَفَّةَ الرَّزِينَهْ
زَوْجَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَرِينَهْ ... أُمَّ نَبِيِّ اللَّهِ ذِي السَّكِينَهْ
وَصَاحِبِ الْمِنْبَرِ بِالْمَدِينَهْ ... صَارَتْ لَدَى حُفْرَتِهَا رَهِينَهْ (١)

---

(١) مصادر القصة : الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري ٢٤/١ ط مؤسسة سجل العرب ، الطبقات الكبرى ٤٥/١، ٤٦. وأسد الغابة ٢٣/١، ٢٤. وسير أعلام النبلاء ١٨/١-٢٢. والاستيعاب ١٣٤/١. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص١٦ ط المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

-٢-

آمنة الرملية رضي الله عنها

كانت من أهل القرن الثالث للهجرة، وكانت من الزاهدات العابدات المنقطعات للتبتل، وكان أكثر زهاد زمانها يترددون عليها، ويتبركون بها، وكان بشير بن الحارث -رضي الله عنه- يزورها. ومرض بشير مرة فعادته آمنة من الرملة فبينما هي عنده إذ دخل الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - يعوده كذلك فنظر إلى آمنة فقال لبشير: من هذه فقال له بشير: هذه آمنة الرملية بلغها مرضي فجاءت من الرملة تعودني فقال أحمد لبشير: فاسألها أن تدعو لنا فقال لها بشير: ادعي الله لنا. فقالت: اللهم إن بشير بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين. قال الإمام أحمد: فلما كان من الليل رأيت فيما يرى النائم أن طرحت لي رقعة من الهواء مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ذلك ولدينا مزيد رضي الله عنهم.(١)

---

(١) مصادر القصة : صفة الصفوة ٤٣٤/٢ ط دار الحديث، القاهرة، مصر . الطبقات الكبرى للشعراني ٥٧/١ ط مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر. تاريخ دمشق ٣٤٠/٥ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص١٧ .

-٣-

أروى ابنة عبد المطلب

أروى ابنة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكرها أبو جعفر في الصحابة وذكر أيضا أختها عاتكة ابنة عبد المطلب قال محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي لما أسلم طليب بن عمير دخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال لها: قد أسلمت وتبعت محمدا أو تتبعينه فقد أسلم أخوك حمزة. قالت: انظر ما تصنع إخوتي ثم أكون مثلهن.

قال: فقلت: إني أسألك بالله ألا أتيته وسلمت عليه وصدقته، وشهدت أن لا إله إلا الله. فقالت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم كانت بعد تعد النبي لصلى الله عليه وسلم وتتبعينه بلسانها وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره وكانت من الشاعرات الأديبات والمتكلمات في العرب.

ومن قولها ترثي والدها عبد المطلب مع باقي أخواتها حين طلب منهن ذلك قبل موته ليعلم قوتهن في الرثاء:

بَكَتْ عَيْنَيَّ وَحُقَّ لَهَا الْبُكَاءُ ... عَلَى سَمْحٍ سَجِيَّتُهُ الْحَيَاءُ (١)
عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِيٍّ ... كَرِيمِ الْخِيمِ نِيَّتُهُ الْعَلَاءُ (٢)
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي ... أَبِيكِ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ (٣)

---

(١) السجية: الطبيعة.

(٢) أَي من قُرَيْش البطاح: وهم الَّذين يترلون بَين أخشبى مَكَّة.

طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ شَيْظَمِيٌّ ... أَغَرَّ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ (١)
أَقَبِّ الْكَشْحِ أَرُوعَ ذِي فُضُولٍ ... لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ (٢)
أَبِيِّ الضَّيْمِ أَبْلَجَ هِبْرَزِيٌّ ... قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ لَهُ خَفَا
وَمَعْقِلِ مَالِكٍ وَرَبِيعِ فِهْرٍ ... وَفَاصِلِهَا (٣) إِذَا اُلْتُمِسَ الْقَضَاءُ
وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَمًا وَجُودًا ... وَبَأْسًا حَيْنَ تَنْسَكِبُ الدِّمَاءُ
إِذَا هَابَ الْكُمَاةُ الْمَوْتَ حَتَّى ... كَأَنَّ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ (٤)
مَضَى قُدُمًا بِذِي رُبَدٍ خَشِيبٍ (٥) ... عَلَيْهِ حَيْنَ تُبْصِرُهُ الْبَهَاءُ (٦)

وقد أسنت وماتت في خلافة عمر بن الخطاب ودفنت بما يليق بها من الإكرام.(٧)

---

(٣) الكفاء: الْمثل.

(١) الشيظمى: الْمَقُول الفصيح.

(٢) الأقب: الضامر الْبَطن. والكشح: الخصر. والأروع: الّذي يُعْجِبك بحسنة، ومنظره وشجاعته.

(٣) الفاصل: الّذي يفصل فِي الْخُصُومَات. وَفِي سَائِر الْأُصُول: «وفاضلها» بالضاد الْمُعْجَمَة، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ أولى للسياق.

(٤) الكماة: الشجعان، واحدهم: كمي.

(٥) الربد (كصرد) الفرند. والخشيب: الصَّقِيل.

(٦) ويروى: «الهباء» . يُرِيد بِهِ مَا يظْهر على السَّيْف المجوهر تَشْبِيها بالغبار.

-٤-

أروى ابنة الحارث بن عبد المطلب بن هاشم

كانت فريدة زمانها وبليغة عصرها وأوانها إذا خطبت أعجزت، وإن تكلمت أوجزت، ولا غرو ابنة البلاغة ومعدن الفصاحة والحصافة.

قيل: إنها وفدت على معاوية بن أبي سفيان لما ولي الخلافة وكانت عجوزا كبيرة فلما رآها معاوية قال: مرحبا بك وأهلا يا خالة فكيف كنت بعدنا فقالت: يا ابن أخي، لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتعس الله منكم الجدود، وأضرع منكم الخدود، ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسولا لله ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار، فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة وأقصري عن قولك مع ذهاب عقلك إذ لا تجوز شهادتك وحدك.

---

(٧) مصادر القصة : الروض الأنف ١٢٦/٢ ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري ١٧١/١ ط : دار صادر – بيروت. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى : محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري ٢٥١/١ ط : مكتبة القدسي

فقالت له: وأنت يا ابن الباغية، تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة بغي بمكة وآخذهن للأجرة ادعاك خمسة نفر من قريش فسئلت أمك عنهم فقالت: كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به. فقال مروان: كفى أيتها العجوز وأقصري لما جئت له. فقالت له: وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم، ثم التفتت إلى معاوية فقالت: والله ما جرأ علي هؤلاء غيرك فإن أمك القائلة في قتل حمزة:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ ... وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ ... وَلَا أَخِي وَعَمِّهِ وَبَكْرِ
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي ... شَفَيْتَ وَحْشِيُّ غَلِيلَ صَدْرِي
فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْرِي ... حَتَّى تُضَمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي

فقال معاوية: عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك. فقالت: ما لي إليك حاجة، وخرجت عنه. وبعد خروجها التفت معاوية إلى أصحابه وقال لهم: والله لئن كلمها كل من في مجلسي لأجابت كل واحد منهم بجواب خلاف الآخر بدون توقف.

وهكذا فإن نساء بني هاشم أصعب في الكلام من رجال غيرهن وأمر لها بجائزة تليق بمقامها، وبقيت مكرمة بين قومها إلى أن توفيت بالمدينة بخلافة معاوية.(١)

---

(١) مصادر القصة : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد ١٣٩/١١ ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان ص٤٧ .ط : مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان. الإصابة في تمييز الصحابة ٧/٨ ط دار الكتب العلمية – بيروت. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ٣٨١/٢ ط المكتبة العلمية بيروت-لبنان .

ـ٥ـ
أسماء ابنة أبي بكر الصديق

هي أسماء ابنة أبي بكر الصديق، وأمها قتيلة بنت عبد العزى وهي أخت عائشة لأبيها تسمى ذات النطاقين لأنها صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاماً لما هاجر فلم تجد ما تشده به فشقت نطاقها، وشدت به الطعام فدعيت ذات النطاقين. تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عبد الله وعدة أبناء، وكان عبد الله أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة، ثم طلقها الزبير فكانت مع عبد الله ابنها بمكة المشرفة حتى قتل ابنها فبلغت من العمر مائة سنة حتى عميت، وماتت بمكة سنة ٧٣ هجرية و ٦٩٢ ميلادية.

ولها شعر قليل في رثاء زوجها وابنها ومن كلامها لابنها عبد الله حين قاتل الحجاج إذ دخل عليها وقال لها: يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، ولم يبق معي إلا اليسير، ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أدرت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق، وإليه تعود فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن معك،

وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي، ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، و لم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن.

فقال: يا أماه، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني قالت: يا بني إن الشاة لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك، واستعن بالله.

فقبل رأسها وقال: هذا رأيي والذي خرجت به رائيا إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله وأن تستحل حرماته ولكني أحببت أن أعلم رأيك، فقد زدتني بصيرة فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الأمر إلى الله فإن ابنك لم يعهد بإيثار منكر ولا عمد بفاحشة، و لم يجز في حكم الله، و لم يغدر في أمان، و لم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد، و لم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به، بل أنكرته، و لم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسي، ولكني أقوله تعزية لأمي حتى تسلو عني.

فقالت أمه: لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلا إن تقدمتني احتسبتك وإن ظفرت سررت بظفرك أخرج حتى أنظر إلام يصير أمرك فقال: جزاك الله خيرا فلا تدعي الدعاء. قالت: لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة، وبره بأبيه وبي اللهم قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين، فتناول يدها ليقبلها فقالت: هذا وداع فلا تبعد فقال لها: جئت مودعا لأني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا.

قالت: امض على بصيرتك وادن مني حتى أودعك، فدنا منها فعانقته وقبلته فوقعت يدها على الدرع فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد؟ فقال: ما لبسته إلا لأشد متنك. قالت: إنه لا يشد متني، فنزعها ثم درج لمته وشد أسفل قميصه

وجبته تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه تقول له: البس ثيابك مشمرة، فخرج وهو يقول مرتجزا:

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرْ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمَهُ الْحُرُّ

إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرْ

فسمعته فقالت: تصبر إن شاءا لله أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية ابنة عبد المطلب، ثم حمل على القوم وقاتل حتى قتل وصلب وطلبته أمه من الحجاج فأبى عليها إعطاءه، فكتبت لعبد الملك، فسمح لها بذلك فغسلته ودفنته، وبقيت بعده قليلا وماتت بعدما أضرت وذلك في سنة ٧٣ هجرية.

ومن قولها في زوجها الزبير بن العوام حين قتله عمرو بن جرموز المجاشعي وهو منصرف من وقعة الجمل بوادي السباع.

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسِ بُهْمَةٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدِ (١)

يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لَا طَائِشًا رَعِشَ الْجَنَانِ

وَلَا الْيَدِ كَمْ غَمْرَةٍ قَدْ خَاضَهَا لَمْ يَثْنِهِ عَنْهَا طراد يَا ابْنَ فَقْعِ الْقَرْدَدِ (٢)

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ إِنْ ظَفرت بِمثلِهِ فِيمَن مضى فِيمَن يَرَوْحُ وَيَغْتَدِي

وَاللَّهِ رَبِّكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ(٣)

---

(١) البهمة: الْجَيْش، وَأَيْضًا: الشجاع الذى لَا يهتدى من أَيْن يُؤْتى. والمعرد: الهارب.

(٢) الفقع: الْبَيْضَاء الرخوة من الكمأة، والقردد: الْجَبَل. وَيُقَال للذليل: هُوَ أذلّ من فقع بقرقرة. لأنه لَا يمْتَنع على من جناه، أَو لأنه يُوطأ بالأرجل.

(٣) مصادر القصة : البداية والنهاية ٣٦٨/٥ ط دار إحياء التراث العربي. ب: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ترجمة رقم (٦) .

-٦-

أسماء ابنة سلمة

أسماء ابنة سلمة وقيل: سلام بن مخرمة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم التميمية الدارمية وهي أم الجلاس، قاله أبو عمر. وقال ابن منده وأبو نعيم: أسماء ابنة محزبة التميمية، وهي أم الجلاس، وأم عياش وعبد الله بن ربيعة.

روى عنها عبد الله بن عياش والربيع بن معوز وذكر ابن منده وأبو نعيم حديث عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم بعض بيوت أبي ربيعة إما لعيادة مريض أو لغير ذلك فقالت له أسماء التميمية – وكانت تكنى أم الجلاس وهي أم عياش بن أبي ربيعة –: يا رسول الله ألا توصيني؟ قال: "ائتي إلى أختك بما تحبين أن تأتي إليك" ثم أتى بصبي من ولد عياش به مرض فجعل يرقي الصبي ويتفل عليه، وجعل الصبي يتفل على النبي صلى الله عليه وسلم، وجعل بعض أهل البيت ينهى الصبي وقال أبو عمر – ذكر نسبها كما تقدم – وقال: "كانت من المهاجرات هاجرت مع زوجها عياش بن أبي ربيعة إلى أرض الحبشة وولدت له بها عبد الله بن عياش ثم هاجرت إلى المدينة وتكنى أم

الجلاس روت عن النبي صلى الله عليه وسلم. وروى عنها عبد الله بن عياش وجملة من التابعين وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب".(١)

-٧-

أسماء ابنة عميس

أسماء ابنة عميس بن معبد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أقبل وهو خثعم، وأمها هند ابنة عوف بن زهير بن الحارث الكنانية أسلمت أسماء قديما وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له بالحبشة عبد الله وعونا ومحمدا، ثم هاجرت إلى المدينة، فلما قتل عنها جعفر بن أبي طالب تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر ثم مات عنها، فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى لا خلاف في ذلك.

تباشير المجدّ تعانق سقف السماء حاملة عبير الفرح.. والقلوب المؤمنة تمتطي خيول العزّ مرتلة ومكبرة تغمرها نشوة النصر المبين... وخيبر تحطم أسوارها وأبراجها المنيعة بأيدي يهودها الخونة..

الذين ما فتئوا يحيكون المؤامرات ضد الإسلام وأهله.. فكان يوم خيبر إيذاناً بزوال قومهم وإمعانا في تأديبهم على يد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأصدقهم

---

(١) مصادر القصة : (الإصابة) : ٧/ ٤٨٤- ٤٨٥، ترجمة رقم (١٠٧٩٥) ، (الاستيعاب) : ٤/ ١٧٨٣، ترجمة رقم (٣٢٢٧) . ابن سعد، طبقات "١/ ٢٠٨ وما بعدها".

وعده ومنحهم عزه ونصره... ليعود الجمع إلى طيبة الطيبة وقد امتلأت القلوب فرحاً ، واستشعرت النفوس أمناً بقوة الإسلام..وإذا بنبي الله صلى الله عليه وسلم يلاقي جعفر وزوجته أسماء بنت عُميس ومن معهم من مهاجري الحبشة الذين طالما ذاقوا نار الغربة وفراق الأحبة.. لا يروي ظمأهم إلا ما أنعم الله عليهم من إسلام النجاشي وبعض أهل الحبشة الطيبين...

فكانت فرحة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فرحتين أولهما بالنصر على يهود خيبر وثانيهما بعودة جعفر ...لينعم المسلمون بعودة الغائبين واجتماع شمل الأحبة بعد فراق دام أكثر من عشر سنوات ...

كانت أسماء بنت عُميس زوجة جعفر بن أبي طالب قد أسلمت قبل دخول النبي عليه الصلاة والسلام إلى دار الأرقم ... فقدمت نموذجا للمرأة المؤمنة المهاجرة الصابرة على بعد الأحبة رغبةً في مرضاة الله ورسوله... ولكنها بعد عودتها من الحبشة رغبت في زيارة حجرات أمهات المؤمنين لتنهل من معين النبوة باشتياق الظمآن إلى الماء العذب...

فحدث أن زارت أسماء دار أم المؤمنين حفصة بنت عمر ..... فلقيها عمر بن الخطاب هناك ...

فقال لها مداعبا..آلحبشية هذه ..آلبحرية هذه !!!!

فردت أسماء : نعم...

فقال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم... لتسقط كلماته على نفسها سقوط السهم على قلب أغض.. وهي تعلم ما لقيه المهاجرون في الحبشة من صعوبات وغربة وحنين للوطن وألم وخوف لم يعلم به غير الله سبحانه وتعالى... حتى أن كُتب التاريخ لم توله اهتماما بالغا كما أولت حال المسلمين في مكة والمدينة...

لم تطق أسماء بنت عُميس أن يُظن في مهاجري الحبشة أنهم أقل حقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم وهي تسمع هذه الكلمات من الفاروق عمر صاحب الحق وعدو الباطل دون سواه ... فغضبت لا تبالي بعمر ولا بسواه .. جاعلةً سنوات الغربة منظاراً أمام عينيها وأيام الفراق تسكن آهات قلبها بكل ما حملت من غضاضة وزفرات ....

فردت عليه وقد تملكها الغضب : كلا والله ...كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنّا في دار البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسول الله وأيمُ الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ... لتصمت الكلمات في جوف عمر وهو يرى صوت الحق يعلو في حروف أسماء مستعراً دفاعا عن سنوات الغربة بالحبشة ...

فلما جاء النبي عليه السلام قالت له : يا نبي الله إنّ عمر قال كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فما قلتِ ؟ ..قالت : قلت كذا وكذا ..قال : (ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم ــ أهل السفينة ــ هجرتان).. فعمت الفرحة قلوب العائدين من الحبشة بكلمات النبي عليه السلام وتهافتوا على دار أسماء بنت عُميس يسمعون منها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ...ودفاعها الصادق عن حقهم في وجه عمر .... ليسطّر التاريخ عن أسماء بنت عميس قولاً أصابت فيه المرأة وأخطأ عمر ..[من حديث البخاري رحمه الله تعالى].

وبعد شهور من عودة مهاجري الحبشة ينطلق جيش المسلمين ليؤدب الغساسنة الذين لم يراعوا حرمة سفراء النبي عليه السلام... فكانت غزوة الأمراء في مؤتة ضد جحافل الروم وأعوانهم من الغساسنة.... ليستشهد جعفر بن أبي طالب زوج أسماء بنت عميس... وبعد انقضاء العدة تزوجت أسماء بنت عُميس من أبي بكر الصديق

الذي عرف لها قدرها وقوة إيمانها فأكرمها أيما إكرام ..فأنجبت له محمد بن أبي بكر.. ثم مات عنها الصديق رضي الله عنه.. فتزوجت من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه... فكان أن احتضن عليٌ في داره أبناء أسماء من جعفر وابنها من أبي بكر ..... و يروى ذات مرة أن سمع علي حواراً حاداً بين محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر ...كل منهما يقول لصاحبه: أنا أكرم منك وأبي خيرٌ من أبيك!!!

فطلب منها علي بن أبي طالب أن تحكم بينهما...فقالت لهما: ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر وما رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر .... فقال لها علي بن أبي طالب : وماذا تركت لنا يا أسماء ؟!....لترد عليه بثبات المرأة حين يهبها الله قدرة الحديث وحسن الرد على الزوج (ثلاثة أنت شِرّهم لأخيار) وتقصد أي أمرحهم وأسعدهم لأهل بيته...

كانت أسماء من الصحابيات الراويات لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قيل : إنها جمعت صحيفة بها ستين حديثاً من أقوال رسول الله عليه السلام ، ويقول الدار قطني : إن مسلماً قد انفرد بالإخراج لها..

هكذا كانت أسماء بنت عميس الصحابية العابدة العالمة... والمرأة القوية في الحق التي أسكتت عمر ...والزوجة الصالحة التي عرفت حق جعفر وفضل أبي بكر وعظمة زوجها الثالث علي بن أبي طالب.. فحُق لها أن تكون محبوبة من أزواجها جميعا.. وحريٌ بنا أن نتعلم منها حسن الخطاب والمعاشرة وقوة الدفاع حين يستدعي الموقف رأي المرأة التي تصيب حين يخطئ الرجال.. رضي الله عن أسماء وأزواجها جميعا وأرضاهم...(١)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٨٣) ، طبقات ابن سعد (٨/٢٨١) ،

-٨-

أسماء ابنة النعمان بن شراحيل

وقيل: أسماء ابنة النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن النعمان قال أبو عمر. وقال ابن الكلبي: أسماء بنت النعمان بن الحارث بن شراحيل بن كندي بن الجون بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر الكندية، تزوجها رسول لله صلى عليه وسلم فاستعاذت منه ففارقها.

وقال يونس عن أبي إسحاق: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أسماء ابنة كعب الجونية فمل يدخل بها حتى طلقها. قال أبو عمر: أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها، واختلفوا في سبب فراقه لها، فقال قتادة: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل اليمن أسماء بنت النعمان بن الجون فلما دخل عليها دعاها فقالت له: تعال أنت فطلقها، قال: وزعم بعضهم أنها قالت: أعوذ بالله منك، قال: قد عذت بمعاذ وقد أعاذك الله مني فطلقها.

وقيل: إنما التي قالت له كانت امرأة من بلعنبر من سبي ذات الشقوق، كانت جميلة فخاف نساؤه أن تغلبهن على النبي صلى الله عليه وسلم فقلن لها إنه يعجبه أن يقال: نعوذ بالله منك وذكر نحو ما تقدم في فراقها قال: وقال أبو عبيدة: كلتاهما عاذتا بالله منه.

وقال عبد الله بن محمد عقيل: ونكح رسولا لله صلى الله عليه وسلم امرأة من كندة وهي الشقية، فسألت رسولا لله صلى الله عليه وسلم أن يردها إلى أهلها ففعل وردها مع أبي أسيد الساعدي وكانت تقول عن نفسها الشقية. وقيل: إن التي قال لها نساء النبي صلى الله عليه وسلم: لتتعوذ بالله منه هيا لكندية ففارقها فتزوجها المهاجر بن أبي أمية المخزومي، ثم خلف عليه قيس بن مكشوح المرادي قال: وقال آخرون: إن التي تعوذت بالله منه امرأة من سبي بلعنبر وذكر في قول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لها نحو ما تقدم قال: وقال آخرون: وكان بها وضح كالعامرية ففارقها. وقيل: إنه قال لها (هبي لي نفسك) ، قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة، فأهوى بيده إليها فاستعاذت منه ففارقها.

قال أبو عمر: الاختلاف في الكندية كثير جدا منهم من يسميها: أسماء، ومنهم من يسميها: أميمة. واختلفوا في سبب فراقها على ما ذكرناه. والاختلاف فيها وفي صواحباتها اللواتي لم يجتمع بهن عظيم.(١)

---

(١) مصادر القصة :إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ٩٩/٦ ط : دار الكتب العلمية – بيروت . السيرة الحلبية ٤٥٤/٣ ط دار الكتب العلمية – بيروت . السيرة النبوية لابن هشام ٦٤٧/٢ ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

-٩-

أسماء ابنة يزيد الأنصارية

من بني عبد الأشهل هي رسول النساء إلى النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها مسلم بن عبيد أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقتضى شهواتكم، وحاملات أولادكم وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيلا لله عز وجل وإن أحدكم إذ خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الجر والخير؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: " هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ " فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال: " أفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته وإتباعها موافقته يعدل ذلك كله" فانصرفت وهي تهلل حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب وعرضت عليهن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن

وآمن جميعهن. وسميت المترجمة: "رسول نساء العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم".(١)

-١٠-

آسية ابنة مزاحم امرأة فرعون

كانت من خيار النساء المعدودات، تزوجت بفرعون موسى ملك مصر و لم تلد منه مدة حياتها معه وكان يحبها مستهاما ولكلامها مطيعا.

وكان فرعون رأى مناما قد هاله، فأحضر الكهنة والمفسرين من أرباب دولته، وقص عليهم رؤياه فحذروه من مولود يولد في ذلك العام ويكون هو سببا لخراب ملكه، فأمر فرعون بقتل كلا غلام يولد في ذاك العام من بني إسرائيل، وكان في دار فرعون بستان فيه نهر كبير فخرجت الجواري إليه ذات يوم

ليغتسلن فيه فوجدن تابوتا فأخذنه وظنن أن فيه مالا، فحملنه على حالته حتى أدخلنه إلى آسية، فلما فتحته رأت فيه غلاما فألقى الله عليها محبة منه، فرحمته آسية وأحبته حبا شديدا، فلما بلغ الذباحين أن في دار الملك غلاما استأذنوه بأن يدخلوا داره ويذبحوا الغلام تنفيذا لأمره، فأذن لهم بذلك، فأقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الغلام، فقالت آسية للذباحين: انصرفوا فإن هذا ليس من بني إسرائيل فإن أتى فرعون استوهبته منه، فإن وهبه لي كنتم أحسنتم وإن أمركم بذبحه فلا مانع من ذلك، ثم إنها أتت به إلى فرعون وقالت له: ليس لي ولا لك ولد فلا تقتلوا هذا

---

(١) مصادر القصة : المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ٣٦/٢ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٦/٧ ط : دار الكتب العلمية .

عسى أن ينفعنا، فسمح به إليها أن تربيه، فلما آمنت آسية عليه سمته موسى وأحضرت المراضع فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية عليه أن يمنع من اللبن فيموت فأمرت بإخراجه إلى السوق ترجو أن يصيب امرأة يرضعوه من ثديها إلى أن أتت أمه وأعطته ثديها فرضع منها، فانطلق البشير إلى آسية يبشرها بأنه وجد لابنها امرأة مرضعة فأمرت بإحضارها وقالت لها: امكثي عندي لترضعي ابني هذا فإني لم أحب شيئا مثل حبه قط، فقالت لها: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع فإن طابت نفسك أن تعطينه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي ولا أولي له إلا خيرا فعلت وإلا فإني غير تاركة بيتي، فأعطتها إياه فأخذته ورجعت إلى بيتها، فلما ترعرع قالت آسية لأم موسى: أحب أن تريني ابني، فوعدتها يوما تريها إياه فيه فقالت لخواصها وجواريها: لا يبقى منكن أحد إلا استقبل ابني بهدية ومكرمة فإني باعثة بأمينة تحصي ما تصنع كل قهرمانة منكن.

فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه إلى أن دخل على آسية، فلما دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها: انطلقي به إلى فرعون ليكرمه، فلما دخل عليه أكرمه ووضعه في حجره فتناول الغلام لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعيرات، فغضب غضبا شديدا وخاف منه وقال: هذا عدوي المطلوب، فأرسل الذباحين ليذبحوه، فبلغ ذلك آسية، فجاءت تسعى إلى فرعون وقالت له: ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي؟ فأخبرها بما فعل، فقالت له: إنما هو صبي لا يعقل وإنما صنع هذا من صباه، وأنا أجعل فيه بيني وبينك أمرا نعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت، وأضع له جمرا فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وإن أخذ الجمر علمت أنه صبي، ثم وضعت له طشتا فيه الياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد الغلام يده إلى الجوهر ليقبض عليه فزاغت عينه إلى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في

فمه فجاءت على لسانه فأحرقته فقالت له آسية: ألا ترى إلى فعله وأنه صبي لا يعقل فكف عن قتله.

وكانت يوما متطلعة من كوة في قصر فرعون إذ نظرت إلى الماشطة امرأة (حزقيل) تعذب وتقتل فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت آسية: الويل لك يا فرعون. فقال لها: لعلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك. فقالت: ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين، فدعا فرعون أمها وقال لها: إن ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم إنه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بإلهها فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت: تريدين أن أكفر بالله؟ فلا والله ما أفعل ذلك أبدا، فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت ولسانها لا يفتر عن ذكر الله وهي تقول: (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله) (التحريم: ١١) . رحمها الله رحمة واسعة.(١)

(١) مصادر القصة : الروضة الفيحاء في أعلام النساء ٢٩/١ ، مواقف إيمانية لأحمد فريد ص٢٤٧، صحيح القصص النبوي للأشقر ص٢٧٩ .

-١١-

أم أيمن بركة الحبشية

جارية عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم كانت زوجة عبيد الحبشي، وولدت منه أيمن، أسلمت هي وولدها أيمن قديماً، وزوّجها النبي بعد ممات زوجها عبيد، بعد النبوة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما رغب فيها زيد لقوله صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج بأم أيمن" فجاءت منه بأسامة، فكان يقول له الحب بن الحب. وقيل: إنه صلى الله عليه وسلم أعتقها حين تزوج بخديجة، وزوجها عبيد الحبشي، وقيل: بل تزوجها قبل ذلك، وقيل: أعتقها عبد الله بعد موته، وورث معها خمسة جمال وقطعة غنم وهي من سبي الحبشة أصحاب الفيل، ولما تمرضت في الطريق آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي راجعة من المدينة كانت معها أم أيمن بركة فلما توفيت آمنة تولت حضانته صلى الله عليه وسلم أم أيمن وجاءت إلى جده عبد المطلب بعد خمسة أيام. وذكر في "شرح ذات الشفاء": أن أم أيمن كانت بمكة فبلغها موت آمنة بالأبواء، فقدمت إلى الأبواء فاحتملته صلى الله عليه وسلم

والمشهور الأول، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أم أيمن أمي بعد أمي" ولما كبر النبي صلى الله عليه وسلم أعتقها، وهذا على خلاف ما تقدم من أن أباه عبد المطلب أعتقها، وزوجها صلى الله عليه وسلم بمولاه زيد بن حارثة الطائي، وكان مولى لخديجة، رضي الله عنها، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه، وكان أول الموالي إسلاماً. وذكر في "السيرة الحلبية": ثم بعد إسلام علي، رضي الله عنه أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما ظهر الإسلام وهاجر إلى المدينة، وأقام في المدينة، صلى الله عليه وسلم أرسل زيداً في سرية ومعه مائة راكب، وكان قد بلغه صلى الله عليه وسلم أن أبا سفيان وصفوان معهم عير كثيرة، فبعثه صلى الله عليه وسلم لحربهم فأصاب عيرهم، وعاد زيد بالعير والغنيمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكان خمسها عشرين ألف درهم، وكانت على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة، فأرسله أيضاً، النبي صلى الله عليه وسلم في سرية أخرى في مائة وسبعين راكباً وقد بلغه أن عيراً لقريش أقبلت من الشام وفيها أبو العاص ابن الربيع فسار إليهم زيد، وملك العير وعاد إلى المدينة، وذلك سنة ثمان من الهجرة ثم أرسله صلى الله عليه وسلم في سرية إلى جذام في خمسمائة راكب، فغنم وعاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالغنائم، وذكر في "شرح ذات الشفاء" أن أم أيمن كانت سوداء لأنها من سبي الحبشة فزوجها صلى الله عليه وسلم زيداً، وكان زيد أبيض فولدت له أسامة رضي الله عنه، فطعن المنافقون في نسب أسامة، وكان صلى الله عليه وسلم يتشوش لذلك ودخل مجزر القايف على النبي صلى الله عليه وسلم وزيد وأسامة تحت قطيفة وأرجلهم خارجة منها، فقال مجزر: هذه الأقدام بعضها من بعض. فانسر لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن أم أيمن قالت: كنت أحضن النبي صلى الله عليه وسلم فغفلت عنه يوماً فلم أدر إلا بعبد المطلب قائماً على رأسي يقول: يا بركة، قلت لبيك، قال أتدرين أني وجدت النبي؟ قالت: لا أدري! قال: وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، لا تغفلي عن ابني، فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبي هذه الأمة، وأنا لا آمن عليه منهم، وقالت أم أيمن: ما رأيته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعاً ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغذاء فقال: أنا شبعان. وقيل: إن أم أيمن هاجرت في يوم حر شديد فأصابها عطش شديد، فتدلى لها دلو من السماء برشاء أبيض فشربت منه حتى رويت، قالت: فما أصابني عطش بعدها، ولو تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر. وكان في لسانها عسرة فكانت إذا دخلت على قوم قالت: سلام لا عليكم بدل سلام الله عليكم. فرخص لها صلى الله عليه وسلم أن تقول: سلام عليكم. وقيل: إن أم أيمن هاجرت مع رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهي زوجة عثمان رضي الله عنه وذكر في "السيرة الحلبية" أن أم أيمن هاجرت الهجرتين. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "أم أيمن أمي بعد أمي" وكان صلى الله عليه وسلم يزورها في بيتها، وكذلك كان يفعل الصديق رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه بعده صلى الله عليه وسلم يزورانها في بيتها تعظيماً لها، ولما مات زوجها عبيد زوجها النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة. قيل: إن أناساً من كليب قدموا إلى الحج، فرآهم زيد وعرفوه، فقال لهم: أبلغوا أهلي هذه الأبيات:

أحنُّ إلى قومٍ، وإن كنتُ نائياً ... فإنّي قعيدُ البيت عندَ المشاعرِ
فكفّوا عن الوجدِ الذي قد شجاكم ... ولا تعملوا في الأرضِ نصَّ الأباعرِ
فإنّي بحمد الله في خير أسرةٍ ... كرامِ ومعدٍ كابراً عن أكابرِ

فأعلموه أباه فقدم مع عمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فيه فقال صلى الله عليه وسلم نخيره فإن اختاركم علي فهو لكم فخيره فاختار النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوه: ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية؟ فخرج صلى الله عليه وسلم وجعل يدور به مجالس قريش ويقول: اشهدوا أن زيداً ابني وارثاً وموروثاً، فطابت نفس أبيه ودعي زيد من حينئذ ابن محمد، إلى أن جاء الإسلام، وأنزل قوله تعالى: (أدعوهم لآبائهم) فقيل: زيد بن حارثة. ويقال أنه أول من أسلم وشهد بدراً. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "أحب الناس إلي من أنعم الله عليه وأنعمت عليه" يعني بذلك زيداً، أنعم الله عليه بالإيمان، وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعتق، وقتل زيد رضي الله عنه بأرض الشام. وقتل معه جعفر رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم: "أخواي ومؤنساي ومحدثاي" وعاشت أم أيمن بركة إلى خلافة عمر رضي الله عنه سنة ثلاثة عشرة، وتوفيت أم أيمن بعد خلافة عمر رضي الله عنه بعشرين يوماً، ودفنت بالمدينة المنورة، وتوفيت أم أيمن رضي الله عنها، على ما ذكر المؤرخون في خلافة الصديق رضي الله عنه وذلك بعد وفاة فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وذكر بعضهم أن أم أيمن كانت حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم لا مرضعته، لأنه لا يعرف لها ولد إلا أيمن وأسامة، إلا أن يقال أن لبنها در له صلى الله تعالى عليه وسلم، ويروى أن أم أيمن شربت بوله صلى الله عليه وسلم و لم تشعر به لأنه لم يكن كالمعهود، ولما أخبرته ضحك و لم ينكر عليها. وقال لها: "أما والله لا تجعن بطنك أبدا" ويروى أن أم أيمن لما كانت غزوة أحد، وهي في المدينة، فلما هرب المسلمون ودخل المدينة طائفة منهم تلقتهم أم أيمن، وجعلت تحثو التراب في وجوههم، وتقول لبعضهم: هاك المغزل فاغزل به، وهلم سيفك، ويروى أن أم أيمن كانت في الجيش تسقي الجرحى فرماها الحبان بن عرفة بسهم فأصابها، فشق ذلك على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفع

إلى سعد سهماً لا نصل له وقال: ارم به فوقع السهم في نحر حبان، فوقع مستلقياً حتى بدت نواجذه ثم قال: "استقاد لها سعد أجاب الله دعوته".(١)

-١٢-

أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بن الحكم

وهي أخت أمير المؤمنين عمر بن العزيز، (وأمها: ليلى بنت سهيل بن حنظلة بن الطفيل، تزوجها ابن عمها الوليد بن عبد الملك) . حكي: أن عزة بنت حميل صاحبة كثير دخلت يوماً على أم البنين فقالت: لها أم البنين: ما معنى قول كثير فيك:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ ... وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا

ما هذا الدين الذى يذكره ؟ قالت : أعفينى ، قالت : لابد من إعلامك إياى فقالت عزة : كنت دعوته قبله فأتانى لينتجزها ، فتحرجت عليه و لم أف له ، فقالت أم البنين : أنجزيها منه ، وعلى إثمها ؛ ثم راجعت نفسها فاستغفرت الله وأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة ، وكانت إذا ذكرت ذلك ، بكت حتى تبل خمارها ، وتقول يا ليتنى خرس لسانى عندما تكلمت بها ؛ وتعبدت عبادة ذكرت بها فى عصرها من شده اجتهادها ؛ فرفضت فراش المملكة تحيى ليلها .

---

(١) مصادر القصة : السيرة الحلبية ٥٤/١ ، وقفات تربوية مع السيرة النبوية، أحمد فريد، دار طيبة، الرياض ص٤٨ ، الوافي بالوفيات ٦٣/١ ، الاستيعاب ٣٥٦/٤-٣٥٧.

وكانت كل جمعة تحمل على فرس فى سبيل الله . وكانت تبعث إلى نسوة عابدات يجتمعن عندها ، ويتحدثن ، فتقول : أحب حديثكن فإذا قمت إلى صلاتى لهوت عنكن ؛ وكانت تقول : البخيل كل البخيل من بخل على نفسه بالجنة .

وكانت تقول : جعل لكل إنسان نهمة فى شئ ، وجعلت نهمتى فى البذل والإعطاء والله للعطية والصلة والمواصلة فى الله أحب إلى من الطعام الطيب على الجوع والشراب البارد على الظمأ ، وهل ينال الخير إلا بالاصطناع وكانت على مذهب جميل حتى توفيت ، رحمها الله تعالى .

ولما تزوج سليمان أم البنين شغف بها لجمالها وحسن أخلاقها، وكانت على سيرة أخيها عمر أمير المؤمنين، وكان سليمان أكولا يأكل مائة رطل شامي، وقيل: إنه اصطبح يوماً بأربعين دجاجة وأربعمائة بيضة، وأربع وثمانين كلوة، وثمانين جر دقة، ثم أكل الناس السماط. وأكل مرة في مجلس واحد سبعين رمانة. وخروفاً، وفي أيامه ظهرت الكنافة فكان كل ليلة يتسحر بعشرين رطل منها، وتوفي سليمان سنة تسع وتسعين، واستمرت أم البنين بعد سليمان مشتغلة بالعبادات والصدقات إلى أن توفيت في خلافة يزيد، وقيل: في خلافة هشام.(١)

(١) مصادر القصة : صفة الصفوة ٤٣٠/٢ ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١٨٥/٧، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٣٤٣

-١٣-

أم المنذر المصلية المبايعة

عندما ترجم أبو نُعيم الأصبهاني للصحابية الكريمة أم المنذر في "حلية الأولياء" وصفها بقوله: المصلية للقبلتين، المحافظة على البيعتين سلمى بنت قيس النجارية.

وروى البخاري رحمه الله عن عروة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية: يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك -إلى قوله- غفور رحيم.

فمن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد بايعتُك" كلامًا، ولا والله ما مسّت يده يدَ امرأة في المبايعة قط ، ما يبايعهن إلا بقوله: "قد بايعتك على ذلك".

وأم المنذر رضي الله عنها روت قصة بيعتها . ولكن قبل أن نذكرها فلنستعرض أركان بيعة النساء، فقد بايعت النساء رسول الله صلى الله عليه وسلم على: أن لا يشركن بالله شيئًا، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصينه في معروف. قال: "ولا تغششن أزواجكن".

وتروي أم المنذر قصة بيعتها فتقول: جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم نبايعه في نسوة من الأنصار فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان ولا نعصيه ولا نغش أزواجنا... قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا.

طعامها شفاء

هذه الصحابية الكريمة حظيت بنفحات خاصة من الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم، فكان يخصها بالزيارة، ويأكل عندها، ويشير إلى أنّ طعامها ذو بركة ونفع. وكانت أم المنذر رضي الله عنها تشتهر عند أهل المدينة بكثرة التمر والرطب في بيتها.

ولعل أم المنذر هي المرأة الأنصارية التي كانت تُطعم الصحابة يوم الجمعة سِلقًا وشعيرًا، قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرّب ذلك الطعام إلينا.. وفي رواية أخرى: ليس فيها شحم ولا ودك وكنا نفرح بيوم الجمعة.

ومن فضائل أم المنذر روايتها للحديث النبوي.

هذه قبسات من سيرة أم المنذر العطرة رضي الله عنها وأرضاها، فما أحوج النساء المؤمنات هذه الأيام أن يقتدين بها في جهادها في سبيل الله وكرمها وعدم حيائها من التفقه في أمر دينها كغيرها من نساء الأنصار.(١)

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٧٧/٢ ، أسد الغابة (٦/ ١٤٩- ١٥٠) ، الإصابة (١٢/ ٣١١-٣١٢) .

-١٤-

أم الواحد بنت القاضي العلامة الحسين المحاملي

كانت من أهل الدين والصلاح، قرأت القرآن وحفظته مجوداً، وكانت حسنة الصوت، ثم قرأت الفقه، والنحو وعلم الفرائض، وأتقنت الجميع، ودرست في دارها النساء المخدرات، قرأ عليها كثير من النساء، وكان في عصرها وقطرها لا تحتاج النساء إلى سؤال مسألة لأحد من العلماء لأنها كفت الجميع ما يحتاجون إليه، وهو قراءة القرآن، ومسائل الفقه والفرائض، قيل: إن امرأة سألتها يوماً فقالت: ما تقول سيدتنا في جنب وحائض وميت، كانوا في البر وعندهم ماء يكفي لأحدهم، أيهما يتقدم؟ فقالت تقدم الحائض لأن ماء غسلها فرض على زوجها الجنب، ويتيمم هو ثم الميت أيضاً، وإنما تقدم لأنها عورة فربما ظفرت بالماء وليس القدرة على الاغتسال، فلأجل ذلك تقدم على الرجل الميت.

وفي هامش كتاب "الهداية" ناقلاً عن العلامة ابن همام الحنبلي: أولى بالماء المباح إذا وجدوه، هو وحائض ومعهم ميت، فيغتسل الجنب ويتيم الميت والحائض، وكذا المحدث. وهذا يدل على أن الرجل الجنب أولى من المرأة والله أعلم، توفيت أم الواحد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.(١)

---

(١) مصادر القصة: : الروضة الفيحاء في أعلام النساء ٨٣/١

-١٥-

أم الخير ابنة الحريش بن سراقة البارقية

كانت من المتكلمات الخطيبات البليغات من نساء العرب وفدت على معاوية كما قال عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي أن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير ابنة الحريش ورحلها وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا، وبالشر شرا بقولها فيه، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه فقالت: وأما أنا فغير زائغة عن طاعته، ولا معتلة بكذب. ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إلي أنه مجازيني بالخير خيرا، وبالشر شرا فما عندك؟ قالت: يا هذا، لا يطعمك برك بي أن أسرك بباطل ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم.

ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال لها: وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتني بهذا الاسم. قالت: يا أمير المؤمنين، لكل أجل كتاب. قال: صدقت، فكيف حالك يا خالة وكيف كنت في مسيرك؟ قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى سرت إليك فأنا في مجلس أنيق عند ملك رفيق، قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم. قالت: يا أمير المؤمنين، يعيذك الله من دحض المقال وما تخشى عاقبته. قال: ليس هذا أردنا، أخبريني كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر؟ قالت: لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة فإن أحببت أن أحدثك مقالا غير ذلك فعلت، فالتفت إلى جلسائه فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين. قال: هات. قال: كأني

بها بين بردين زائرين كثيفي النسيج وهي على جمل أرمك، وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول: "يا أيها الناس، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة في عمياء مدلهمة، فأين تريدون رحمكم الله إفرارا عن أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، لأم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله جل شأنه يقول: (ولنبلونكم حتى نعلم المجهدين منكم والصبرين ونبلوا أخباركم) (محمد: ٣١) .

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب أزمة القلوب فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضي التقي، والصديق الأكبر إنها إحن بدرية وأحقاد جاهلية وسببها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس، ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون صبرا، يا معاشر المهاجرين والأنصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة لا تدري أيا يسلك بها من فجاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى وعما قليل ليصبحن نادمين حين تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة ولات حين مناص إن من ضل والله عن الحق وقع في الباطل، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها واستطابوا الآخرة فسعوا لها، فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، وتقوى كلمة الشيطان فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأبي سبطيه خلق من طينته وترفع من نبعته وجعله باب دينه، وأبان ببغضه المنافقين، وها هو ذا مفلق الهام ومكسر الأصنام صلى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزيه وأفنى أهل أحد وهزم الأحزاب وقتل الله به أهل خبير وفرق

به جمع أهوائهم فيا لها من وقائع زرعت في القلوب نفاقا، وردة، وشقاقا، وزادت المؤمنين إيمانا. قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتك ما حرجت في ذلك. قالت: والله ما يسوءني أن يجري قتلي على يد من يسعدني الله بشقائه. قال: هيهات، يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله؟ قالت: وما عساني أن أقول في عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه وهم له كارهون. قال معاوية: يا أم الخير، هذا ثناؤك الذي تثنين؟ قالت: لكن والله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا، ولكن كان سابقا إلى الخير وإنه لرفيع الدرجة غدا. قال: وما تقولين في الزبير؟ قالت: وما أقول في ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأنا أسألك بحق الله يا معاوية فإن قريشا تحدثت أنك أحلمها أن تعافيني من هذه المسائل وتسألني عما شئت من غيرها قال: نعم ونعمة عين قد عفيتك منها.

ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة إلى الكوفة وبقيت في عز إلى أن توفاها الله.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٥٧

-١٦-

أم رومان بنت عامر

زوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وابناها : عائشة أم المؤمنين وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن رضي الله عنهما .

نشأت في منطقة بجزيرة العرب اسمها السراة ، وكانت ذات أدب وفصاحة .

تزوجها قبل أبي بكر أحد شباب عصرها البارزين في قومه واسمه الحارث بن سخيرة الأزدي فولدت له الطفيل.

كان زوجها الحارث يرغب بالإقامة بمكة ، فسافر بها وبابنها إلى هناك، ودخل مكة في حلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وذلك قبل الإسلام .

بعد فترة توفي الحارث بن سخيرة ، فتزوجها أبو بكر إكراماً لصاحبه بعد مماته.

وكان أبو بكر متزوجاً قبل ذلك ، وله من الولد : عبد الله وأسماء ، ثم ولدت له أم رومان : عبد الرحمن وعائشة .

لما أسلم أبو بكر حدث زوجته بالخير الذي رضيه لنفسه فأسلمت معه مبكراً واستكتمها الأمر حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتردد على دار أبي بكر فتتلقاه أم رومان بالبشر وحسن الضيافة .

كانت لها مواقف صادقة في مواساة زوجها في الأيام الصعبة التي كانت تمر بالدعوة في الفترة المكية ، وكانت تتألم لما يصيب المسلمين .

عندما خرج أبو بكر الصديق مهاجراً إلى المدينة ، وترك أسرته في مكة لتلحق به كانت أم رومان تتحمل شدة العيش بعد هجرة زوجها الذي احتمل ماله كله،

ثم لما وصل الركب المهاجر إلى المدينة بسلام أرسل النبي صلى الله عليه وسلم من يأتي بأهله وبناته ، ويأتي بأهل أبي بكر وأسرته .

في طريق أسرة أبي بكر إلى المدينة تعرضت عائشة لخطر كبير ، حيث شرد بها وبأمها الجمل ، فجعلت أم رومان تقول : واعروساه وابنتاه ، تقول عائشة : فسمعت قائلاً يقول : أرسلي خطامه ، فأرسلت خطامه ، فوقف .

حضرت حادثة الإفك الخطيرة التي هزت بيت أبي بكر الصديق كله فوقفت موقفاً إيمانياً رائعاً وصبرت واحتسبت حتى جاء الفرج من عند الله .

توفيت أم رومان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة ست من الهجرة .(١)

---

(١) مصادر القصة : الإصابة (٤/٤٥٠) ، الاستيعاب (٤/٤٥١) ، الطبقات الكبرى (٨/٢٧٦) .

-١٧-

أم الدحداح الأنصارية

أم الدحداح الأنصارية واحدة من نساء الصحابة اللاتي كان لهن دور جليل في تاريخ الإسلام، وهي واحدة ممن آثرن نعيم الآخرة المقيم على متاع الدنيا الزائل.

أسلمت أم الدحداح حين قدم مصعب بن عمير المدينة سفيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو أهلها إلى الإسلام حيث كانت ممن ناله شرف الدخول في الإسلام، كما أسلمت أسرتها كلها، ومشوا في ركب الإيمان.

زوجها الصحابي الجليل أبو الدحداح، ثابت بن الدحداح أو الدحداحة بن نعيم بن غنم بن إياس حليف الأنصار، وأحد فرسان الإسلام، وأحد الأتباع الأبرار المقتدين بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، والسائرين على نهجه الباذلين في سبيل الله نفسهم وأرواحهم وأموالهم.

وقد كان لأبي الدحداح أرض وفيرة في مائها، غنية في ثمرها، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ (البقرة:من الآية٢٤٥).قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض ؟ قال: (نعم يريد أن يدخلكم الجنة به) قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحادحة معي في الجنة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (نعم) قال : فناولني يدك. فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، فقال: إن لي حديقتين: إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اجعل إحداهما لله ، والأخرى دعها معيشة لعيالك)، قال : فأشهدك يا رسول الله أني جعلت خيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال : (إذاً يجزيك الله به الجنة).

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح ، وهي مع صبيان في الحديقة تدور تحت النخل ، فأنشأ يقول :

هداك الله سبـــل الرشاد إلى سبيـــل الخير والسداد
بيني مـــن الحائط بالوداد فقد مضى قرضاً إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي بالطوع لا من ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد ارتحلي بالنـــفس والأولاد
والبر لا شـــك فخير زاد قـــدمه المـــرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح رضي الله عنها: ربح بيعك ! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشـــرك الله بخير وفرح مثلك أدى ما لـــديه ونصح
قد متـــع الله عيالي ومنح بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح رضي الله عنها على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح).

وكان أبو الدحداح رضي الله عنه مثالاً فريداً في التضحية والفداء، فإنه لما كانت غزوة أحد أقبل أبو الدحداح والمسلمون أوزاع قد سقط في أيديهم، فجعل يصيح : يا معشر الأنصار إلي أنا ثابت بن الدحداحة ، قاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم ، فنهض إليه نفر من الأنصار ، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين ، وقد وقفت له كتيبة خشناء ، فيها رؤساؤهم ، خالد بن الوليد ،

وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب فجعلوا يناوشونهم ،وحمل عليه خالد ابن الوليد الرمح فأنفذه فوقع ميتاً رضي الله عنه، واستشهد أبو الدحداح فعلمت بذلك أم الدحداح ، فاسترجعت ، وصبرت ، واحتسبته عند الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً.(١)

(١) مصادر القصة : أسد الغابة (١٦٧/١) ، الإصابة (٥٩/٤) .

-١٨-
أُمُّ حَكِيم بِنْتُ الَحارِثِ

ابن هشام، تزوجها عكرمة بن أبي جهل، أسلمت قبله يوم الفتح، وهرب عكرمة فأخذت له أماناً من النبي صلى الله عليه وسلم وعاد وخرجت معه إلى الشام. ولما غزا وقتل عنها بأجنادين فاعتدت (عنه أربعة أشهر وعشراً) ، وتزوجها خالد بن سعيد بن العاص على أربعمائة دينارٍ، فلما نزل المسلمون مرج الصفرِ أراد خالد أن يعرس بها فقالت له: لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع! فقال خالد: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم، قالت: فدونك. فأعرس بها عن القنطرة التي بالصفر فسميت قنطرة أم حكيم، وأولم عليها، ودعا أصحابه على الطعام، فما فرغوا (من الطعام) حتى صفت الروم صفوفها، وبرز خالد رضي الله عنه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه وشدت أم حكيم عليها (ثيابها) وعدت، وإن عليها لردع الخلوق، فاقتتلوا أشد القتال على النهر، وأخذت السيوف بعضها بعضاً. وقتلت سبعة رجالٍ أم حكيم بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد معرساً، ثم تزوج أم حكيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولدت له فاطمة بنت عمر.(١)

---

(١) مصادر القصة : سبل الهدى والرشاد ٢٥٢/٥ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٠٩/٧ ، الإصابة ٢: ٦٤ ودول الإسلام ١: ١٨.

-١٩-

أم خالد بنت خالد آخر الصحابيات وفاة

صحابية قرشية مكية، تكنى أم خالد. أبوها خالد بن سعيد بن العاص أحد السباقين إلى الإسلام، وأمها أميمة بنت خلف الخزاعية إحدى فضليات نساء الصحابة.وأخوها سعيد بن خالد، أحد الصحابة الأبرار.

وعمها عمرو بن سعيد بن العاص من السابقين إلى الإسلام، قتل في معركة اليرموك.

وزوجها أحد العشرة المبشرين بالجنة الزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين. ولدت أم خالد في أرض الحبشة، وفتحت عينيها على الإسلام، وكان والدها من المهاجرين إلى الحبشة حين اشتد الأذى على المؤمنين في مكة.

ولقد كان لأم خالد مكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كان يخصها بهديته، ومن ذلك أنه أتي – عليه الصلاة والسلام – بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: (من ترون أكسو هذه) ؟ فسكتوا. فقال: (ائتوني بأم خالد)، قالت أم خالد – وهي التي روت الحديث: فأتي بي أحمل، فألبسنيها بيده، وقال (أبلي وأخلقي) يقولها مرتين، وجعل ينظر إلى علم الخميصة أصفر وأحمر، فقال: (هذا سنا يا أم خالد، هذا سنا) ويشير بإصبعه إلى العلم، وسنا بالحبشة: حسن.

وقد تزوجت أم خالد الزبير بن العوام رضي الله عنها ،وولدت له عمراً وخالداً.

ولقد كان لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم أثر مبارك في حياة أم خالد رضي الله عنها عندما قال لها: (أبلي وأخلقي) إذ معنى الحديث كما قال الحافظ ابن الحجر في الفتح: (أي إنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق).

وقد استجيبت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تعش امرأة من الصحابة ما عاشت أم خالد. وذكر الذهبي في السير : أنها عمرت إلى قريب عام تسعين.(١)

(١) مصادر القصة : سير أعلام النبلاء (٤٧١/٣) ، الطبقات (٢٣٤/٨) .

-٢٠-

أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد

أخت أم سليم ، وخالة أنس بن مالك ، وزوجة عبادة بن الصامت .كانت من علية النساء .

عن أنس قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما هو إلا أنا وأمي وخالتي أم حرام ، فقال : "قوموا فلأصل بكم " فصلى بنا في غير وقت صلاة.

وعن أنس قال : حدثتني أم حرام بنت ملحان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ – من القيلولة- في بيتها يوماً ، فاستيقظ وهو يضحك ، فقلت : يا رسول الله ، ما أضحكك ؟ قال : (عرض علي ناس من أمتي ،يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة) قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . قال :

(أنت من الأولين) . فتزوجها عبادة بن الصامت ، فغزا بها في البحر فحملها معه ، فلما رجعوا قربت لها بغلة لتركبها ، فصرعتها فدقت عنقها فماتت ، رضي الله عنها .(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى (٤٣٤/٨) ، الاستيعاب (١٩٣١/٤) ، سير أعلام النبلاء (٣١٦/٢).

-٢١-

أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية

أم سلمة، السيدة المحجبة ، الطاهرة ، هند بنت أبي أمية المخزومية ، بنت عم خالدبن الوليد ، سيف الله ، وبنت عم أبي جهل بن هشام .من المهاجرات الأول كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عندأخيه من الرَّضاعة : أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، الرجل الصالح .دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة أربع من الهجرة .و كانت أجمل النساء ، وأشرفهنَّ نسباً .و كانت آخر من مات من أمَّهات المؤمنين ، عُمِّرت حتى بلغها مقتَلُ الحسين الشهيد، فوجَمَت لذلك ، و غُشيَ عليها ، وحَزِنَت عليه كثيراً ، لم تلَبث بعدهُ إلا يَسيراً و انتقلت إلى الله .

و لها أولاد صحابيون : عَمر ، وسَلَمَةُ ، و زينبُ ،ولها جملة أحاديث .

عاشت نحواً من تسعين سنة .و أبوها : هو زادُ الركب ، أحد الأجواد . قيل : اسمه حُذيفة .وكانت تُعَدُّ من فُقهاء الصحابيات.

عن زياد بن أبي مريم ، قالت أُمُّ سلمة لأبي سلمة : بلغني أَنَّهُ ليس امرأةٌ يموت زوجُها ، وهو من أهل الجنة ، ثم لم تَزَوَّج ، إلا جمع الله بينهما في الجنة ، فتعال أُعاهدك ألا تزوَّج بعدي ولا أتزوَّج بعدك ، قال :أتُطيعينني ؟ قالت : نعم ، قال : إذا مِتُّ تزوَّجي ، اللهم ارزُق أمَّ سلمة بعدي رجلاً خيراً مني ، لا يُحزنها ، ولا يُؤذيها . فلما مات ، قلت : من خيرٌ من أبي سلمة ؟ فما لبثتُ ، وجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على الباب فذكر الخِطبة إلى ابن أخيها ، أو ابنها ، فقالت : أرُدُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أتقدَّم عليه بعيالي ، ثم جاء الغد فخطب .

عن ثابتٌ : حدثني عمر بنُ أبي سَلَمة عن أبيه : أنَّ أُمَّ سَلَمَة لما انقضت عِدَّتها ، خَطبها أبو بكر ، فردَّته ، ثم عُمرُ ، فردَّته . فبعث إليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقالت : مرحباً ، أخبر رسول الله أني غَيرى ، و أني مُصبيَة ، وليس أحدٌ من أوليائي شاهداً ، فبعث إليها : ((أما قولُك : إني مُصبيةٌ ، فإنَّ الله سَيكفيكِ صِبيانَكِ،وأما قولُكِ إني غَيرى ، فسأدعو الله أن يُذهب غَيرتَكِ ، و أما الأولياء ، فليس أحدٌ منهم إلا سيرضى بي)) . قالت : يا عُمرُ ، قُم فزوج رسول الله .وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :((أما إني لا أنقُصُك مما أعطيت فُلانة ..)) الحديث.

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، قال : دخلت أيِّمُ العرب على سيد المسلمين أول العشاءِ عروساً ، وقامت آخر الليل تَطحن . يعني : أم سلمة.

عن أُمَّ سلمة ، قالت : لما تُوفي أبو سَلمة أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : كيف أقول ؟ قال : ((قولي : اللهمَّ اغفِر لنا وَ لَه ، وأعقِبني منه عقبى صالحة)) فقلتها فأعقبني الله محمداً صلى الله عليه وسلم .

عن حذيفة أنه قال لامرأته : إن سَركِ أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فإنَّ المرأة لآخر أزواجها في الدُّنيا ، فلذلك حُرِّم على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يَنكحنَ بعده ، لأنَّهنَّ أزواجه في الجنة .

وفاتها في سنة إحدى و ستين ، رضي الله عنها .(١)

---

(١) مصادر القصة : سير أعلام النبلاء (١٥٣/١) ، الطبقات (٩٠/٨) .

-٢٢-

أم سُليم الغُميصاء

ويقال : الرُّميصاء بنت ملحان بن خالد بن زيد الأنصارية الخزرجية ،أم خادم النبي صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك .شهدت حُنيناً ، و أحداً ، من أفاضل النساء .

عن أنس : أن أم سُليم اتخذت خنجراً يوم حنين ، فقال أبوطلحة : يارسول الله هذه أم سُليم معها خنجر ! فقالت : يارسول الله إن دنا مني مُشركٌ بقرت بطنه.

عن إسحاق بن عبد الله ، عن جدته أم سُليم : أنها آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فجاء أبو أنس ، وكان غائباً ، فقال : أصبوتِ ؟ فقالت : ما صبوت، ولكني آمنت !وجعلت تُلقن أنساً : قل لا إله إلا الله ، قل :أشهد أن محمداً رسول الله ، ففعل فيقول لها أبوه : لا تفسدي علي ابني ، فتقول : إني لا أفسده ! فخرج مالك فلقيه عدوٌّ له ، فقتله . فقالت : لا جرم لا أفطِم أنساً حتى يدع الثدي ولا أتزوج حتى يأمرني أنس ، فخطبها أبو طلحة وهو يومئذ مُشرك ،فأبت.

خطب أبو طلحه أم سليم قبل أن يسلم ، فقالت : ما مثلك يرد ولكنك رجل كافر وأنا مسلمة ، فإن تسلم فذلك مهرى لا أسألك غيره ، فأسلم وتزوجها . وفى رواية قالت له : ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد خشبة تنبت من الأرض نجرها حبش بنى فلان ؟ قال : بلى .

قالت : أفلا تستحي أن تعبد خشبه من نبات من الأرض نجرها حبش بنى فلان ؟ إن أنت أسلمت لم أرد منك صداقاً غيره . قال : حتى انظر فى أمرى .فذهب ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

فقالت : يا أنس ، زوج أبا طلحه . وفى رواية قال ثابت : فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم " الإسلام "

وفى رواية قال لها يا رميصاء ، وأين الصفراء والبيضاء- يعنى الذهب والفضة- ؟ فقالت : لا أريد صفراء ولا بيضاء ، لا أريد غير الإسلام ، لا أرضى مهراً سواه.

فقال : ومن أين لى بالإسلام ؟

قالت : دونك رسول الله ﷺ إذهب إليه وأعلن إسلامك أمامه .

فانطلق أبو طلحه ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : " أتاكم أبو طلحه غزة الإسلام بين عينيه " ثم أخبره خبره مع أم سليم ، فزوجه رسول الله ﷺ على ما اشترطت من المهر .

قال الجارود : حدثنا أنس بن مالك : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور أم سُليم ، فتتحفه بالشيء تصنعه له ،و أخ لي أصغر مني يُكنى أبا عُمير ،فزارنا يوماً ، فقال: مالي أرى أبا عُمير خاثر النفس ؟ قالت : ماتت صعوة له كان يلعب بها- أي : طير صغير - فجعل النبي يمسح رأسه ، ويقول : ((يا أبا عمير ، ما فعل النغير)).

عن أنس ، قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل بيتاً غير بيت أم سليم ، فقيل له ، فقال : ((إني أرحمُها ، قُتل أخوها معي)).

و أخوها هو حرام بن ملحان ، الشهيد الذي قال يوم بئر معونة : فزت ورب الكعبة ، لما طُعن من ورائه فطلعت الحربة من صدره ،رضي الله عنه.

عن أم سليم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل في بيتي ، وكنت أبسُط له نطعاً ، فيقيل عليه ، فيعرق ، كنت آخذ سُكاً فأعجنه بعرقه.

قال ابن سيرين : فاستوهبت من أم سليم من ذلك السُك ، فوهبت لي منه.

قال أيوب : فاستوهبت من محمد من ذلك السُك ، فوهب لي منه، فإنه عندي الآن.

قال : ولما مات محمد حُنط بذلك السُك .

عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سليم وقربة معلقة ، فشرب منها قائماً ، فقامت إلى فـــيّ السقاء فقطعته . رواه عبيد الله بن عمرو ، فزاد : و أمسكته عندها .

عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يحلق رأسه بمنى ، أخذ أبو طلحة شِق شعره فجاء به إلى أم سليم ، فكانت تجعله في سُكها .

عن أنس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي، فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان .

قال حُميد : قال أنس : ثقل ابن لأم سليم ، فخرج أبو طلحة إلى المسجد،فتوفي الغلام ، فهيأت أم سليم أمره ، وقالت : لا تخبروه ، فرجع ، وقد سيرت له عشاءه فتعشى ، ثم أصاب من أهله . فلما كان آخر الليل قالت : يا أبا طلحة . ألم تر إلى آل أبي فلان استعاروا عارية ، فمنعوها ، وطُلبت منهم فشق عليهم ، فقال : ما أنصفوا ، قالت : فإن ابنك كان عارية من الله فقبضه . فاسترجع وحمد الله ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : (بارك الله لكما في ليلتكما) فحملت بعبد الله بن أبي طلحة فولدت ليلاً ، فأرسلت به معي ، وأخذت تمرات عجوة ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يهنأ أباعر له ، ويَسمها ، فقلت : يا رسول الله ولدت أم سُليم الليلة

،فمضغ بعض التمرات بريقه فأ وجره إياه فتلمظ الصبي ، فقال (حبُّ الأنصار التمر) فقلت :سمّه يا رسول الله ، قال : (هو عبد الله)

عن عباية بن رفاعة ، قال : كانت أم أنس تحت أبي طلحة فذكر نحوه . وفيه :فقال رسول الله : ((اللهم بارك لهما في ليلتهما)).قال عباية : فلقد رأيت لذلك الغلام سبع بنين كلهم قد ختم القرآن .(١)

(١) مصادر القصة : أحسن المحاسن: ص ١٦٠-١٦١ ، صفة الصفوة ٦٩/٢ ، حياة الصحابة ٥٩٧/١ ، الطبقات (٤٢٦/٨) .

-٢٣-

أم فروة أخت الصديق رضي الله عنه

أسلمت وبايعت، وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة في أول وقتها".

تزوجها الأشعث بن قيس الكندي، فولدت له محمداً وإسحاق وجمانة وقريبة.

ويروى أن أبا قحافة قال لابنته يوم الفتح، خذي بيدي إلى جبل أبي قبيس ففعلت، فقال لها: ما ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً. قال: تلك الخيل. قالت: وبين أيديهم فارس يقبل ويدبر. قال: ذاك الوازع. قالت: قد انتشر السواد. قال: غارت الخيل فأدركي في المترل فترلت به فأدركها الخيل قبل بلوغ المترل، فأخذ بعضهم طوقاً كان في عنقها، فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال أبو بكر: أنشد الله رجلاً أخذ طوق أختي إلا رده. فلم يرد. فقال أبو بكر رضي الله عنه لأخته: احتسبي طوقك فإن الأمانة اليوم في الناس قليل.(١)

---

(١) مصادر القصة : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٩٤٩/٤، الروضة الفيحاء في أعلام النساء ٦٧/١،

-٢٤-

أم كلثوم رضي الله عنها

بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت عند عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت (تبت يدا أبي لهب..) قال أبوه: رأسي من رأسك حرام إن لم تفارق بنت محمد، فطلقها.

هي أصغر من فاطمة رضي الله عنها، وقال مصعب: هي أكبر من رقية، وخالفه أهل الأنساب، تزوجها عثمان بن عفان بعد وفاة رقية سنة ثلاثة من الهجرة، وكان ذلك بعد ما عرض عمر رضي الله عنه حفصة على عثمان وسكت لأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا أدل عثمان على من هي خير من حفصة، وأدلها على من هو خير من عثمان" ثم زوج أم كلثوم رضي الله عنها من عثمان وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة، كذا ذكره في الاستيعاب وعقد عثمان، رضي الله عنه على أم كلثوم في سنة الثالثة في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة.(١)

---

(١) مصادر القصة: الطبقات الكبرى (٣٧/٨) ، الاستيعاب (٤٦٣/٤) ، الإصابة (٤٦٦/٤)

-٢٥-

أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصاري، وهي أصغر بنات الصديق رضي الله عنه توفي أبو بكر وأمها حامل بها، فلما كبرت خطبها عمر رضي الله عنه من عائشة رضي الله تعالى عنها فأنعمت له بها، فكرهت أم كلثوم ذلك لخشونة عيشة عمر رضي الله عنه. وقالت: أريد فتىً واسع العيش، فتزوجها طلحة رضي الله عنه بعد أن احتالت عائشة رضي الله عنها حتى أمسك عنها عمر رضي الله عنه ثم علم بالحال، فلم يعاتب عائشة.

قال ابن الأثير: ليس لأم كلثوم بنت أبي بكر صحبة، لأنها ولدت بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمها بنت خارجة، وهي التي قال فيها أبو بكر لعائشة في مرضه الذي توفي فيه: إني أرى ذات بطن بنت خارجة بنتا.

فولدت أم كلثوم بعد موته.

وكان هذا يعد من كراماته رضي الله عنه.

و لم أطلع على عام وفاتها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى "٨/ ٤٦٢"، وأسد الغابة "٥/ ٦١١"، والإصابة "٤/ ٤٩٣".

-٢٦-

أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب

أمها فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت قبل وفاة النبي خطبها عمر بن الخطاب إلى أبيها علي فقال: إنها صغيرة. فقال عمر: زوجنيها يا أبا الحسن فإني أرصد من كرامتها ما لم يرصده أحد. فقال له علي: أنا أبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها. فبعثها إليه ببرده فقال لها: قولي له: هذا البرد الذي قلت لك عليه. فقالت ذلك لعمر. فقال لها: قولي له: قد رضيت رضي الله عنك ووضع يده عليها. فقالت له: أتفعل هذا؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثم جاءت أباها فأخبرته وقالت له: بعثتني إلى شيخ سوء. قال: يا بنية، إنه زوجك فجاء عمر فجلس إلى المهاجرين في الروضة وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون. فقال: ارفئوني فقالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أم كلثوم بنت علي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري" وكان لي به صلى الله عليه وسلم النسب والسبب فأردت أن أجمع غليه الصهر فرفأوه، فتزوجها على مهر أربعين ألفا فولدت له زيدا ورقية، وتوفيت أم كلثوم وابنها زيد في وقت واحد وكان زيد قد أصيب في حرب كانت بين بني عدي خرج ليصلح بينهم فضربه رجل منهم في الظلمة فشجه وصرعه، فعاش أياما ثم مات هو وأمه وصلى عليهما عبد الله بن عمر وقدمه الحسن بن علي وذلك بعد وفاة عمر بن الخطاب، ولما قتل عنها عمر تزوجها عون بن جعفر.

عن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، قال: " لما تأيمت أم كلثوم بنت علي من عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم، دخل عليها حسن وحسين أخواها، فقالا لها: إنك ممن قد عرفت سيدة نساء المسلمين وبنت سيدهن، وإنك والله إن أمكنت عليا من رمتك لينكحنك بعض أيتامه، ولئن أردت أن تصيبي بنفسك مالاً عظيماً لتصيبينه، فوالله ما قاما حتى طلع علي يتكئ على عصاه، فجلس فحمد الله وأثنى عليه، وذكر مترلتهم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: قد عرفتم مترلتكم عندي يا بني فاطمة، وأثرتكم على سائر ولدي، لمكانكم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقرابتكم منه.

فقالوا: صدقت، رحمك الله، فجزاك الله عنا خيراً.

فقال: أي بنية، إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد جعل أمرك بيدك، فأنا أحب أن تجعليه بيدي، فقالت: أي أبة، إني لامرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء، وأحب أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا، وأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي.

فقال: لا، والله يا بنية ما هذا من رأيك، ما هو إلا رأي هذين، ثم قام فقال: والله لا أكلم رجلاً منهما أو تفعلين، فأخذا بثيابه، فقالا: اجلس يا أبة.

فو الله ما على هجرتك من صبر، اجعلي أمرك بيده.

فقالت: قد فعلت.

قال: فإني قد زوجتك من عون بن جعفر، وإنه لغلام، وبعث لها بأربعة ألف درهم، وأدخلها عليه.

وبعث لها بأربعة آلاف درهم وأدخلها عليه وبقيت معه حتى ما عنها قتيلا في وقعة كربلاء وهي مع أخيها الحسين ورجعت مع السبايا من العراق إلى الشام ثم إلى المدينة وذلك في قصة مشهورة وتوفيت في المدينة.(١)

(١) مصادر القصة : أسد الغابة ٣٧٧/٧ ، الطبقات الكبرى ٨/ ٤٦٣- والسير والمغازي ٢٤٧- ٢٥٠

-٢٧-

أم كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط

أسلمت وهاجرت وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت هجرتها سنة ٧ هجرية ، وأمها أروى بنت كريم بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، عمة عبد الله بن عامر.

وهي أخت عثمان بن عفان لأمه.

وتزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها يوم مؤتة، ثم تزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب وطلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولد إبراهيم وأحمد وغيرهما. ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده وكانت أول مهاجرة من مكة إلى المدينة.

وأخرج ابن مندة من طريق مجمّع بن جارية أنّ عمر قال لأم كلثوم بنت عقبة امرأة عبد الرّحمن بن عوف: أقال لك رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم «انكحي سيّد المسلمين عبد الرّحمن بن عوف: أقال لك رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم «انكحي سيّد المسلمين عبد الرّحمن بن عوف؟» فقالت: نعم. قال ابن سعد: هي أول من هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، ولا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى اللّه ورسوله إلا أم كلثوم، خرجت من مكّة وحدها، وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت في الهدنة، فخرج في أثرها أخواها فقدما ثاني يوم قدومها، فقالا: يا محمد، شرطنا أوف به. فقالت أم كلثوم: يا رسول اللّه أنا امرأة وحال النّساء إلى الضّعف، فأخشى أن يفتنوني في ديني ولا صبر لي، فنقض اللّه العهد في النّساء، وأنزل آية الامتحان، وحكم في ذلك بحكم رضوا به كلهم، فامتحنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله

وسلم والنّساء بعدها: «ما أخرجكنّ إلّا حبّ اللّه ورسوله والإسلام، لا حبّ زوج ولا مال» ، فإذا قلن ذلك لم يرددن.

قيل: مشت على قدميها من مكة إلى المدينة. و هاجرت أم كلثوم بنت عقبة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الحديبية، فجاء أخواها الوليد وفلان ابنا عقبة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلبانها، فأبى أن يردها عليهما وقال المفسرون: فيها نزلت: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} .(١)

(١) مصادر القصة : أسد الغابة ٣٧٦/٧ ، الطبقات الكبرى ٨/ ٢٣٠

-٢٨-

أم ورقة الأنصارية

من نساء الأنصار ، أسلمت مع السابقات بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وروت عنه .

نشأت على حب كتاب الله تعالى ، حتى جمعت القرآن العظيم في صدرها ، وكانت قارئة مجيدة للقرآن. اشتهرت بكثرة صلاتها وحسن عبادتها .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرها بأداء الصلاة في بيتها.

بلغ من حبها للجهاد ما قالته عن نفسها : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما غزا بدراً قلت له : يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك ، أمرض مرضاكم لعل الله أن يرزقني الشهادة ، قال : (قرّي في بيتك ؛ فإن الله تعالى يرزقك الشهادة)

أصبحت تعرف بالشهيدة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد زيارتها اصطحب معه ثلة من أصحابه وقال لهم :(انطلقوا بنا نزور الشهيدة).

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يزورها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت أم ورقة تملك غلاماً وجارية ، وكانت قد وعدتهما بالعتق بعد موتها ، فسولت لهما نفساهما أن يقتلا أم ورقة ، وذات ليلة قاما إليها فغمياها وقتلاها ، وهربا ، فلما أصبح عمر قال : والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة ، فدخل الدار فلم ير شيئاً ، فدخل البيت فإذا هي ملفوفة في قطيفة في جانب البيت ، فقال

صدق الله ورسوله ، ثم صعد المنبر فذكر الخبر ، وقال : عليّ بهما ، فأتي بهما ، فصلبهما ، فكانا أول مصلوبين في المدينة .(١)

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى (٤٥٧/٨) ، أسد الغابة (٤٠٨/٦) .

-٢٩-

أمامة ابنة أبي العاص

بن الربيع بن عبد العزى بن عبد مناف القرشية الهاشمية .

أمها زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت على عهد جدها صلى الله عليه وسلم وكان يحبها وحملها في الصلاة وكان إذ ركع أو سجد تركها، وإذا قام حملها.

وروي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال: "لأدفعنها إلى أحب أهلي إلي". فدعا أمامة ابنة زينب فعلقها في عنقها ولما كبرت أمامة تزوجها علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بعد موت فاطمة —رضي الله عنها- وكانت فاطمة أوصت عليا أن يتزوجها، فلما توفيت فاطمة تزوجها من الزبير بن العوام لأن أباها قد أوصاه بها، فلما جرح علي خاف أن يتزوجها معاوية فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أن يتزوجها بعده، فلما توفي علي وقضت العدة تزوجها المغيرة فولدت له يحيى وبه كان يكنى فهلكت عند المغيرة.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٦٥

-٣٠-

أمامة ابنة حمزة بن عبد المطلب

أمها سلمى بنت عميس وهي التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد -رضي الله عنهم- لما خرجت من مكة وسألت كل من مر بها من المسلمين أن يأخذها فلم يفعل، فاجتاز بها علي فأخذها فطلب جعفر أن تكون عنده لأن خالتها أسماء ابنة عميس عنده وطلبها زيد بن حارثة أن تكون عنده، لأنه كان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر لأن خالتها عنده، ثم زوجها رسول الله من سلمة ابن أم سلمة وسماها الواقدي عمارة وأخوها لأمها عبد الله وعبد الرحمن ابنا شداد وهي من الصحابيات المحدثات اللاتي أخذ عنهن جملة من مشاهير المحدثين.(١)

---

(١) مصادر القصة : : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٦٥

-٣١-

أميمة ابنة قيس بن أبي الصلت الغفارية

كانت عابدة زاهدة محبة للخير صانعة للمعروف ناهية عن المنكر لها صحبة حسنة، وروت أحاديث كثيرة وروى عنها جملة من التابعين، وكانت شفيقة على المجاهدين ودائما تحضر الوقائع وتداوي الجرحى وتدور بين القتلى وكانت تحث الناس على ذلك فقالت يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءته في نسوة من غفار: إنا نريد أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على بركة الله" وكان ذاهبا إلى خيبر فذهبن معه وصرن يداوين الجرحى ويوارين القتلى وهي تمديهن لما يلزم لذلك حتى انتهت الحرب ورجع المسلمون منصورين فنالت بذلك رضا ربها ومدح قومها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٦٧

-٣٢-

أميمة بنت صبيح أُم سيد الحفاظ

والدة أبي هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات .

نشأ أبو هريرة يتيماً حيث توفي والده وهو صغير ، وعاش في كنف أمه أميمة بنت صبيح بنت الحارث والتي تعرف بأم أبي هريرة .

قدم أبو هريرة على النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً المحرم من سنة سبع للهجرة ولكن أمه رفضت أن تسلم ، وظلت على شركها مدة ، حتى جاء أبو هريرة يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو إليه بثه وحزنه وما يؤلمه.

فعن أبي كثير السحيمي قال : حدثني أبو هريرة قال : والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي إلا أحبني ، قلت : وما علمك بذلك ؟ قال : إن أمي كانت مشركة وكنت أدعوها إلى الإسلام ، وكانت تأبى عليّ ، فدعوتها يوماً ، فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فأخبرته وسألته أن يدعو لها ، فقال : (اللهم اهد أم أبي هريرة) ، فخرجت أعدو أبشرها ،فأتيت فإذا الباب مجاف ، وسمعت خضخضة الماء، وسمعت حسي فقالت : كما أنت ، ثم فتحت، وقد لبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، فقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن ، فأخبرته ، وقلت : ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين ، فقال : (اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحببهم إليهما) .

قد كانت أم أبي هريرة مثالاً للجود والكرم ، فقد كان أبو هريرة ذات يوم جالساً مع حميد بن مالك بن خثيم في أرض أبي هريرة بالعقيق ، فأتاه قوم ، فنزلوا عنده ، قال حميد: فقال : اذهب إلى أمي فقل :إن ابنك يقرئك السلام ويقول : أطعمينا شيئاً ، قال : فوضعت ثلاثة أقراص في الصحفة وشيئاً من زيت وملح ، ووضعتهما على رأسي وحملتها إليهم . فلما وضعته بين أيديهم كبّر أبو هريرة وقال: الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز، بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودين : التمر والماء .(١)

(١) مصادر القصة : البداية والنهاية (١١٠/٨) ، فتوح البلدان (٢٥٦) ، حلية الأولياء (٣٨٠/١).

-٣٣-

أميمة بنت خلف المهاجرة الصابرة

حين بدأت الدعوة الإسلامية تظهر في مكة المكرمة أم القرى كانت أميمة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ممن صادفت همسات الإيمان قلبها خالياً فتمكنت منه، حيث حدثها زوجها خالد بن سعيد بن العاص عن إسلامه واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وصدقت، وإليك قصة إسلامها مع زوجها:

كان خالد بن سعيد قد رأى في النوم أنه واقف على شفير النار، فذكر من سعتها ما الله به أعلم، ويرى في النوم كأن أباه يدفعه فيها، ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذاً بحقويه لئلا يقع ، ففزع من نومه فقال : أحلف بالله إن هذه الرؤيا حق. فلقي أبا بكر – رضي الله عنه– فذكر ذلك له فقال أبوبكر : أريد بك خير ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ، فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع فيها. وأسلم خالد وحسن إسلامه، ودعا زوجه أميمة إلى الإسلام فأسلمت كذلك.

وعلم أبوه بإسلامه فأرسل في طلبه من بقي من ولده و لم يسلم، فوجدوه فأتوا به إلى أبيه أبي أحيحة، فأنبه وبكته وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه، ثم قال: أتبعت محمداً وأنت ترى خلافه قومه، وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم؟ فقال خالد: قد صدق والله اتبعته. فغضب أبو أحيحة ونال من ابنه وشتمه، ثم قال: اذهب يا لكع حيث شئت فوالله لأمنعنك القوت، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به. فأخرجه وقال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به. فانصرف خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويكون معه.

ولقد كانت أميمة بنت خلف إلى جانب زوجها بن سعيد، تتحمل الشدائد، وتقهر العذاب بالتضحية، وتتفوق على الحرمان بزاد الإيمان الذي لا ينفد. ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة كان خالد وزوجه أميمة أول من هاجر إليها، وولدت له هنالك ابنه سعيد بن خالد، وابنته أمة بنت خالد التي اشتهرت بكنيتها فيما بعد: أم خالد بنت خالد.

ولبثت أميمة في أرض الحبشة مع زوجها وولديهما بضعة عشرة سنة حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين، فقدم بهم عليه، ووجدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرغ من فتح خيبر، وسعدوا بلقاء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد أن مكثوا في الحبشة طالت فيها غيبتهم وغربتهم.

عاش خالد إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قتل في معركة مرج الصفر في المحرم سنة أربع عشرة، وعملت أميمة رضي الله عنها بوفاة زوجها فصبرت واحتسبت، فكيف لا تفعل ذلك وقد قال الذي قتل خالداً بعد أن أسلم: من هذا الرجل ؟ فإني رأيت نوراً ساطعاً إلى السماء.(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى (٩٤/٤) ، سير أعلام النبلاء (٢٦٠/١) .

-٣٤-

أم حرام رضي الله عنها

بنت ملحان بن خالد من بني النجار، وهي خالة أنس بن مالك، وهي زوجة عبادة بن الصامت، وكانت من الصالحات، وكان صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل في بيتها، ونام عندها يوماً، فاستيقظ (وهو) يضحك، فقالت: ما يضحكك يا رسول الله قال: (عرض علي ناس من أمتي يركبون البحر ملوكاً) قالت: فادع الله لي أن أكون منهم؟ فدعا لها، ثم نام ثانياً، واستيقظ (وهو يضحك) وقال ثانياً ما قال أولاً، فسألته أيضاً، أم حرامٍ أن يدعو لها بأن تكون منهم، فقال لها: (أنت من الأولين) ولما ولي الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه جهز جيشاً مع معاوية رضي الله عنه إلى فتح جزيرة قبرص فخرجت أم حرام مع زوجها عبادة غازية فلما وصلوا إلى جزيرة قبرص وخرجوا إلى البر، وخرجت أم حرام من البحر فقدموا إليها دابة لتركبها فركبت، و لم تستقر حتى صرعتها ووقعت إلى الأرض وماتت ودفنت في جزيرة قبرص رحمة الله تعالى عليها.(١)

---

(١) مصادر : الإصابة ٤/٤٤١، حلية الأولياء ٢/٦٠

-٣٥-

أم عمارة رضي الله عنها

نُسيبة بنت كعب الأنصارية رضي الله عنها. من بني النجار وصحابية مشهورة. تزوجها زيد بن عاصم النجّاري الأنصاري، فولدت له عبدالله وحبيبًا، ثم تزوجها غزية بن عمرو النجاري الأنصارى فولدت له تميمًا وخولة. وعبدالله هو الذى أُري الأذان في المنام. وحبيب هو الذي أخذه مسيلمة الكذاب وقال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ فقال: نعم. فقال: أتشهد أني رسول الله؟ فقال: لا، فكان مسيلمة يقطعه قطعة قطعة. أسلمت أم عُمارة، وحضرت ليلة العقبة الثانية. وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم وشهدتْ أُحُداً مع زوجها وابنيها عبدالله وحبيب وباشرت القتال بنفسها، وذبّت عن رسول الله [3] فخلصت إليها الجراح. وقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَمقام نُسيبة اليوم خير من مقام فلان وفلان.

كانت تحت وهب الأسلمي، فولدت له حبيب، ومات وهب فتزوجها زيد بن عاصم فولدت له عبد الله وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب.

في رواية قالت أم عمارة: كان والداي حبيب وعبد الله مع عمرو بن العاص في عمان، فلما عاد بعد وفاة رسول الله اعترضهم مسيلمة فنجا عمرو وقبض عل ولدي حبيب وعبد الله، فقال مسيلمة لحبيب: أتشهد أني رسول الله؟ فقال: لا اسمع، فحسب عنده، ثم قال لعبد الله كذلك، وحبسه، ثم قال لحبيب: أتشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم، فأمر به فقطعت أعضاؤه، وأحرق بالنار، ولما جهز الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد بالعساكر لحرب مسيلمة الكذاب خرجت معه أم عمارة، قالت: فلما انتهينا إلى الحديقة بعد قتال شديد، وجهد عظيم، واقتحمنا الحديقة فضاربناهم ساعة وجعلت قصد عدو الله مسيلمة

لأن أراه وخرس القوم فلا صوت إلا صوت السيوف حتى بصرت بعدو لله، فشددت عليه، وعرض لي رجل منهم فقطع يدي، فوالله ما عرجت عليها حتى انتهيت إلى الخبيث وه صريع، وأجد ابني عبد الله قد قتله، وفي رواية ابني عبد الله يمسح سيفه بثيابه، فقلت: اقتله؟ قال: نعم يا أماه، فسجدت لله شكراً، وقطع دابر الكافرين، فلما انقضت الحرب، جعت إلى مكاني فجاءني خالد بن الوليد بطيبٍ من العرب فداواني بالزيت المغلي، وكان والله، أشد علي من القطع وكان خالد كثير التعاهد لي، حسن الصحبة، ويعرف حقنا، ويحفظ فينا وصية نبينا صلى الله عليه وسلم.

وعن محمد بن يحيى بن حيان قال: جرحت أم عمارة، يومئذٍ اثني عشر جرحاً بين ضربة بسيف أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وقطعت يدها، وكان أبو بكر رضي الله (عنه) يأتيها يسأل عنها.

وتوفيت في خلافة عمر رضي الله عنه وقيل: إن قاتل مسيلمة هو وحشي لأنه كان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية، يعني حمزة رضي الله عنه وشر الناس في الإسلام، يعني مسيلمة، وقيل: قتلهما بحربة واحدة، وقيل: بل قتله معاوية رضي الله عنه وقيل: أبو دجانة رضي الله عنه.

قال في البخاري قال وحشي: خرجت مع الناس فإذا رجل قائم في ثلمة جدار جملاً أورق سافر الرأس فرميته في حربتي، فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، ووثب إلى رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته، فقالت جارية على

ظهر بيت: واَ أمير المؤمنين قتله العبد الأسود، وفي المنتقى: أشك أن الأنصاري أبو دجانة رضي الله عنه.(١)

(١) مصادر القصة : سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨١ - ٢٨٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٤١)، (٦/ ٢٦٨)

-٣٦-

أم هارون رضي الله عنها

كانت من الخائفات العابدات وكانت تأكل الخبز وحده وكانت تقول: ما أنشرح إلا بدخول الليل فإذا طلع النهار اغتممت، وكانت تقوم الليل كله فتقول: إذا جاء السحر دخل قلبي الروع وصرخت مرة فسمعت قائلا يقول: خذوها فوقعت مغشيا عليها وما دهنت رأسها بدهن مدة عشرين سنة، وكانت إذا كشفت رأسها وجد شعرها أحسن من شعر النساء.

قال أحمد بن أبي الحواري: وخرجت أم هارون من قريتها تريد موضعها. فصاح صبي بصبي خذوه. فسقطت أم هارون فوقعت على حجر فدميت، فظهر الدم من مقنعتها.

قال: وقال أبو سليمان: من أراد أن ينظر إلى صعق صحيح فلينظر إلى أم هارون.

وقال أبو سليمان: ما كنت أرى أنه يكون بالشام مثلها.

وبالإسناد قال أبو بكر القرشي: وبلغني عن القاسم الجوعي قال: مرضت أم هارون فأتينا نعودها أنا وصاحب لي، فدخلنا عليها وهي على طرف الدرجة فسألناها عن حالها. فقلت لها: أم هارون أيكون من العباد من يشغله خوف النيران عن الشوق إلى الجنان؟ فقالت: آه وسقطت عن الدرجة مغشياً عليها.

قال قاسم: وكانت أم هارون تأتي بيت المقدس من دمشق كل شهر مرة على رجليها. فدخلت عليها فقالت: يا قاسم كنت أمشي ببيسان فإذا قد عرض لي هذه الكلب الأسد فمشى نحوي. فلما قرب مني نظرت إليه فقتل: تعال يا كلب، إن كان لك رزق فكل. فلما سمع كلامي أقعى ثم ولى راجعاً.

أحمد بن أبي الحواري قال: قلت لأم هارون: أتحبين الموت؟ قالت: لا. قلت: ولم؟ قالت: لو عصيت آدمياً ما أحببت لقاءه، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته.(١)

(١) مصادر القصة : صفة الصفوة ٤٣٣/٢، تاريخ دمشق ٢٦٥/٧

-٣٧-

أم هانئ

فاختة ابنة أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية. بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخت علي بن أبي طالب أمها فاطمة بنت أسد واختلف في اسمها فقيل: هند. وقيل: فاطمة. وقيل: فاختة.

كانت تحت هبيرة بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومي. أسلمت عام الفتح، فلما أسلمت وفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب هبيرة إلى نجران وقال: حين فر معتذرا من فراره:

لَعَمْرُكَ مَا وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدا ... وَأَصْحَابَهُ جُبْنًا وَلا خِيفَةَ القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أحد ... لِسَيْفِي مَسَاغًا إِنْ ضَرَبْتُ وَلا نَبْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّا خِفْتُ ضَيْعَة مَوْقِفِي ... رَجَعْتُ لِعَوْدٍ كَالْهَزَبْرِ أبي الشبل

قال ابن إسحاق: إن هبيرة أقام بنجران، فلما بلغه إسلام أم هانئ، وكانت تحته قال أبياتا منها:

وَعَاذِلَةٍ هَبّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... وَتَعْذِلُنِي بِاللّيْلِ ضَلّ ضَلَالُهَا
وَتَزْعُمُ أَنّي إنْ أَطَعْت عَشِيرَتِي ... سَأَرْدَى. وَهَلْ يُرْدِينِ إلّا زِيَالُهَا

ومنها يخاطب أم هانئ:

أَشَاقَتْكِ هِنْدٌ إِنْ أَتَاكِ سُؤَالُهَا ... كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَانْفِتَالُهَا
فَإِنْ كُنْتِ قَدْ تَابَعْتِ دَيْنَ مُحَمَّدٍ ... وَقَطَعَتِ الْأَرْحَامَ مِنْكِ حِبَالُهَا
وَقَدْ أَرَّقَتْ فِي رَأْسِ حِصْنٍ مُمُرَّدٍ ... بِنَجْرَانَ كِسْرَى بَعْدَ يَوْمٍ خِيَالُهَا
فَكُونِي عَلَى أَعْلَى سَحِيقٍ بِهَضَبَةٍ ... مُمَنَّعَةٍ لَا يُسْتَطَاعُ تِلَالُهَا "

وهي أكثر من هذا، وولدت أم هانئ لهبيرة عمرا – وبه كان يكنى هبيرة وهانئا ويوسف وجعدة.

وأتت هي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إني قد أجرت حموين لي فزعم ابني أنه قاتلهما، فقال صلى الله عليه وسلم: "وقد أجرنا من أجرت، وآمنا من أمنت".

وقيل: ما أخبر أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى إلا أم هانئ فإنها حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل فسبح ثماني ركعات ما رأيته صلى صلاة أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود.(١)

---

(١) مصادر القصة : أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٩٣/٧ ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٣٥٦، طبقات ابن سعد "٨/ ٤٧"،

-٣٨-

أمة الجليل رضي الله عنها

كانت من العابدات الزاهدات، واختلف مرة العابدون في تعريف الولاية على أقوال فقالوا: امضوا بنا إلى أمة الجليل. فقالوا لها: ما الذي عندك من تعريف الولاية؟ فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا ليس لولي في الدنيا ساعة يتفرغ منها لشيء دون الله عز وجل، ثم قالت لواحد منهم: من حدثكم أن أولياء الله تعالى لهم شغل بغير الله تعالى فكذبوه رضي الله عنها.(١)

(١) مصادر القصة : الأولياء لابن ابي الدنيا(٨٧) ، صفة الصفوة ٢/٢٥٠

-٣٩-

إيشاع بنت فاقوذا

هي زوجة زكريا عليه السلام وأخت حنة أم مريم عليها السلام بنت عمران، تزوجها زكريا عليه السلام و لم تحمل منه وكانت عاقراً، وبلغت من العمر كثيراً حتى انقطع حيضها، وكانت أكبر من أختها حنة، وقيل أصغر منها.

ذكر في تفسير سورة "كهيعص" قوله تعالى: (قال ربِّ إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً و لم أكن بدعائك رب شقيا) أي قال زكريا: عودتني الإجابة فيما مضى، وقوله تعالى: (وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً) أي: ابناً، وقوله تعالى: (يرثني ويرث آل يعقوب..) قال الحسن: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة لأن زكريا عليه السلام كان نبياً مرسلاً، ورأس الأحبار. وقوله تعالى: (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى..) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه لم تلد العواقر مثله. وقوله تعالى: (قال رب اجعل لي آية..) أي دلالة على حمل امرأتي، لأنها عاقر وقد كبرت وأسنت قال تعالى: (آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أي: صحيحاً سليماً من غير بأس ولا خرس، وكان الناس ينتظرون خروجه من وراء المحراب، فخرج عليهم متغيراً لونه، فأنكروه وقالوا له: ما لك؟ فكتب لهم في الأرض (.. أن سبحوا بكرة وعشيا ...) لأنه كان يخرج عليهم بكرة وعشياً، فلما كان وقت حمل امرأته إنشاع ومنع من الكلام خرج إليهم وأمرهم بالصلاة [إشارة] ، ولما تم حملها ولدت يحيى عليه السلام ولما صار له من العمر ثلاث سنين أتاه الله الحكم صبياً، قرأ التوراة وهو صغير وذكر في "تاريخ ابن الوردي": أن إيشاع ولدت يحيى عليه السلام قبل ما

ولدت مرين عليها السلام عيسى بستة اشهر، فكان مولد يحيى سنة أربع وثلاثمائة لغلبة الاسكندر، ولهبوط آدم عليه السلام خمسة آلاف، وخمسمائة وأربع وثمانين.

وكان لهردوس حاكم اليهود بنت أخ، فأراد أن يتزوجها حسبما هو جائز في دين اليهود، فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك، فطلبت أم البنت من هردوس قتل يحيى فامتنع، فعاودته هي والبنت وألحت عليه، فأمر بذبح يحيى عليه السلام فذبح لديهما قبل رفع المسيح بمدة يسيرة.

وذكر في "تاريخ الدول": ولد يحيى قبل عيسى بستة اشهر، ونبئ وهو صغير، وكان لليهود ملكاً اسمه آجب، وقيل: هردوس، وكان يكرم يحيى، وكان يحب بنت أخيه. وقيل: بنت زوجته، فشاور يحيى بأن يتزوجها، فمنعه، فبلغ منعه أم البنت، فعمدت حين جلس هردوس للشرب وزينت بنتها وأرسلتها إلى هردوس لتسقيه الخمر، فإذا راودها تأبى حتى يعطيها رأس يحيى في طشت، ففعلت، ولما راودها أبت وطلبنا منه ذلك، فبعث الملعون إلى يحيى، وهو يصلي في محراب داود عليه السلام فذبحوه وحملوا رأسه في طشت، وأدخلوه على هردوس، والراس يتكلم ويقول: لا تحل لك، ووضعوه قدام تلك العاهرة، ثم أمر هردوس بدفنه، والدم يغلي منه ويفور، فوضعوه في حفرة، في دار هردوس.(١)

---

(١) مصادر القصة : الروضة الفيحاء في أعلام النساء ص١٦ ، تفسير البغوي ٤٣١/١، تفسير القرطبي ٧٩/١١

-٤٠-

بريرة مولاة عائشة

بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- وكانت مولاة لبعض بني هلال. وقيل: كانت مولاة لأبي أحمد بن جحش. وقيل: كانت مولاة أناس من الانصار فكاتبوها ثم باعوها من عائشة فأعتقها ولما أرادت عائشة أن تشتري بريرة اشترطوا عليها الولاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الولاء لمن أعطى الثمن" أو "لمن ولي النعمة".

وكان اسم زوجها مغيثا وكان مولى فخيرها رسول الله فاختارت فراقه، وكان يحبها فكان يمشي في طرق المدينة وهو يبكي واستشفع إليها برسول الله فقال لها فيه فقالت: أتأمر؟ قال: "بل أشفع"، قالت: فلا أريده، وكان عبدا وقد جعل النبي عدة بريرة حين فارقها زوجها عدة المطلقة.

وروي عن عبد الملك بن مروان أنه قال: كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لي: يا عبد الملك، إني أرى فيك خصالا، وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر فإن وليته فاحذر الدماء فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق".(١)

---

(١) مصادر القصة : أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٧/٧ ، ب: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٩٤ .

-٤١-

بهية ابنة عبد الله البكري

من بكر بن وائل وفدت مع أبيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايع الرجال وصافحهم وبايع النساء و لم يصافحهن قالت: فنظر إلي ودعاني ومسح رأسي ودعا لي ولولدي، ولما رجعت وتزوجت كثرت علي الأولاد وامتلأ المترل، وخشيت الفقر من كثرة العيال وكان عدد أولادي ستين ولدا، وأربعون رجلا وعشرون امرأة، فاستشهد منهم عشرون في الجهاد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، و لم يعلم بامرأة ولدت ستين ولدا غير هذه فسبحان الخالق الرازق.(١)

(١) مصادر القصة: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص١٠١

-٤٢-

بوران بنت الحسن بن سهل وزير المأمون

كانت بارعة في الحسن، صاحبة عقل وكمال وعفة، فبلغ خبرها إلى المأمون فخطبها من أبيها سنة تسع ومائتين ودخل بها سنة عشرة ومائتين، تزوجها في مدينة واسط. ولما أدخلت عليه نثر يوم عرسها على الهاشميين والقواد بنادق مسك فيها رقع بأسماء ضياع وجوار وخيل وكل من وقع بيده رقعة ملك ما هو مكتوب فيها.

نثر على الناس دنانير ودراهم، وأوقد ليلة زفافها شمعة عنبر وزنها أربعون مناً في فانوس من ذهب، ولما دخل المأمون على بوران نثرت على رأسه جدتها ألف حبة لؤلؤ نفيسة، ولما خلا المأمون بها حاضت من هيبة الخلافة. فقالت له: (أتى أمر الله فلا تستعجلو ... (. وحذقت الهاء لئلا تكون آية كاملة، ففطن المأمون لذلك، وأعجب بها، وخرج في الحال وأنشد ذلك:

فَارِسٌ مَاضٍ بِحَربتِهِ ... عَارِفٌ بِالطَّعنِ فِي الظُّلَمِ
رَامَ يُدْمِي فَرِيسَتَهُ ... فَاتَّقَتْهُ مِنْ دمٍ بِدَمِ(١)

(١) مصادر القصة : البداية والنهاية ١١/ ٤٩. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١٢/٢٤٥

-٤٣-

تركان خاتون الجلالية

ابنة طغفاج خان من نسل فراسياب التركي.

هي زوجة السلطان "ملكشاه" ووالدة السلطان "محمود بن ملكشاه" كانت من النساء العاقلات الدينات والحكيمات المدبرات. شهدت لها التواريخ وألسنة الأقلام بالحكمة والتدبير وعلو الهمة والإقدام، وكانت مطاعة في أوامرها، مسموعة الكلمة عند أمراء المملكة، محبوبة لديهم.

وكانت تبذل لهم العطايا والإقطاعات وكان زوجها لا يرد لها طلبا وهي المالكة والمشاركة له في الملك، وكانت من حسن سياستها وتدبيرها، توصلت لأن تصاهر الخليفة المقتدي بأمر الله العباسي، وذلك من كثرة ترددها على حريم الخلافة ومعها ابنتها "خاتون" وهي كانت من الجمال على جانب عظيم وصفوها للمقتدي فأحبها على الوصف وأرد الاقتران بها، فأرسل الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير إلى السلطان يخطب منه ابنته للخليفة فقال له: إن ذلك مما يزيدني شرفا، ولكن الأمر في ذلك إلى والدتها "تركان خاتونه" فيجب أن تذهب إليها.

وأمر نظام الملك أن يمضي معه إلى "تركان خاتون" ويتكلم معها في هذا المعنى فمضيا إليها فخاطبها فقالت: إن ملك غزنة وملوك الخانية، وما وراء النهر طلبوها وخطبوها لأولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فلم أرض، فإن حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم، فبلغ الخبر "أرسلان" والدة الخليفة فتأثرت من ذلك وأرسلت إلى "تركان خاتون" تقول: إن ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة لم يحصل لأحد غيرها وكلهم عبيده وخدمه، ومثل الخليفة لا يطلب منه مال فأجابت إلى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وأنه لا يبقى

له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته إلا عندها، فأجيبت إلى ذلك، فأعطى السلطان يده فعاد فخر الدولة إلى بغداد.

وفي محرم نقل جهازها إلى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي وكان أكثر الأحمال من الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وستين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة، عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومن عظيم إكسير الذهب، وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة "كوهرائين" والأمير "برسق" وغيرهما. ونثر أهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان خرج من بغداد متصيدا، ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع إلى "تركان خاتون" وبين يديه نحو الثلمائة موكبه ومثلها مشاعل ولم يبق في الحريم غرفة إلا وقد شعلت فيها الشمعة والاثنتان، وأكثر من ذلك، وأرسل الخليفة مع "ظفر" خادمه محفة لم ير مثلها.

وقال الوزير لما وصل ل "تركان خاتون": إن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقد أذن في نقل الوديعة إلى داره، فأجابت بالسمع والطاعة، وحضر نظام الملك فمن دونه دولة السلطان، وكل منهم معه من الشمع والمشاعل شيء كثير، وجاء نساء الأمراء والكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين أيديهن الشموع الموكبات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شيء وقد أحاط بالمحفة مائة جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة، وسارت إلى دار الخلافة وكانت ليلتهم مشهودة لم ير ببغداد مثلها، فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطنة وخلع عليهم كلهم وعلى

كل من له ذكر في العسكر وأرسل الخلع مدة في دار الخليفة وولدت منه ولدا لم يطب لها المقام معه فأخبرت والدها بذلك وهي أرسلت إلى الخليفة تطلب ابنتها طلبا لا بد منه، وسبب ذلك أن الخليفة أكثر الاطراح لها والإعراض عنها، فأذن لها في المسير، فسارت في ربيع الأول سنة ٤٨٢ هـ وسار معها ابنها من الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدي بأمر الله ومعها سائر أرباب الدولة، ومشى مع محفتها سعد الدولة "كوهرائين" وخدم دار الخلافة الأكابر، وخرج الوزير وشيعهم إلى النهروان وعاد وسارت الخاتون إلى أصبهان فأقامت بها إلى ذي القعدة، وتوفيت، وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة أيام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان.

وسار "ملكشاه" بعد قتل نظام الملك إلى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٥ م لقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير واتفق أن السلطان خرج إلى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا وأنشب الموت أظفاره فيه، وكان سبب مرضه أنه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يصر إخراج الدم فثقل مرضه، وكانت حمته محرقة فتوفي ليلة الجمعة في النصف من شوال سنة ٤٨٥هـ.

ولما ثقل نقل أرباب الدولة أموالهم إلى حريم دار الخلافة، ولما توفي سترت زوجته "تركان خاتون" موته وكتمته وأعادت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان إلى أبيه المقتدي بأمر الله وسارت إلى بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الأموال للأمراء سرا، واستحلفتهم لابنها محمود، وكان تاج الملك يتولى ذلك لها، وأرسلت قوام الدولة "كربوقا" إلى أصبهان بخاتم السلطان، فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر أن السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله ولم يصل عليه أحد ولم يلطم عليه وجه.

وكان مولده سنة ٤٧٦ هـــ، وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام من أقصى بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن وحمل إليه ملوك الروم الجزية و لم يفته مطلب، وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل وعدل مطرد وما ذلك إلا باتحاده مع "تركان خاتون"، وعدم إتيانه أمرا إلا برأيها ومشورتها حتى دانت لهما العباد، وذلك لسلطانهما البلاد.

ولما مات "ملكشاه" وفعلت زوجته كما ذكر أرسلت إلى الخليفة المقتدي في أمر الخطبة بأن يخطب لولدها محمود فأجابها بشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون مدير زعامة الجيوش الأمير "أنز" يصدر عن رأي تاج الملك وهو الذي يدبر الأمر بين يدي "تركان خاتون" فلما جاءت رسالة الخليفة إلى "خاتون" بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها: إن ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته، وكان مخاطبها الغراني، فأذعنت له وأجابته إليه ولقب ناصر الدنيا والدين وأرسلت "تركان خاتون" إلى أصبهان في القبض على "بركيارق" أكبر أولاد السلطان خيفة أن ينازع ولدها في السلطنة، فقبض عليه، فلما ظهر موت "ملكشاه" وثبت المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان فأخذوه وساروا من البلد وأخرجوا "بركيارق" من الحبس وملكوه بأصبهان وكانت والدته زبيدة بنت ياقوتي بنت عم "ملكشاه" خائفة على ولدها من "تركان خاتون" أم محمود فأتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت "تركان خاتون" من بغداد إلى أصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالأموال فوعدهم، لما وصلوا إلى قلعة برجين صعد إليها ليتزل الأموال منها، فلما استقر فيها عصى على "تركان خاتون" و لم يتزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا شيء، ولما وصلت "تركان خاتون" إلى أصبهان لحقها تاج الملك واعتذر لها بأن مستحفظ القلعة حبسه وأنه هرب منه إليها، فقبلت عذره.

وأما "بركيارق" فإنه لما قاربت "تركان خاتون" وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الري فلقيهم "أرغش" النظامي في عساكره وصاروا يدا واحدة، فلما اجتمعوا حاصروا قلعة "طبرق" وأخذوها عنوة، وسيرت "تركان خاتون" العساكر إلى قتال "بركيارق" فالتقى العسكران بالقرب من "بروجرد"، فاجتاز جماعة من الأمراء والذين في عسكر "خاتون" إلى "بركيارق" منهم الأمير "يلبرد": و"كمشتكين الجاندار" وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم، وآخر ذي الحجة اشتد القتال فانهزم عسكر "خاتون" وعادوا إلى أصبهان وصار "بركيارق" في أثرهم فحصرها بأصبهان.

وكان تاج الملك في عسكر "خاتون وشهد الوقعة، فهرب إلى نواحي "بروجرد" فأخذ وحمل إلى عسكر "بركيارق" وهو يحاصر أصبهان، وكان يعرف كفاءته، فأراد أن يستوزره، فشرع تاج الملك في إصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتي ألف دينار سوى العروض فزال ما في قلوبهم، فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه، فوضع الغلمان الأصاغر على الاستغاثة وأن لا يقنعوا إلا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه، وفصلوه أجزاء وكان كثير الفضائل جم المناقب، وإنما غطى جميع محاسنه ممالاته على قتل نظام الملك، وهو الذي بنى تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وعلم المدرسة التي إلى جانبها، ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشي، وكان عمره حين قتل سبعا وأربعين سنة.

وفي شعبان سنة ٤٨٦ أرسلت "تركان خاتون" إلى إسماعيل بن ياقوتي بن داود خال "بركيارق" وابن عم "ملكشاه" تطمعه أن تتزوج به وتدعوه إلى محاربة "بركيارق"، فأجابها إلى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم أصحاب "سرهنك ساوتكين" في خيله، وأرسلت إليه "تركان خاتون" "كروبقا" وغيره من

الأمراء في عسكر كثير، ممدا له، فجمع "بركيارق" عساكره وسار إلى حرب خاله إسماعيل، فالتقوا عند الكرج فانحاز الأمير "يلبرد" إلى "بركيارق" وصار معه فانهزم إسماعيل وعسكره وتوجه إلى أصبهان، فأكرمته "تركان خاتون" وخطبت باسمه وضربت اسمه على الدنانير بعد ابنها محمود بن "ملكشاه" وكاد الأمر في الوصلة يتم بينهما، فامتنع الأمراء عند ذلك لاسيما الأمير "أنز" وهو مدبر الأمر ورئيس الجيش وآثروا خروج إسماعيل عنهم، وخافوه وخاف هو أيضا منهم، ففارقهم وأرسل يستأذن أخته "زبيدة" والدة "بركيارق" في اللحاق بهم فأذنت له في ذلك، فوصل إليهم وأقام عندهم أياما يسيرة، فخلا به "كمشتكين الجاندار" و"آقسنقر" و"بوزوان" وبسطوا له في القول فأطلعهم على سره وأنه يريد السلطنة وقتل "بركيارق" فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه.

وفي سنة ٤٨٦ هـ أرسلت "تركان خاتون" جيشا مع الأمير "أنز" لقتال "توران شاه بن قاورت بيك" حاكم بلاد فارس فسار إليه وحاربه وأخذ أكثر بلاده وبقي حاكما عليها، ولما لم يحسن الأمير "أنز" تدبير بلاد فارس استوحش منه الأجناد واجتمعوا مع "توران شاه" وهزموا "أنز"، ومات "توران شاه" بعد الكسرة بشهر من سهم أصابه فيها.

وبقيت "تركان خاتون" في عز ورفعة ومنعة لم يقدر عليها أحد من الملوك والسلاطين، وطالما حاول "بركيارق" إذلالها وأخذ السلطنة منها فلم يقدر عليها، وذلك من كثرة حكمتها وكرمها وحسن إدارتها فإن جميع الأمراء كانت تحبها وتسعى في خدمتها إلى أن توفيت في رمضان سنة ٤٨٧ هـ بأصبهان.

وكانت قد برزت من أصبهان لتسير إلى تاج الدولة "تتش" لتتصل به فمرضت وعادت وماتت، وأوصت إلى الأمير "أنز" وإلى الأمير "سرمز" شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة

آلاف فارس أتراك وكان لها جملة آثار مثل: بناء مساجد وأضرحة، ومدارس، وبيمارستانات وخلاف ذلك في جميع أنحاء المملكة، وأسف الناس عليها أسفا شديدا تغمدها الله برحمته.(١)

(١) مصادر القصة : الكامل في التاريخ ٣٨٥/٨، ٣٨٦ . : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص١٠٦

-٤٤-

تقية ابنة أبي الفرج

أم علي الشاعرة بِنْت المحدث غَيْث بْن علي السُّلَميّ الأرْمَنَازي، ثم الصُّوري. [المتوفى: ٥٧٩ هـــ]

والدة المحدث تاج الدين علي بْن فاضل بْن صمدون الصّوري. ذكرها الحافظ السلفي في تعليقه وأثنى عليها وأخذت عنه العلم بثغر الإسكندرية وفاقت الرجال فيه ولها زيادة على ذلك الباع الطولى في الشعر والأدب ولطائفها الأدبية مع الحافظ المذكور كثيرة منها أنه كان مارا بمنزله، فعثر فجرح قدمه فقطعت جارية من الدار قطعة من خمارها وعصبت بها قدمه فأنشأت تقية تقول:

لو وجدت السبيلَ جُدْتُ بخدّي ... عِوَضًا عَن خمار تلك الوليدة

كيف لي أن أقبّل اليومَ رِجْلًا ... سلكت دَهْرَهَا الطّريق الحميدة

قال ابن خلكان: وحكى الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري أنها نظمت قصيدة تمدح بها الملك المظفر عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين - وكانت القصيدة خمرية - وصفت بها آلة المجلس وما يتعلق بالخمر، فلما وقف عليها قال: الشيخة تعرف هذه الأحوال من زمن صباها. فبلغها ذلك، فنظمت قصيدة أخرى حربية وصفت فيها الحرب وما يتعلق بها أحسن وصف، ثم سيرت بها إليه تقول: علمي بتلك كعلمي بهذه.

وكان قصدها براءة ساحتها مما نسبها إليه في صباها.(١)

---

(١) مصادر القصة : تاريخ الإسلام ٦٢٦/١٢ ، «وفيات الأعيان» (١/ ٢٩٧- ٣٠٠) ، و «العبر» (٤/ ٢٣٧) و «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٩٤- ٩٥) .

ـ٤٥ـ

تماضر الشهيرة بالخنساء

هي ابنة عمرو بن الحارث ابن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة. وقيل تهبه بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر، وتكنى أم عمرو، وإنما الخنساء لقب غلب عليها وهي الظبية وكان دريد بن الصمة رآها يوما وهي تهنا جملا فعلق بها وقال فيها:

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعُوا صَحبي ... وقِفوا فإنَّ وقوفَكُمْ حَسْبي

أخناسُ قدْ هامَ الفؤادُ بكمْ ... وأصابهُ تبلٌ منَ الحبِّ

وخطبها بعد ذلك إلى أبيها فقال له أبوها: مرحبا يا أبا قرة إنك لكريم لا يطعن في حسبه واليد لا ترد عن حاجته ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها وإنما أذكرك لها ثم دخل عليها وقال: يا خسناء، أتاك فارس هوزان وسيد بني جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو ممن تعلمين، ودريد يسمع قولها فقالت: يا أبت، أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة بني جشم هاته اليوم أو غدا وأنشأت تقول:

أتخطبني هبلت على دريد ... وتطرد سيدا من آل بدر

معاذ الله ينكحني خبر كي ... يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أمسيت في جشم هديا ... لقد أمسيت في دنس وفقر

فخرج إليه أبوها فقال: يا أبا قرة، قد امتنعت ولعلها أن تجيب فيما بعد فقال دريد: سمعت ما دار بينكما وانصرف غضبان وقال يهجو الخنساء:

لمن طلل بذات الخمس أمس ... عفا بين العقيق فبطن خرس

أشبهها غمامة يوم دجن ... تلألأ برقها أو ضوء شمس

وهي طويلة اضربنا عنها فقيل للخنساء: ألا تجيبيه؟ فقالت: لا أجمع عليه أن أرده وأهجوه، ولما ردت دريدا خطبها رواحة بن عبد العزيز السلمي فولدت له عبد الله، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر فولدت له يزيد ومعاوية وبنتا اسمها عمرة.

حكى بعضهم أنه لما كانت ليلة زفاف عمرة كانت أمها جالسة ملتفة بكساء أحمر وقد هرمت وهي تلحظ ابنتها لحظا شديدا فقال القوم: يا عمرة، ألا تحرشت بأمك فإنها الآن تعرف بعض ما أنت فيه، فقامت عمرة تريد شيئا، فوطأت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت لها وقد اغتاظت: حسن إليك يا حنفاء كأنما تطئين أمة ورهاء أنا كنت أكرم منك عرسا، وأطيب ورسا، وذلك زمان إذ كنت فتاة أعجب الفتيان، لا أذيب الشحم ولا أرعى البهم، كالمهرة الصنع لا مضاعة ولا عند مضيع، فضحك القوم من غيظها.

وكانت الخنساء من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم وهي تعد من الطبقة الثانية في الشعراء، وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر. وكان معاوية أخاها لأمها وأبيها، وكان صخر أخاها لأبيها وأحبهما إليها واستحق صخر ذلك منها لأنه كان موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاع، محظوظا في العشيرة وأجمل رجل في العرب، فلما قتل جلست الخنساء على قبره زمانا طويلا تبكيه وترثيه وفيه جل مراثيها، وكانت في أول أمرها تقول البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها معاوية وصخر وقد أجمع الشعراء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.

وقيل لجرير: من أشعر الناس؟ فقال: أنا لولا هذه الخبثية -يعني الخنساء- قال بشار: لم تقل امرأة شعرا إلا تبين الضعف في شعرها. فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ قال: تلك فوق الرجال. وكان الأصمعي يقدم ليلى الأخيلية عليها.

قال المبرد: كانت الخنساء وليلى فائقتين في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول، وكان النابغة الذبياني يجلس للشعراء في سوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتنشده أشعارها فأنشدته الخنساء في بعض المواسم قصيدتها الرائية التي في أخيها صخر، فأعجبه شعرها وقال له: اذهبي فأنت أشعر من كانت ذات ثديين، ولولا هذا الأعمى أنشدني قبلك -يعني الأعشى- لفضلتك على شعراء هذا الموسم فإنك أشعر الإنس والجن وكان ممن عرض شعره في ذلك الموسم حسان بن ثابت فغضب وقال: أنا أشعر منك ومنها. فقال: ليس الأمر كما ظننت، ثم التفت إلى الخنساء. وقال: ياخناس خاطبيه، فالتفتت إليه الخنساء وقالت: ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفا؟ قال قولي فيها:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت: ضعفت افتخارك وأندرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا. قالت: قلت لنا: الجفنات والجفنات مادون الغر، ولو قلت: الجفان لكان أكثر، وقلت: الغر، والغرة: بياض في الجبهة، ولو قلت: البيض لكان أكثر اتساعا، وقلت: يلمعن، واللمع: شيء يأتي بعد شيء، ولو قلتك يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان. وقلت بالضحى ولو قلت: بالدجى لكان أكثر إطراقا، وقلت: أسياف، والأسياف: ما دون العشرة، ولو قلت: سيوفا لكان أكثر،وقلت: يقطرن، ولو قلت: يسلن لكان أكثر، وقلت: دما، والدماء: أكثر من الدم.

فسكت حسان ولم يرد جوابا وكان في أثناء ذلك ظهور الإسلام، فقدمت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت واستنشدها فأنشدته فأعجب بشعرها وهو يقول: "هيه يا خنساء". ثم انصرفت.

وقيل: إن عمر بن الخطاب سألها ما أقرح مآقي عينيك؟ قالت: بكائي على السادات من مضر. قالك يا خنساء، إنهم في النار. قالت: ذاك أطول لعويلي عليهم إني كنت أبكي لهم من الثأر، وأنا اليوم أبكي لهم من النار. وقيل: إنها أقبلت في خلافته حاجة، فنزلت بالمدينة بزي الجاهلية فقام إليها عمر في أناس من الصحابة فدخل عليها فإذا هي كما وصفت له فعذلها ووعظها، وقال لها: إن الذي تصنعين ليس صنع الإسلام، وإن الذين تبكين هلكوا في الجاهلية وهم أعضاء اللهيب وحشو جهنم. فقالت: اسمع مني ما أقول في عذلك إياي ولومك لي فقال: هات: فأنشدته من شعرها في أخويها فتعجب من بلاغتها. وقال: دعوها فإنها لا تزال حزينة أبدا.

وقيل: إنها أتت عائشة فنظرت إليها وعليها الصدار وهي محلوقة الرأس تدب من الكبر على عصي فقالت لها عائشة: أخناس؟ فقالت: لبيك يا أماه، قالت: أتلبسين الصدار وقد نهي عنه في الإسلام؟ فقالت: لم أعلم بنهيه. قالت: ما الذي بلغ بك ما أرى؟ قالت: موت أخي صخر. قالت عائشة: ما دعاك إلى هذا صنائع من جميله، فصفيها لي. قالت: نعم، إن لشعري سببا، وذلك أن زوجي كان رجلا متلافا للأموال يقامر بالقداح، فأتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء فأراد أن يسافر فقلت له: أقم وأنا آتي أخي صخرا فأسأله، فأتيته، فشكوت إليه حالنا وقلة ذات أيدينا فشاطرن ماله، فانطلق زوجي فقامر به فقمر حتى لم يبق لنا شيء فعدت إليه في العام المقبل أشكو غليه حالته فصار لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي، فلما كان في الثالثة أو في الرابعة خلت بصخر امرأته فعذلته ثم قالت: إن زوجها مقامر وهذا ما لا يقوم به شيء فإن كان ولا بد من صلتها فأعطها خمس مالك فإنما هو متلف والخير فيه والشر سيان، فأنشأ يقول لامرأته.

والله لا أمنحها شرارها ... وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت مزقت خمارها ... واتخذت من شعر صدارها

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه، فما هلك اتخذت هذا الصدار، والله لا اخلف ظنه ولا اكذب قوله ما حيت.

وكان للخنساء أربعة بنين فلما ضرب البحث على المسلمين بفتح فارس صارت معهم وهم رجال، وحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هجرية وسنة ٦٣٨ ميلادية وأوصتهم من الليل بقولها: يا بني، إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما إنكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وأعلموا إن الدار الآخرة خير من الدار الفانية (اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: ٢٠٠) ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في الدار الخلد والمقامة، فلما أضاء لهم الصبح باكروا إلى مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغ الخبر إليها فقالت: الحمد الله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة، وكان عمر بن الخطاب يعطها أرزاق بنيها الأربعة، وكان لكل منهم مائة درهم حتى قبض.

وأخبار الخنساء كثيرة وهي أشهر من أن تذكر، ومن شعرها قولها في أخويها معاوية وصخر وأبيها عمرو:

أبكي أبي عمرا بعين غريرة ... قلل إذا نام الخلي هجودها
وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها
وصخرا ومن ذا مثل صخر إذا غدا ... بسلهبة الآطال قرم يقودها

وقولها في أخويها:

من حس بالأخوين كال ... غصنين أو من رآهما
قرمين لا يتظالما ... ن ولا يرام حماهما

ويلي على الأخوين وال ... قبر الذي واراهما
رمحين خطيين في ... كبد السماء ثناهما
ما خلفا إذ ودعا ... في سودد ثرواهما
سارا بغر تكلف ... عفوا بفيض نداهما

وقولها ترثي أخاها معاوية:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية ... إذا طرقت إحدى الليالي بداهيه
بداهية يصغي الكلاب حسيسها ... وتخرج من سر النجي علانيه
ألا لا أرى كالفارس الورد فارسا ... إذا ما علته جهرة وعلانيه
وكان لزاز الحرب عند شبوبها ... إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكيه
بلينا وما تبلى نضار وما ترى ... على حدث الأيام إلا كما هيه
فأقسمت لا ينفك دمعي وعوليّ ... عليك بحزن ما دعا الله داعيه

وقولها أيضا فيه وكان مقتله في بني مرة:

ألا ما لعينك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو من آل الشري ... د حلت به الأرض أثقالها
وأقسمت آسي على هالك ... وأسأل نائحة ما لها
سأحمل نفسي على آلة ... فإما عليها وإما لها
نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها
ورجراجة فوقها بيضها ... عليها المضاعف أقتالها
ككر فئة الغيث ذات الصبي ... ر ترمي السحاب ويرمي لها
وقافية مثل حد السنا ... ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فسهلتها ... و لم ينطق الناس أمثالها
فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها

تزول الكواكب من فقده ... وجللت الشمس إجلالها

وأما مراثيها في أخيها صخر فكثيرة جدا كما قلنا وأشهر ما قالت فيه قولها عندما مات:

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل ... دراك ضيم وطلاب بأوتار

قد كنت تحمل قلبا غيره مؤتشب ... مركب في نصاب غير خوار

فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة ... وما أضاءت نجوم الليل للساري

شدوا المآزر حتى تستعاد لكم ... وشمروا إنها أيام تشمار

وابكوا فتى الحي لاقته منيته ... وكل حي إلى وقت ومقدار

وقولها:

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي ... على موتاهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

وقولها:

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندا

ألا تبكيان الجرئ الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العم ... د ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم ... إلى المجد مد إليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم ... إلى المجد ثم مضى مسعدا

يحمله القوم ماعالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا

ترى المجد يهدي إلى بيته ... يرى أفضل المجد أن يحمدا

وإن ذكر المجد ألفيته ... تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقولها:

قذى بعينيك أم بالعين أعور ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار
تبكي لصخر العبرى وقد ذرفت ... ودونه من جديد الترب أستار
لا بد من موته في صرفها غير ... والدهر في صرفه حول وأطوار
يا صخر وارد ماء قد تناذره ... أهل الموارد ما في ورده عار
مشى السبنتي إلى هيجاء معضلة ... له سلاحان أنياب وأظفار
فما عجول على بو تطيف به ... لها حنينان إصغار وإكبار
ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار
لا تسمن الدهر في أرض وإن رتعت ... فإنما هي تحنان وتسجار
يوما بأوجد مني يوم فارقني ... صخر وللدهر إحلاء وإمرار
فإن صخرا لوالينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار
وإن صخرا التأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار
لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلى بيته الجار
ولا تراه وما في البيت يأكله ... لكنه بارز بالصحن مهمار
مثل الرديني لم تنفذ شبيبته ... كأنه تحت طي البرد أسوار
في جوف رمس مقيم قد تضمنه ... في رمسه مقمطرات وأحجار
طلق اليدين لفعل الخير ذو فخر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
في رفقة حار حاديهم بمهلكه ... كأن ظلمتها في الطخية القار
كان دمعي لذكراه إذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي خناس على صخر وحق لها ... إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار
وتوفيت الخنساء في البادية في خلافة معاوية بن ابي سفيان رحمه الله عليها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الإصابة (٢٨٧/٤) ، الاستيعاب لابن عبد البر(٢٩٧/٤) .

-٤٦-

ثبيتة

ابنة يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصارية.

كانت من المهاجرات الأوائل ومن فاضلات النساء الصحابيات وهي امرأة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهي مولاة سالم مولى أبي حذيفة قتل سالم يوم اليمامة.

وكانت ثبيتة من النساء الأديبات العابدات الزاهدات الصابرات على العبادة مشهورة بحسن صحبتها ولها رواية مثبوتة عند المحدثين.(١)

(١) مصادر القصة : أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤٦/٧ ، الإصابة ٦٠/٨

-٤٧-

ثويبة الأسلمية

مولاة أبي لهب. قال ابن سيد الناس: أسلمت ثويبة و لم تهاجر ومن الناس من ينكر إسلامها، وقد ألف في إسلامها علاء الدين مغلطاي جزءاً ثم ذكر في سيرته: أن ابن حبان صحح حديثاً دل على إسلامها، وقد أثبت ابن منده إسلامها. وذكر في "الخصائص" أنه لم ترضعه صلى الله عليه وسلم مرضعة إلا أسلمت، وكان إرضاعها له صلى الله عليه وسلم بلبن ابن لها اسمه مسروح وقال جماعة بإسلامه، وقيل مات على الكفر، وقيل: قبل النبوة، وكانت أرضعت قبل النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو سفيان يألف النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وعاداه بعدها وهجره وهجاه، ثم أسلم وعاد إلى مودته، ووقف مع النبي صلى الله عليه وسلم المواقف العظيمة، ولما عاد أبو سفيان منهزماً يوم بدر لقيه عمه أبو لهب وقال له: ما وراءك؟ قال: البلايا والرزايا، ما هو إلا أن لقينا القوم حتى منحناهم أكتافنا يأسرون ويقتلون كما شاءوا ولما أسلم أبو سفيان قربه النبي صلى الله عليه وسلم وأدناه لأنه ابن عمه، ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، رثاه أبو سفيان ابن الحرث فقال:

هجوتَ محمداً فأجبت عنهُ ... وعندَ الله في ذاكَ الجزاءُ

وكان قد قدم أبو سفيان ومعه ولده جعفر وعبد الله ابن عمته وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها، في غزوة الفتح إلى عند النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنهم فقالت أم سلمة، رضي الله عنها: يا رسول الله لا يكون ابن عمك وأخو ابن عمك أشقى الناس بك، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: أما ابن عمي فهو

الذي هجاني، وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال يعني قوله تعالى (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) ثم قدما مسلمين فقبل إسلامهما ورضي عنهما، وشهدا معه الفتح وحنين والطائف، ويروى أن أبا سفيان ما رفع رأسه إلى النبي حياء منه. ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أبو سفيان من شباب أهل الجنة أو سيد فتيان الجنة" ويروى أن أبا سفيان حفر قبر نفسه قبل موته بثلاثة أيام وسبب موته أنه حج فلما حلق قطع الحلاق ثألولاً كان في رأسه، وتمرض ومات وصلى عليه عمر ودفن في دار عقيل، وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "إني لأرجو أن يكون خلفاً من حمزة" وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: "أبو سفيان خير أهلي، أو من خير أهلي" ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: "هلمي فانظري إلى ابن عمتي الذي كان يهجو أول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه" وكانت ثويبة أرضعت قبل النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والحمزة رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أسن من النبي بسنتين أو بأربعة.

ولما ولد سارت ثويبة إلى مولاها أبي لهب، وبشرته بولادة النبي المنتخب فأعتقها، وقد ذكرنا سابقا أن مما لا يجوز القول به لمخالفته القرآن من قال إنه يخفف العذاب عن أبي لهب كل يوم اثنين أو ليلته وأما الرؤيا التي ذكرت عن العباس أنه رأى فيها أبا لهب بالمنام فسأله عن حاله فقال له يخفف عني العذاب كل ليلة اثنين وأمص من بين أصابعي ماء مثل هذا وأشار إلى نقرة إبهامه وأن ذلك بإعتاقي لثويبة حين بشرتني بولادة محمد صلى الله عليه وسلم ابن أخي وبإرضاعها له فهذا لا يقبل ومردود عليه لمخالفته ما جاء في قوله تعالى عن الكفار في النار (فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) سورة البقرة.

وذكر في "شرح ذات الشفاء" أنه إنما أعتقها لما هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة، وكانت خديجة تكرمها، وطلبت من أبي لهب ابتياعها فأبى، فلما هاجر صلى الله عليه وسلم أعتقها وكان صلى الله عليه وسلم يبعث لها بصلة وكسوة، وهي بمكة. وجاء خبر موتها مرجعه من خيبر، سنة سبع من الهجرة، والله أعلم.(١)

(١) مصادر القصة : المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص٢٣ ، الروضة الفيحاء في أعلام النساء ص٣٧

-٤٨-

جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح الأنصارية

هي أخت عاصم بن ثابت امرأة عمر بن الخطاب تكنى أم عاصم بابنها عاصم بن عمر بن الخطاب سمته باسم أخيها وكان اسمها عاصية، فلما أسلمت سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة، تزوجها عمر سنة ٧ من الهجرة فولدت عاصماً، ثم طلقها عمر بتزوجها يزيد بن حارثة، فولدت له الرحمن بن يزيد فهو أخو عاصم لأمه.

وقيل: إن عمر ركب إلى قبيلتها فوجد ابنه عاصماً يلعب مع الصبيان فحمله بين يديه، فأدركته جدته الشموس بنت أبي عامر فنازعته إياه حتى انتهى إلى أبي بكر الصديق فقال له أبو بكر: خل بينه وبينها فما راجعه وسلمه إليها لكونها حاضنته وكانت جميلة إذ ذاك متزوجة بيزيد بن حارثة.(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى ١٤٤/١١ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٨٠٢/٤

-٤٩-

أم سعد ابنة النقيب الشهيد

نحن الآن مع سيرة صحابية جليلة استشهد أبوها في غزوة أحد ، وكانت أمها حاملاً بها ، ووضعتها بعد عدة أشهر من استشهاد والدها.

إنها جميلة بنت سعد بن الربيع رضي الله عنهما ، والتي اشتهرت بكنيتها: أم سعد.

نشأت رضي الله عنها يتيمة في حجر أبي بكر الصديق رضي الله عنه واقتبست من أخلاقه الكريمة ، ومن خصاله الحسان ما رفع مكانتها ، وطيب سيرتها.

وقد أنزل الله عزل وجل في شأن أم هذه الصحابية وأختيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ، ذلك أنه لما استشهد سعد بن الربيع في أحد ، جاء أخوه فأخذ ميراث سعد ، وكان لسعد بن الربيع بنتان ، وكان المسلمون يتوارثون على ما كان في الجاهلية ، لأن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث حتى استشهد سعد بن الربيع رضي الله عنه ، فلما أخذ عمهن الميراث كانت عمرة زوج سعد امرأة حازمة عاقلة صابرة ، فساءها ما صنع أخو زوجها ، وفزعت تشكو ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لينطق بحكم الله تعالى ولينقذها وابنتيها من ظلم الجاهلية.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ،هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيداً ، وإن عمهما أخذ ما لهما فلم يدع لهما مالاً ، ولا ينكحان إلا لهما مال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يقضي الله في

ذلك). فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال : (أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن وما بقي فهو لك).

تزوجت أم سعد رضي الله عنها من زيد بن ثابت الأنصاري ، كاتب الوحي والمصحف ، وأحد الأذكياء النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاستفادت أم سعد رضي الله عنها من زيد في فقهه وعلمه ما جعلها في مقدمة العالمات الفقيهات من نسوة الأنصار رضي الله عن الجميع.

وولدت أم سعد لزيد عدداً من الأبناء النجباء هم : خارجة ، وسليمان ، ويحيى ، وعمارة ، وإسماعيل ، وأسعد ، وعبادة ،وإسحاق ، وحسنة ، وعمرة ، وأم إسحاق ، وأم كلثوم.

وهذه الصحابية الجليلة أم سعد هي التي حكت ما حدث لأم عمارة رضي الله عنها في غزوة أحد ، قالت رضي الله عنها : دخلت على أم عمارة رضي الله عنها فقلت لها : يا خالة أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ،وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ ، قالت أم سعد : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت لها: من أصابك بهذا ؟ قالت أم عمارة: ابن قمئة أقمأه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلوني على محمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومعصب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.(١)

(١) مصادر القصة : سير أعلام النبلاء (٤٢٨/٢) ، السيرة النبوية لابن هشام (٨١/٢ ، ٨٢)

-٥٠-

جميلة بنت ناصر الدولة

الحسن بن عبد الله ابن حمدان صاحب مدينة الموصل، كانت من أجمل النساء عقلاً وجمالاً، وقيل: إنها لم تتزوج لشهامة عندها حتى لا يحكم عليها أحد من الرجال، وقد ذكر الثعالبي في كتاب "يتيمة الدهر": فقال: كانت بنو حمدان أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة. وكانت جميلة من أشرف نساء زمانها، تكرم العلماء وتعظم الفضلاء، ولما تغلب على أبيها أخوها أبو تغلب وقبض على أبيه، وسجنه في قلعة الجراحية، ووكل به من يخدمه لكبر سنه، وضعف فوته ورأيه، فلم تجد بداً جميلة من متابعة أخيها، وذلك سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وفي سنة ست وستين وثلاثمائة، حجت جميلة بنت ناصر الدولة، وكان معها أربعمائة جارية، وتصدقت على أهل الحرمين، نثرت على الكعبة الشريفة عشرة آلاف دينار، ولما تغلب عضد الدولة بن ركن الدولة سلطان العراق على أبي تغلب وملك الموصل، وهرب أبو تغلب إلى الدولة سنة تسع وستين وثلاثمائة، وكان معه سبعمائة غلام من مماليكه ومماليك أبيه، ومعه أخته جميلة وزوجته بنت عمه سيف الدولة، فخرج عليهم أمير طيء دغفل بن مفرج، وقتل أبا تغلب وتفرقت غلمانه، وحملوا أخته جميلة وزوجته بنت سيف الدولة إلى حلب، فأخذ سعد الدولة صاحب حلب أخته وتركها عنده، وأرسل جميلة بنت عمه إلى بغداد فاعتقلها عضد الدولة في حجرة، ثم أركبها على جمل سنة إحدى

وسبعين وثلاثمائة، ونادى عليها: هذه قبيحة أخت أبي مغلوب. ثم ألقاها في الدجلة وغرقها وماتت.(١)

(١) مصادر القصة : البداية والنهاية ١١/ ٣٢٦ ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٢٤٨/١٤ ، تاريخ الإسلام ١٩٤/٢٦

-٥١-

جويرية بنت الحارث المصطلقية

أُمُّ المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المُصطلقية .

سُبيت يوم غزوة المُريسيع في السنة الخامسة وكان اسمها : بَرَّة ، فغُيِّر . وكانت من أجمل النساء .

وكان أبوها سيداً مطاعاً . وقد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم .

قال ابن سعد وغيره : بنو المصطلق من خزاعة .وكان زوجها ، قبل أن يسلم ، ابن عمها مسافع بن صفوان ابن أبي الشُّفر .

وعن جويرية ، قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا بنت عشرين سنة .

وعن عائشة ، قالت : لما قسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق ، وقعت جويرية في سهم رجل ، فكاتبته ، وكانت حُلوةً مُلاّحةً ، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه . فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه ، فكرهتها [يعني : لحُسنها] فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث ، سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، وقد كاتبت ، فأعني . فقال : (أو خير من ذلك : أؤدي عنك، وأتزوجك) ؟ فقالت : نعم . ففعل . فبلغ الناس ، فقالوا : أصهار رسول الله !فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق . فلقد أُعتق بها مئة أهل بيت فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

وعن جُويرية بنت الحارث : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة ، وهي صائمة ، فقال لها : (أصمت أمس) ؟ قالت : لا . قال : (أتريدين أن تصومي غداً) ؟ قالت : لا . قال : فأفطري .

وعن جويرية ، قالت : أتى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوةً وأنا أسبح ، ثم انطلق لحاجته ، ثم رجع قريباً من نصف النهار ، فقال : (أما زلت قاعدة) ؟ قلت : نعم . قال : (ألا أعلمك كلمات لو عُدلن بهن عدلتهن ، أو وزن بهن وزنتهن [يعني: جميع ما سبحت] : سبحان الله عدد خلقه ، ثلاث مرات ، سبحان الله زنة عرشه، ثلاث مرات ، سبحان الله رضا نفسه ، ثلاث مرات ، سبحان الله مداد كلماته ، ثلاث مرات.

توفيت أم المؤمنين جُويرية في سنة خمسين . رضي الله عنها .(١)

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى (١١٦/٨) ، الاستيعاب (٢٥١/٤) ، الإصابة (٢٥٧/٤) ، سير أعلام النبلاء (٢٦١/٢) .

-٥٢-

جهان

والدة السلطان شمس الدين ملك "دهلى" في بلاد الهند وأم السلطان، تدعى المخدوعة "جهان" وهي من أفضل النساء، كثيرة الصدقات، عمرت زوايا كثيرة، وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر وسبب ذلك أنه لما ملك ابنها جاء إليها جميع الخواتين وبنات الملوك والأمراء في أحسن زي وهي على سرير الذهب المرصع بالجواهر، فخدمن بين يديها جميعا، ومن شدة فرحها بولدها ذهب بصرها للحين، وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع وولدها أشد الناس برا بها، ومن بره أنها سافرت معه مرة فقدم السلطان قبلها بمدة، فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وفي في المحفة بمرأى من النسا أجمعين.

قال ابن بطوطة في "رحلته": "إننا لما انصرفنا من عند السلطان شمس الدين المذكور خرج الوزير ونحن معه على باب الصرف وهم يسمونه باب الحرم، وهنالك سكنى المخدوعة "جهان"، فلما وصلنا بابها نزلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله ودخل معنا قاضي قضاة الممالك، كمال الدين بن البرهان فخدم الوزير والقاضي عند بابها وخدمنا كخدمتهم، وكتب بابها هدايانا، ثم خرج من الفتيان جماعة وتقدم كبارهم على الوزير فكلموه سرا ثم عادوا إلى القصر.

ثم رجعوا إلى الوزير، ثم عادوا إلى القصر ونحن وقوف، ثم أمرنا بالجلوس في سقيف هنالك، ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من الذهب يسمونها السبني (بضم السين والياء آخر الحروف) وهي مثل قدور ولها مرافع من الذهب تجلس عليها يسمونها السبك (بضم السين والباء الموحدة) ، وأتوا بأقداح وطسوت وأباريق كلها ذهب

وجعلوا الطعام سماطين وعلى كل سماط صفان ويكون في رأس الصف كبير القوم الواردين، ولما تقدمنا للطعام خدم الحجاب والنقباء وخدمنا لخدمتهم.

ثم أتوا بالشربة فشربنا. وقال الحجاب: باسم الله ووقف الوزير ووقفنا معه، ثم خرجوا من داخل القصر ثيابا غير مخيطة من حرير وكتان وقطن فأعطي كل واحد منا نصيبه منها، ثم أتوا بتيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة، وتيفور مثله فيه الجلاب، وتيفور ثالث فيه التبنول، ومن عادتهم أن الذي يخرج له ذلك يأخذ التيفور بيده ويجعله على كاهله، ثم يخدم بيده الأخرى إلى الأرض فأخذ الوزير التيفور بيده قصد أن يعلمني كيف أفعل إيناسا منه وتواضعا ومبرة جزاه الله خيرا ففعلت كفعله.

ثم انصرفنا على الدار المعدة لنزولنا بمدينة "دهلى" وبمقبرة من "دروازة" وبعد وصولنا بعثت لنا الضيافة وهي مع جزار وطحان، وأمرتهما أن يعطونا مقدارا معينا كل يوم، وذلك مدة إقامتنا في بلادها، وكان وزن اللحم بمقدار وزن الدقيق، ومكثنا نستلم ضيافتها إلى أن انصرفنا من بلادها ولم أر مثلها في نساء الملوك لما حوته من العز والجاه والكرم العديم المثال".(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص١٣١

-٥٣-

خانم سلطان بنت السلطان سليمان

أم الخيرات كانت أوحد بنات الملوك، بالكرم، وفعل الجميل، ولما بلغها سنة تسعمائة وتسع وستين أن أهل مكة يشتكون قلة الماء، وقد يبست العيون والآبار، وأن الحاج يقاسون العذاب الأليم من شدة العطش، طلبت صاحبة الخيرات فأذن لها، فأمرت دفتردار مصر إبراهيم بك بن تغري ويردي المهمندار، وكان قد عزل وأمر بالتفتيش عليه، فلما أمرتاه بذلك عفا السلطان سليمان عنه، وأعطته خمسين ألف دينار لعمل العيون، وعشرين ألف دينار لقضاء مهماته، فركب في البحر، وتوجه إلى مكة، فأول ما بدأ حفر الآبار ليكثر ماؤهم، ثم شرع سنة تسعمائة وسبعين في الكشف عن ذيول عين عرفات وأقام لهاذ العمل نحو ألف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحدادين، وعين لكل فرقة قطعة من الأرض إلى أن وصل إلى عمل زبيدة الذي عجزت عنه فلما وصلوا إلى الصخرة مائة حمل من الحطب، ويوقده بالنار ثم يصبون عليه الخل ويكسرونه بالحديد، ثم يعيدون الحطب والنار إلى أن فرغ الحطب من جبال مكة، واستمر على هذا العمل لأربع سنين، وأرسلت له خانم سلطان مائة ألف وخمسين ألف دينار، وتوفي إبراهيم بك و لم يتم عمله لعين عرفة في مكة سنة تسعمائة وأربع وسبعين، وكان قد صرف لهذا العمل خمسمائة ألف دينار، وكل ذلك من عند خانم سلطان ولما مات إبراهيم بك أقيم مكانه قاسم بك حاكم جدة فأقام بأداء هذه الخدمة إلى أن مات سن تسعمائة وتسع وسبعين و لم يتم عمله لعين عرفة، فأقيم مكانه لأداء هذه الخدمة قاضي مكة السيد حسين فتقدم بهمته إلى مكان كمال هذا العمل فساعدته السعادة، فكمل العمل فيما دون خمسة أشهر، وجرت عين عرفات، ووصل الماء في تلك الذيول إلى

أن دخل مكة، وعمل في ذلك اليوم سماط طعام في الأسطح، وذبح مائتي رأس من الغنم، ونحوها من الإبل، وخلع على عشرة من المعلمين، وعرض ذلك إلى الأبواب العلية فحصل للقاضي ترقيات، وصارت المدرسة السليمانية التي في يده كل يوم مائة عثماني.(١)

(١) مصادر القصة : الروضة الفيحاء في أعلام النساء ص٨٥

-٥٤-

الخيزران بنت عطاء

الخيزران امرأة عاشت عظيمة، وقدمت الكثير للناس أولا ولابنها ثانيا، كان ولدها موسى الهادي خليفة، وكان يبدي لها في بادئ الأمر الطاعة حتى إنها كانت تتدخل في أمور خلافته ، وكان لها سلطة عليه، ونظرا لهذه السلطة في أمور الخلافة فقد طمع الناس فيها، فقد كانوا ينهالون عليها بشكل كبير، لتلبي طلباتهم عند ولدها الهادي حتى قال فيها أبو المعافي :

يا خيزرانُ هناك ثم هناك إن العباد يسوسهم ابناك

وذات يوم طلبت الخيزران من ولدها الهادي أن يولي خاله اليمن لكن الهادي خيرهما ما بين طلاقه من ابنه خاله إذ إنه كان متزوجا بها، وما بين ولاية خاله اليمن، فطلب من رسوله الذي لم يفهم عليه أن يبلغهما هذا الكلام، فأبلغها الرسول ونظرا لسوء فهمه للرسالة من أن الخيزران وخاله اختارا ولاية اليمن، فقام الهادي بدورة وطلق وزوجته التي هي ابنه خاله.

وفي أحد الأيام كلمت الخيزران ولدها الهادي، وطلبت منه أمرا ، ولكن الهادي سكت عنها، و لم يجبها وأصرت الخيزران على أن تسمع الرد من الهادي، إلا انه غضب و لم يجبها، وبعد هذا الموقف أقسم الهادي ألا يقبل لها طلبا ولا يسمع لها رأيا، وهي بدورها أقسمت ألا تطلب منه شيئا، والجدير بالذكر أن الموضوع في ذلك اليوم كان يخص عبد الله بن مالك والخيزران، إذ كانت قد وعدته أن تقضي له حاجته عند ولدها الهادي .

وبعد هذا الموقف افترق كل من الأم والابن، واستقر الحقد في قلب الهادي اتجاه أمه لدرجة انه أرسل لها بلحم مسموم إلا أن الخادمة أشعرت الطباخة بذلك ونجت الخيزران من الموت في ذلك اليوم،

ولكن الخيزران لم تسكت عن عدوها ، ولدها فلذة كبدها وقررت ن تنتقم منه فطلبت من أحدهم أن يدس السم له ونجحت بذلك فأتى الهادي الموت، وبذلك انتهت المعركة بين الأم والابن.

وعندما سمعت الخيزران بخبر وفاه الهادي قالت في بادئ الأمر: ما افعل، فطلبت منها خادمتها أن تذهب إليه، وتنسى كل الحقد والغضب، فقامت الخيزران وهمت للوضوء وصلت عليه. وبعد هذه الحادثة ذهبت الخيزران للحج ، وعندما انتهت منه رأت أبا دلامة يصيح عندها، وتبين لها بعد ذلك أنه يريد جارية من جواريها؛ لتقوم بخدمته نظرا لأنه رجل كبير في السن، فلبت طلبه.

توفيت الخيزران ليله الجمعة سنة ١٧٣هـ. وقد صلى عليها الرشيد، وعندما خرج وُضع له كرسي ليجلس عليه، فدعا الفضل بن الربيع ودفع إليه الخاتم قائلا: كنت أهم أن أوليك فتمنعي أمي فأطيعيه. (١)

---

(١) مصادر القصة : البدء والتاريخ (٢٢٥/١) ، مروج الذهب (٤٩٢/١) .

-٥٥-
خَوْلَة بِنْتُ ثَعْلَبَةَ

تزوجها أوس بن الصامت رضي الله عنه وكانت حسنة الجسم، وكان في جسد زوجها لمم، وقيل: برص، فطلبها يوماً ليواقعها، فأبت وتطيرت، وذكرت قوله صلى الله عليه وسلم: " فر من المجذوم فرارك من الأسد"، وظنت أنه نوع من الجذام فغضب لذلك أوس، فقال لها: أنت علي كظهر أمي. ثم ندم على ما قال، وكان الظهار والإيلاء من طلاق الجاهلية.

ثم إن أوس الصامت ندم، وقال لزوجته خولة: ما أظنك إلا قد حرمت علي! فقالت: والله ما ذاك بطلاق، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه، وذكرت له ما قال أوس، وشكت حالها، فأنزل الله تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما (وكان هذا أول ظهار في الإسلام.(١)

---

(١) مصادر القصة : الروضة الفيحاء في أعلام النساء ٧٢/١

-٥٦-

خولة بنت الأزور

من ذوات الخدور ليس كمثلها النسور.

يروي أنه لما أسر ضرار بن الأزور في وقعة أجنادين ، سار خالد بن الوليد في طليمه من جنده لاستنقاذه . فبينما هو في الطريق ، مر به فارس معتقل رمحه لا يبين إلا الحدق ، وهو يقذف بنفسه ، ولا يلوي على ما وراء فلما نظر خالد بن الوليد قال : ليت شعري !! من هذا الفارس ؟ وأيم الله ، انه لفارس . ثم اتبعه خالد والناس من ورائه حتى أدرك جند الروم . فحمل عليهم وامعن بين الصفوف وصاح بين جوانبهم حتى زعزع كتاتبهم .،وحط مواكبهم فلم تكن غير جوله جائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء ، وقد قتل رجالاً ، وجندل أبطالاً ثم عرض نفسه للموت ثانية ، فاختلق صفوف القوم غير مكترث ، وخامر المسلمين من القلق والإشفاق عليه شئ كثير ، وظنه أناس خالداً ، حتى إذا قدم خالد قال له رافع بن عميره : من الفارس الذى تقدم أمامك ، فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد : والله لأنا أشد أنكاراً وإعجاباً لما ظهر من خلاله وشمائله ، فبينما القوم فى حديثهم ، خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب ، والخيل تعدو في أثره وكلما اقترب أحد منه ألوى عليه ، فأهل رمحه من صدره ، حتى قدم على المسلمين فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه ورفع لثامه وناشده ذلك خالد بن الوليد وهو أمير القوم وقائدهم ، فلم يخر جواباً ، فلما أكثر خالد أجابه وهو ملثم ، فقال : أيها الأمير ، أنى لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل ، وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور ، وإنما حملنى على ذلك أنى محرقة الكبد ، زائدة الكمد ، فقال خالد : من أنت ؟ قالت : خوله بنت الأزور ، كنت مع نساء قومي ، فأتانى آت بأن أخى أسير ، فركبت وفعلت ما رأيت ، هنالك صاح خالد في جنده فحملوا وحملت

معهم خوله وعظم على الروم ما نزل بهم منها ، فانقلبوا على أعقابهم وكانت تجول في كل مكان علها تعرف أين ذهب القوم بأخيها فلم تر له أثر ، ولا وقفت له على خبر ، على أنها لم تزل على جهادها حتى أستنقذ لها أخوها .

ومن مواقفها الرائعة : موقفها يوم أسر النساء فى موقعة " صحوراء " فقد وقفت فى النساء ، وكانت قد اثرت معهن ، فأخذت تثير نخوتهن وتضرم نار الحميه فى قلوبهن ، ولم يكن من السلاح شئ معهن ، فقالت : خذن أعمدة الخيام وأرقاد الأطناب ، ونحمل على هؤلاء اللئام ، فلعل الله ينصرنا عليهم ، فقالت عفراء بنت عفار : والله ما دعوت إلى ما هو إلينا مما ذكرت ، ثم تناولت كل واحدة عموداً من عمد الخيام . صحن صيحة واحدة ، وألقت خوله على عاتقها عمودها ، وتتابع النساء وراءها ، فقالت لهن حوله : لا ينفك بعضكن عن بعض ، وكن كالحلقة الدائرة ، ولا تتفرقن ، فيقع بكن التشتيت وأحطن رماح القوم ، واكسرن سيوفهم ... وهجمت خوله وهجم النساء وراءها وقاتلت بهن قتال المستيئس المستميت ، حتى استقدتهن من أيدى الروم .. وخرجت وهى نقول :

نحن بنـــات تُبـــع وحمير وضربنا فى القوم ليس بنكر
لأننا في الحرب نار مسعر اليوم تسقون العذاب الأكبر(١)

(١) مصادر القصة : فتوح الشام ١٩٦/١ ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص١٨٤

-٥٧-

خولة بنت حكيم

بن أمية السلمية ، صحابية جليلة ، أسلمت مع المجموعة المبكرة من المسلمين ممن صافحت نسمات الإسلام أسماعهم منذ أن هبت في الأيام الأولى ، فكتبت في قائمة السابقات إلى هذا الدين.

زوجها عثمان بن مظعون من سادة المهاجرين ، وأحد أولياء الله المتقين ، وأول من دفن بالبقيع.

كانت خولة رضي الله عنها امرأة صالحة فاضلة، وهي ممن اهتم بأمور النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت حريصة على إدخال السرور إلى نفسه ، قالت عائشة رضي الله عنها : لما ماتت خديجة رضي الله عنها جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ألا تزوج ؟ قال : (ومن) ؟ قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً. قال: (من البكر ومن الثيب)؟ فقالت: أما البكر فعائشة بنت أحب خلق الله إليك. وأما الثيب فسودة بنت زمعة، قد آمنت واتبعتك، قال: اذكريهما علي. قالت: فأتيت أم رومان فقلت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: ماذا ؟ قالت: رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر عائشة. قالت: انتظري فإن أبا بكر آت، فجاء أبوبكر فذكرت ذلك له. فقال: أو تصلح له وهي ابنة أخيه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أخوه وهو أخي، وابنته تصلح لي.

قالت: وقام أبوبكر، فقالت لي أم رومان: إن المطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، ووالله ما أخلف وعداً قط، تعنى أبا بكر. قالت: فأتى أبوبكر المطعم فقال: ما تقول في أمر هذه الجارية. قال: فأقبل على امرأته فقال لها: ما تقولين ؟

فأقبلت على أبي بكر فقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى إليك تصبئه وتدخله في دينك. فأقبل عليه أبوبكر فقال : ما تقول أنت ؟ فقال : إنها لتقول ما تسمع ، فقام أبوبكر وليس نفسه من الموعد شيء ، فقال لها : قولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فليأت ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فملكها ، قالت : ثم انطلقت إلى سودة بنت زمعة ، وأبوها شيخ كبير قد جلس عن الموسم فحييته بتحية أهل الجاهلية ، وقلت: أنعم صباحاً ، قال : من أنت ؟ قلت : خولة بنت حكيم ، فرحب بي ، وقال ما شاء الله أن يقول، قلت : محمد بن عبدا لله بن عبدا لمطلب يذكر سودة بنت زمعة ، قال : كفؤ كريم ،ماذا تقول صاحبتك ؟ قلت: تحب ذلك، قال: قولي له فليأت، قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فملكها.

قالت: وقدم عبد بن زمعة فجعل يحثو على رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: إني لسفيه يوم أحثو على رأسي التراب أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة.

وكانت خولة رضي الله عنها كثيرة الدخول على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فكن يكرمنها ويتفقدن شؤونها ، ويسألن عن أحوالها ، ومن ذلك ما رواه ابن سعد في طبقاته وعبد الرزاق في مصنفه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت :دخلت امرأة عثمان بن مظعون واسمها خولة بنت حكيم على عائشة وهي باذة الهيئة. فسألتها: ما شأنك ؟ فقالت ؟ زوجي يقوم الليل ويصوم النهار، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له عائشة، فلقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عثمان إن الرهبانية لم

تكتب علينا، أما لك فيّ أسوة ؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا. ولقد تأثر عثمان رضي الله عنه بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .فالتفت إلى

زوجه، واهتم بها، حتى إنها جاءت بعد ذلك عطرة كأنها عروس فلقن لها: مه ؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس.

وعاشت خولة مع زوجها عثمان بن مظعون عيشة طيبة،فلما توفي تأثرت لوفاته، فقالت ترثيه:

يا عين جودي بدمـــع غيرممنون على رزية عثمان بن مظـــــعون
على امرئ بات في رضوان خالقه طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيـــع لـــه سكنى غرقده وأشرقـــت أرضه من بعـــد تفتين
وأورث القلب حزناً لا انقطاع له حتى الممـــات فما تـــرقا لـــه شوني

من مناقب هذه الصحابية الجليلة أن الله تعالى سماها في القرآن مؤمنة ، فقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره ، تحت قوله تعالى : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) قال : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت: التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم. وقال ابن وهب ، عن سعيد بن عبدا لرحمن وابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم : كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى (٢٩٥/٣) ، تاريخ الإسلام (٢٨١/١) ، نساء من عصر النبوة (٢٤٩/١) .

-٥٨-

خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب

أم المؤمنين ، سيدة نساء العالمين في زمانها. أمُّ القاسم ،ابنة خويلد بن أسد القرشية الأسدية . أمُّ أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و أول من آمن به وصدّقه قبل كل أحد ، وثبتت جأشه ، ومضت به إلى ابن عمها ورقة .

وهي ممن كمُل من النساء . كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة ، من أهل الجنة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُثني عليها ، ويُفضلها على سائر أمهات المؤمنين ويُبالغ في تعظيمها ، بحيث إن عائشة كان تقول : ما غِرت من امرأة ما غِرت من خديجة ، من كثرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها.

ومن كرامتها عليه صلى الله عليه وسلم أنها لم يتزوج امرأة قبلها ، وجاءه منها عدة أولاد ، و لم يتزوج عليها قط ولا تسرَّي إلى أن قضت نحبها ، فوجد لفقدها ، فإنها كانت نعم القَرين ،وكانت تُنفق عليه من مالها ، ويتجر هو صلى الله عليه وسلم لها .

وقد أمره الله أن يُبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب . قال الزبير بن بكار : كانت خديجة تُدعى في الجاهلية الطاهرة . وأمها هي فاطمة بنتُ زائدة العامرية .

كانت خديجة أولاً تحت أبي هالة بن زُرارة التميمي ، ثم خلف عليها بعده عتيقُ بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ثم بعده النبي صلى الله عليه وسلم ، فبنى بها وله خمس وعشرون سنة . وكانت أسنَّ منه بخمس عشرة سنة .

عن عائشة : أن خديجة تُوفيت قبل أن تُفرض الصلاة : وقيل : تُوفيت في رمضان ، ودُفنت بالحجون ، عن خمس و ستين سنة .

عن عبد الله البهي ، قال : قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها و استغفار لها ، فذكرها يوماً ، فحملتني الغيرة ، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السنِّ ! قالت : فرأيته غضب غضباً أُسقطت في خلدي

وقلت في نفسي : اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء . فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما لقيت ، قال : ((كيف قُلتِ ؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس ، و آوتني إذ رفضني الناس ، ورُزقت منها الولد وحرمتموه مني)) قالت : فغدا وراح عليَّ بها شهراً .

قال الواقدي : خرجوا من شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين ، فتوفي أبو طالب ، وقبله خديجة بشهر و خمسة أيام .

عن أبي زُرعة ، سمع أبا هريرة ، يقول : أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هذه خديجة أتتك معها إناءٌ فيه إدام أو طعامٌ أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربِّها ومنِّي ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب .

عن عبد الله بن جعفر : سمعتُ علياً : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((خير نسائها خديجة بنت خويلد ، وخيرُ نسائها مريم بنت عمران)) .

قال ابن إسحاق : تتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة . وكانت خديجة وزيرة صِدق . وهي أقربُ إلى قُصي من النبي صلى الله عليه وسلم برجل ،وكان مُتمولة ، فعرضت على النبي صلى الله

عليه وسلم أن يَخرج في مالها إلى الشام ، فخرج مع مولاها مَيسرة . فلما قدم باعت خديجة ما جاء به ، فأضعف ،

فرغبت فيه ، فعرضت نفسها عليه ،فتزوجها ، و أصدقها عشرين بكرة . فأولادها منه : القاسم ، و الطيب ، و الطاهر، ماتوا رُضعاً ، و رُقية، و زينت ، وأم كلثوم وفاطمة .

قالت عائشة : أولُ ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة .. إلى أن قالت : فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ،قالت: فَرجع بها تَرجف بوادره حتى دَخل على خديجة ، قال : ((زملوني)) .. فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع ، فقال :((مالي يا خديجة ؟))وأخبرها الخبر وقال : ((قد خشيت على نفسي)) ، فقالت له : كلا ،أبشر ، فوالله لا يُخزيك الله أبداً ، إنك لتصِل الرحم ، و تصدق الحديث ، وتَحمِل الكل ، و تُعين على نوائب الحق . و انطلقت به إلى ابن عمها ورَقة بن نوفل ابن أسد ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الخط العربي ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ،وكان شيخاً قد عَمي . فقالت : اسمع من ابن أخيك ما يقول : فقال : يا ابن أخي ، ما ترى ؟ فأخبره ، فقال : هذا الناموس الذي أنزل على موسى الحديث .

قال الشيخ عزالدين بن الأثير : خديجة أول خلق الله أسلم ، بإجماع المسلمين .

عن أنس : ((خير نساء العالمين مريم و آسية و خديجة بنت خويلد وفاطمة)).

عن ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم: فاطمة، وخديجة، وامرأة فرعون آسية)) .(١)

---

(١) مصادر القصة : سيرة ابن هشام (١/١٩٠) ، سير أعلام النبلاء (٢/١١٧) ، نساء مبشرات بالجنة (١/١٣) ، الطبقات (١/١٣١)

-٥٩-

حفصة بنت سيرين

أم الهذيل ، الفقيهة ، الأنصارية .

روي عن إياس بن معاوية قال : ما أدركت أحداً أفضله عليها .

وقال : قرأت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة ، وعاشت سبعين سنة ، فذكروا له الحسن وابن سيرين فقال : أما أنا فما أفضل عليها أحداً.

قال مهدي بن ميمون : مكثت حفصة بن سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مصلاها إلا لقائلة أو قضاء حاجة .

كانت حفصة بنت سيرين تدخل فى مسجدها ، فتصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ثم لا تزال فيه حتى ترتفع النهار وتركع ثم تخرج ، فيكون عند ذلك وضوءها ونومها ، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها إلى مثلها.

واشترت حفصة جارية من السند فقيل لها : كيف رأيت مولاتك ؟ فذكرت كلاماً بالفارسية ، تفسيره : إنها امرأة صالحة ، إلا إنها أذنبت ذنباً عظيماً ، فهى تقوم الليل كله تبكى وتصلى .وكانت حفصه تسرج سراجها من الليل ثم تقوم فى مصلاها فربما طفئ السراج فيضئ لها البيت حتى تصبح .

توفيت بعد المئة .(١)

---

(١) مصادر القصة : السير (٥٠٧/٤) ، صفة الصفوة (٢٥/٤) .

-٦٠-

حفصة بنت عمر بن الخطاب

تعالوا نستلُّ سيف الحق مع أولئك الصادقين... نقارع معهم أهل الردة في حرب ضروس رفعت راية الإسلام خفاقة بعد أن عادت أشواك الوثنية لتبتلع ضعاف النفوس من أعراب الجزيرة.

تعالوا نشد من أزر البواسل المسلمة التي تهافتت على حديقة الموت تريد مسيلمة الكذاب وأتباعه.. تحاصره بأفئدة تواقة للشهادة.. يتقدمهم حفظة كتاب الله بقلوبهم المفعمة يرجون لقاء ربهم الباري ونبيهم الهادي.. صدروهم مشرعة لا يرهبها الوغى ولا يخيفها المنون... يحلمون بالقضاء على شوكة الكفر التي ظهرت بعد وفاة نبي الأمة عليه الصلاة والسلام لتحصد هذه المعركة عدداً كبيراً منهم... فتعود بعدها شمس الإسلام مشرقة في أنحاء الجزيرة العربية تضيء القلوب المعتمة بنور الحق بعد أن غطاها ثوب الوثنية ردحاً من الزمن.

حتى إذا انقشعت الغمة... وهدأ نقع المعارك... اعتلى الخوف القلوب المؤمنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مقدمتهم الفاروق عمر الذي نظر إلى استشهاد حفظة القرآن الكريم بتساؤل وجل : أيموت الحفظة والقرآن في معظمه محفوظ في صدروهم ؟

ليعظم السؤال في نفسه حرصاً على مصير الدين والقرآن هو الدستور الأول الإسلام. يتحرك بوجله الذي يحمله بين أضلعه على دين الله... تسوقه قدماه إلى أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحثه على جمع القرآن الكريم.. و ما إن انشرح

صدر الخليفة للفكرة حتى أوكل أمر هذه المهمة لزيد بن ثابت وجمعاً من الصحابة الكرام...وما إن انتهى العمل المهيب ورفعت الأقلام وجفت الصحف وحفظ القرآن في كتاب واحد ، رأى الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وضع المصحف عند سيدة من سيدات الدنيا والآخرة.

فمن هي هذه السيدة ؟

إنها حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية القرشية.. ولدت قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام بخمس سنين.. كانت زوجة لخنيس بن حذافة السهمي.. هاجرت معه إلى المدينة ، وشهد زوجها بدراً ثم استشهد متأثراً بجراحه.. وهي لم تتجاوز بعد الثامنة عشر ربيعاً، فحزن عمر بن الخطاب لمصابها وأراد أن يزوجها ممن يرضى الله ورسوله عنه.. فعرضها على عثمان وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج عثمان قد توفيت حديثاً فسكت عثمان ولم يجب عمر.. فعرضها عمر على أبي بكر الصديق فسكت أبا بكر كما سكت عثمان من قبله.. الأمر الذي أغضب عمر فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو له ما جرى ولم يكن يدري أن الله عز وجل اختار لحفصة من هو خير من عثمان وأبي بكر لتصبح زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأماً للمؤمنين.

عاشت حفصة بنت عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حياة طبيعية كانت خلالها الزوجة التي تحب وتكره.. تغار وتشتكي.. تغضب وتسأل وتجادل.. وقد اختارت من بين أمهات المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق لتكون صديقتها وموضع سرها حتى أن السيدة عائشة وصفتها بأنها بنت أبيها كدليل على فضلها.

وقد تركت لنا كتب السيرة عن حياتها وقصصها مع زوجات النبي صلى الله عليه وسلم الشيء الكثير.. لكنها كانت في كل خطاها ممسكة بزمام أهوائها.. قد تخطئ في بعض أمرها ، وهذا حال المؤمن لكنها تكون خير التوابين.. فلم توكل

نفسها للحظة تنال بها غضب الله بل كانت كما قال عنها جبريل عليه السلام للنبي عليه الصلاة والسلام : إنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة.

روت حفصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة قيل أنها بلغت ستون حديثاً.

هذه الصوامة القوامة حفصة بنت عمر أم المؤمنين التي عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة السبع سنوات تزداد إشراقاً مع الأيام حين اختيرت من أجلاء الصحابة لتكون حارسة القرآن الكريم.

فأي شرف يعطيه الإسلام للمرأة المسلمة حين تكون حارسة للقرآن الكريم في عصر تكاثرت فيه النجوم الزاخرة في سماء الأمة الإسلامية.

هذا هو إسلامنا دين العظمة... دين الحقوق .. الدين الذي أعطى للمرأة مكانتها فكانت حاضنة الإسلام الأولى هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.. وها هي حارسة القرآن الأولى حفصة بنت عمر فجزها الله عن الإسلام والمسلمين كل الخير.(١)

---

(١) مصادر القصة : طبقات ابن سعد (٨/٨١) ، المستدرك (٤/١٤) ، الاستيعاب (٤/١٨١١) ، أسد الغابة (٧/٦٥) ، سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٧) ، الإصابة (٤/٢٧٣) .

-٦١-

حليـــمة السعـــدية

بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر...بن سعد بن بكر بن هوازن . وكان زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان ... بن سعد بن بكر بن هوازن .

بعد ثمانية أيام مضت على مولد النبي صلى الله عليه وسلم أخذته حليمة لرحلها ، تقول حليمة : فلما أخذته رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب معه أخوه حتى روي ، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافل ... ثم خرجنا وركبت أنا أتاني ، وحملته عليها معي ، فو الله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم ... ثم قدمنا منازلنا من بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم أسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لبناً .

وبعد أن أرضعته عامين أعادته إلى أمه وطلبت منها أن تتركه عندها حتى يغلظ، فوافقت أمه ، وبعد أشهر أعادته إلى أمه بعد قصة شق الصدر .

عندما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من غزوة الطائف،ومعه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، أتاه وفد من هوازن ممن أسلموا وقال قائلهم : يا رسول الله ! إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وخواصك ، فقال لوفد هوازن : (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت الظهر

بالناس فقولوا ،: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ، في أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم) ، فلما صلى الظهر قام رجال هوازن وتكلموا بالذي أمرهم به رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم) ، وقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فردوا لهوازن أبناءهم ونساءهم ، وذلك اعترافاً منه صلى الله عليه وسلم بما لأمه من الرضاعة عليه من الفضل ، وتقديراً لها .

روى أبو داود في سننه عن أبي الطفيل بن عامر بن واثلة الكناني قال : (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحماً بالجعرانة ، وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور ، إذ أقبلت امرأة دنت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت : من هي ؟ فقالوا : هذه أمه التي أرضعته) .(١)

---

(١) مصادر القصة : السيرة لابن هشام (١٦٢/١) ، تاريخ الإسلام (٤٦/١) ، الطبقات الكبرى (١١٣/١) .

-٦٢-
حَبِيبةُ بِنْتُ سَهْل

كانت جميلة، تزوجها ثابت بن قيس بن شماس، وكان يحبها وهي تبغضه ولا تحبه، وكان إذا طلبها لحاجته امتنعت وأبت، فكان يضربها، فأتت يوماً إلى أبيها سهل وشكت إليه، زوجها، وقالت: إنه يضربني ويسبني. فقال لها أبوها: ارجعي إلى زوجك، فإني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها وقد سمعت ما قاله صلى الله عليه وسلم: "لو أمرت أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" فغضبت وخرجت من عند أبيها، وعادت إلى زوجها، ولما رأت أن أباها لم يشكها، فأتت إلى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت إليه زوجها وأرته أثار الضرب، وقالت: لا أنا ولا هو. فدعا صلى الله عليه وسلم ثابت وسأله فقال: والذي بعثك بالحق بشيراً ما على وجه الأرض أحب إلي منها غيرك! فقال لها صلى الله عليه وسلم (ما تقولين؟) فقالت: صدق يا رسول اله ولكن خشيت أن يهلكني، فاخرني منه وهو من أكرم الناس حباً لزوجته، ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو. فعند ذلك طلب منها ثابت ما أصدقها وما أعطاها، فأعطته وخلى سبيلها.(١)

---

(١) مصادر القصة : غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة ٦٤٢/٢ ، : الطبقات الكبرى ٤٤٥/٨

-٦٣-

حزانة ابن خالد بن جعفر بن قرط

كانت من الأدب على جانب عظيم ومن الفصاحة والبلاغة على جانب أعظم، والفروسية كانت عندها زائدة، حضرت فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وخاضت معه المعامع والمعارك وقد حضرت فتوح الحرة حينما استشهد من المسلمين خمسمائة وثلاثون فارسا فقالت ترثيهم في أبيات كما جاء في الحبرة للواقدي في " فتوج الشام":

أيا عين جودي بالدموع السواجم ... فقد شرعت فينا سيوف الأعاجم
فكم من حسام في الحروب وذابل ... وطرف كميت اللون صافي الدعائم
حزنا على سعد وعمرو ومالك ... وسعد مبيد الجيش مثل الغمائم
هم فتية غر الوجوه أعزة ... ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم

ومن قولها أيضا:

طوى الدهر ما بيني وبين أحبة ... بهم كنت أعطي ما أشاء وأمنع
فلا يحسب الواشون أن قناتنا ... تلين ولا أنا من الموت نجزع
ولكن للآلاف لا بد لوعة ... إذا جعلت أقرانها تتقطع(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٨٣

-٦٤-

الحُرَّةُ سَيّدَةُ بِنْتُ أَحْمَد بنِ جَعْفَر بنِ مُوشَى الصّليحي.

ملكة اليمن مولدها سنة أربعمائة وأربعين تزوجها المالك المكرم أحمد بن علي الصليحي صاحب صنعاء، وكانت قد قامت بتربيتها أسماء بنت شهاب زوجة علي الصليحي، وزوجتها لولدها أحمد المكرم سنة إحدى وستين وأربعمائة، فأقامت الحرة في تدبير الملك والحروب أحسن قيام، واشتغل أحمد بالمأكول المشروب، وطالت مدتها، وتوفي زوجها أحمد سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وهي في الملك، ملك بعد أحمد سبأ بن أحمد، إحدى عشرة سنة، وهي في الملك، ومات سبأ سنة خمس وتسعين وأربعمائة، ثم قدم من مصر علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة، وملك اليمن، وهي بصنعاء ملكة، وقبض على ابن إبراهيم بعد مضي ستة أعوام، وهي ملكة، واستمرت بالملك إلى أن توفيت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وعمرها اثنتان وتسعون سنة. وكان المفضل يحكم بين يدي الحرة وتحتجب عنه لئلا يطمع فيها، توفي المفضل سنة أربع وخمسمائة، واستقلت. الحرة بالمملكة إلى أن توفيت.(١)

---

(١) مصادر القصة : تاريخ ابن الوردي ٣٥٧/١ ، الروضة الفيحاء في أعلام النساء ٧٧/١

-٦٥-

ذؤابة امرأة رباح القيسي

كانت -رضي الله عنها- تقوم الليل كله وكانت إذا مضى الربع الأول تقول له: قم يا رباح للصلاة، فلا يقوم، فتقوم ثم تأتيه وتقول له: قم يا رباح، فلم يقم، فتقوم الربع الآخر، ثم تأتيه وتقول: قم يا رباح فلا يقوم، فتقوم الربع الآخر، إلى تمام الليل ثم تأتيه وتقول: قم يا رباح قد مضى عسكر الليل وأنت نائم فليت شعري من غرني بك يا رباح ما أنت إلا جبار عنيد.

وكانت تأخذ تبنة من الأرض وتقول: والله للدنيا أهون علي من هذه وكانت إذ صلت العشاء تطيبت ولبست ثيابها ثم تقول لزوجها: ألك حاجة فإن قال لا نزعت ثياب زينتها وصلت إلى الفجر -رضي الله عنها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص١٩٦

-٦٦-

رابعة الأشمية

هي زوجة أحمد بن أبي الحواري. كانت من العابدات الزاهدات، وكان فضلها لا يقدر، وكراماتها لا تنكر.

قال أحمد بن أبي الحواري: كانت رابعة لها أحوال شتى، فمرة يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأنس، ومرة يغلب عليها الخوف، فسمعتها في حال الحب تقول:

حبيب ليس يعدله حبيب ... وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤادي ما يغيب

وسمعتها في حال الأنس تقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وسمعتها في الخوف تقول:

وزادي قليل ما أراه مبلغي ... أللزاد أبكي أم لطول مسافتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي فيك أين مخافتي

قال: فقلت لها مرة -وقد قامت بليل-: ما رأينا من يقوم الليل كله غيرك. قالت: سبحان الله مثلك يتكلم بهذا! إنما أقوم إذا نوديت. قال: فجلست على المائدة في وقت قيامها، فجعلت تذكرني فقلت لها: دعينا نتهنا بطعامنا. فقالت: ليس أنا وأنت ممن ينغص عليه الطعام عند ذكر الآخر. وقالت: لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان.

وقالت لزوجها: اذهب فتزوج. قال: فذهبت فتزوجت وكانت تطعمني الطعام وتقول: اذهب لأهلك، وكانت إذا طبخت قدرا قالت: كلها يا سيدي فإنها ما نضجت إلا بالتسبيح. وبقيت على عبادتها إلى أن توفاها الله.(١)

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٠١

-٦٧-

رابعة ابنة الشيخ أبي بكر التجاري

قال في كتاب "الجلاء الغامض": الست الفاضلة العارفة الكاملة زوجة السيد أحمد أم السيد صالح ست الفقراء رابعة كانت سليمة الصدر، نقية القلب، لها معرفة جاذبة وحزن دائم ولا تأخذها في الله لومة لائم كانت سيرة جميلة وأوصاف حميدة سماها السيد أحمد: ست الفقراء وكناها أم الفقراء. ويقول: طاعتك على الفقراء واجبة، بكت بين يدي السيد أحمد مرة وقالت: كيف حالي بعدك أبقى أنا وحيدة ويغلق باب المسرة والابتهاج في وجهي؟ فقال -رضي الله عنه-: أهل المملكة يحبونك، وقولك مسموع، والنعمة عليك باقية. فإنقاذ أهل البيت الأحمدي لها مدة حياتها، وكانت تقف على ضريح زوجها وتكلمه وتنتظر الجواب منه فيأتيها شبيه الحلم بالجواب، وما أكرم أحد بعد وفاة زوجها بالولاية إلا وهي كانت عارفة

به سألت ربها في خلافة السيد محمد الموت فتوفيت ليلة الجمعة النصف العاشر من شهر شوال سنة ٦١٣ هـــ ودفنت في القبة المباركة.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٠١

-٦٨-

رابعة ابنة إسماعيل البصرية العدوية مولاة آل عتيك

وكانت مضرب المثل فى تدله القلب واحتراق الكبد حباً لله وإيثاراً لرضاه ، وكانت على تواصل حياتها وقيامها ، وتتابع زفراتها ، وتدفق عبراتها ، تستقل كل ذلك فى جنب الله ، قال يوماً شيخ الزهاد سفيان الثوري وهو عندها :" واحزناه ! فقالت : لا تكذب ! بل قل واقله حزناه ، ولو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أن تتنفس

ومن حديث خادمتها عبده بنت أبى شوال ـــ وكانت أشبه الناس لها فى نسكها وعبادتها : كانت رابعة تصلى الليل كله ، فإذا طلع الفجر هجعت فى صلاتها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر ، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة ،" يا نفس كم تنامين ؟: يوشك أن تنامى من نومة لا تقومين منها إلا بصرخة يوم النشور .

قالت عبدة : " وكان هذا دأبها أمد دهرها حتى ماتت ، ولما حضرتها الوفاة دعتنى ، وقالت " يا عبدة ! لا تؤذنى بموتى أحداً ، وكفنينى فى جبتى هذه "، وهى جبه من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون ، ومن قولها " ما ظهر من أعمالى فلا أعده شيئاً ، ومن وصاياها " اكتموا حسناتكم ، كما تكتمون سيئاتكم .

عن أزهر بن مروان قال : دخل على رابعة رياح القيسى ، وصالح بن عبد الجليل ، وكلاب ، فتذكروا الدنيا ، فأقبلوا يذمونها ، فقالت رابعة : " أنى لأرى الدنيا بترابيعها فى قلوبكم . قالوا ومن أين توهمت علينا ؟ " قالت : إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم ، فتكلمتم فيه ،

قال خالد بن خداش : سمعت رابعة صالحاً المرى يذكر الدنيا فى قصصه ، فنادته : يا صالح من أحب شيئاً أكثر من ذكره ".

وقال محمد بن الحسين البرجلانى : حدثنا صالح العتكى ، قال : استأذن ناس على رابعة ، ومعهم سفيان الثورى ، فتذاكروا عندها ساعة وذكروا شيئاً من الدنيا ، فلما قاموا ، قالت لمخدومتها : إذا جاء هذا الشيخ وأصحابه ، فلا تأذن لهم ، فإنى رأيتهم يحبون الدنيا ."

وعن أبى يسار مسمع ، قال :" أتيت رابعه ، فقالت : جئتنى وأنا أطبخ أرزاً ، فآثرت حديثك على طبخ الأرز ، فرجعت إلى القدر ، وقد طبخت .

وعن حماد قال " دخلت أنا وسلام بن أبى مطيع على رابعة ، فأخذ سلام فى ذكر الدنيا : " فقالت إنما يذكر شئ هو شئ ، أما شئ ليس بشئ فلا .

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : أما رابعه فقد حمل الناس عنها حكمه كثيرة وحكى عنها سفيان وشعبه وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها وقد تمثله بهذا

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى وأبحت جسمى من أراد جلوسى فشبهها بعضهم إلى الحلول بنصف البيت وإلى الإباحة بتمامه .

قلت أى الحافظ الذهبى وهذا غلو وجهل ، ولعل نسبها إلى ذلك مباحى حلولى ليحتج بها على كفره ، كاحتجاجهم لخبر " كنت سمعه الذى يسمع به "

قال بن كثير رحمه الله

وقد ذكر لها أحوال وأعمالاً صالحة ، وصيام نهار ، وقيام ليل ، ورؤيت لها منامات صالحة ، فالله أعلم ، وقال أيضاً : وأثنى عليها أكثر الناس ، وتكلم فيها أبو داود السجستانى ، وأتهمها بالزندقة ، فلعله بلغه عنها أمر والله أعلم .(١)

---

(١) مصادر القصة : صفة الصفوة (٢٩/٤) سير أعلام النبلاء (٢٤٢/٨-٢٤٣) البداية والنهاية (١٨٦/١٠-١٨٧).

-٦٩-

الربيع بنت معوذ

أبوها معوّذ بن عفراء ، من كبار أهل بدر .وزوجها هو إياس بن البكير الليثي ، أحد كبار المهاجرين .

حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم زواجها ، تقول عن زواجها : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرسي ، فقعد على موضع فراشي هذا ، وعندنا جاريتان تضربان بدف ، وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر ، وقالتا فيما تقولان : وفينا نبي يعلم ما في غد ، فقل : (أما هذا فلا تقولا) .

عن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للربيع بنت معوذ : صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : يا بني لو رأيته لرأيته الشمس طالعة .

قالت : كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقي القوم ونخدمهم ، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة .

كانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان تحت الشجرة كان عدد من الصحابة يأتونها ويسألونها عما تعرفه من أحكام دينها ، ومن ذلك ما روي في الصحيحين عنها قالت : أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : (من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ، ومن أصبح صائماً فليصم) ، قالت : فكنا نصومه ونصوم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن – الصوف – فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار.

توفيت الربيع بنت معوذ في خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين.(١)

(١) مصادر القصة : أسد الغابة (١٠٨/٦) ، سير أعلام النبلاء (١٩٩/٣) .

-٧٠-

ربيع بنت نجم الدين أيوب

وهي أخت السلطان صلاح الدين يوسف لأمه وأبيه كانت من أهل الصلاح والدين، تكرم العلماء، وتنعم على الفضلاء، أراد أن يزوجها الملك الكامل بن العادل لوزيره الفاضل فامتنعت وأبت، وهي التي بنت المدرسة الحنبلية في جبل الصالحية، وجعلت لها أوقافاً، وجعلت للمدرس كل يوم درهمين وللمعيد درهماً، وللطلبة كل واحد نصف درهم، ويكون طلبة العلم عشرين، استمرت المدرسة زماناً إلى أن انقرضت دولة الأيوبيين فلم تبق على الترتيب وانهدمت، وتوفيت ربيع خاتون سنة ثلاثة وأربعين وستمائة، وقد جاوزت الثمانين سنة، ولم يسقط ضرس من أضراسها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الروضة الفيحاء في أعلام النسام ٨٢/١

-٧١-
رُفَيْدَةُ بنت سعد الأنصارية

رضي الله عنها صاحبة الخيمة الطبية الأولى في التاريخ. الطبيبة رُفيدة تُعَدّ رُفيدة الأسلمية، من كريمات النساء، وفضليات الصحابيات المجاهدات، بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، واشتركت في غزوتَيْ الخندق وخَيْبر، وكانت رضي الله عنها قارئة، كاتبة، وصاحبة ثروة واسعة.

قد استهوتها حِرْفة التمريض، ومهنة التطبيب والمداواة، وتفوّقت في ذلك حتى اشتهر عنها، وعُرفت بين الناس قاطبة.

وكان يُطلق عليها (الفدائية) لأنها كانت تدخل أرض المعركة تحمل الجرحى وتُسعف المصابين وتُشجِّع المجاهدين.

ظهرت خيمة رفيدة على مسرح الأحداث بَدْءً من يوم أُحُد، عندما كانت تستضيف الجرحى، تضمِّد جراحاتهم، وتُسعفهم، وتسهر على راحتهم، وتواسيهم.

وكانت رضي الله عنها تخرج في الغزوات، وتنقل معها خيمتها بكل متطلباتها وأدواتها واحتياجاتها فوق ظهور الجِمال، ثم تُقيمها بإزاء معسكر المسلمين، تشاركها العمل الصحابيات رضوان الله عليهن؛ لذا تعتبر خيمة رفيدة الأسلمية على الرغم من بدائيتها أول مستشفى ميداني.

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق بسهم أطلقه أبو أسامة الجشمي حليف «بني مخزوم»، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم رفيدة أن تقيم خيمة في المسجد ليعوده من قريب.

كانت تُداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضبعة (جرح أو مرض) من المسلمين.

ولقد ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» كيف أنّ رفيدة الأسلمية عندما رأت انغراس السهم في صدر سعد تصرفت بحكمة ووعي فأسرعت بإيقاف التزيف، ولكنها أبقت السهم في صدره لأنها كانت تعلم أنها إذا سحبته أو أخرجته سيُحدث نزيفاً لا يتوقف من مكان الإصابة.

مستشفى رُفيدة كما تواتر أنه أقيم لها خيمة خاصة وبارزة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كمستشفى لعلاج المرضى والمصابين بجروح، وكوّنت فريقاً من الممرضات حيث قسمتهن إلى مجموعات لرعاية المرضى ليلاً ونهاراً.

ولم يكن عمل رفيدة مقتصراً على الحروب فقط، بل عَمِلت أيضاً في وقت السِّلم تُعاون وتُواسي كل محتاج؛ وكانت أول سيدة تعمل في نظام أشبه ما يكون بنظام المستشفيات في وقتنا.

أما كونها أول ممرضة في الإسلام فليس في ذلك خلاف، فقد ذاع صيتها بين معاصريها في فن الجراحة، لهذا السبب اختارها الرسول صلى الله عليه وسلم لعلاج سعد بن معاذ رضي الله عنه.

أما الأعجب من عمل رفيدة رضي الله عنها فهو إنفاقها على عملها هذا من حُرِّ مالها، وخالص ثروتها، متطوعة بالجهد والمال في سبيل الله.

وتقديراً من النبي صلى الله عليه وسلم، كان يُعطي رفيدة حصة مقاتل، كما أعطى المتفوِّقات منهن (قلادة شرف) تقديراً للجهود التي بَذَلْنَها

فعن أميمة بنت قيس الغِفَارية قالت: جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني غِفَار، فقلنا: يا رسول الله إنا نريد أن نخرج معك إلى خيبر، فنداوي

الجرحى ونُعين المسلمين بما استطعنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «على بركة الله».

قالت أميمة: فخرجنا معه صلى الله عليه وسلم وكنتُ جارية حديثاً سني، فلما فتح الله لنا خيبر قسَّم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفَيْء، وأخذ القِلاَدة – التي ترَيْن في عُنُقي – فأعطانيها وعلّقها بيده في عُنقي، فوَالله لا تفارقني أبداً.

فكانت في عُنُقها حتى ماتت، وأوصت أن تدفنَ معها رضي الله عنها(١)

(١) مصادر القصة : إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ٩/٢٥٥ ، المغازي للواقدي : ٢/ ٥١٠.

-٧٢-

رقية بنت الفيف

عبد السلام بن محمد مزرع المدينة كانت عالمة عاملة، عاقلة كاملة، صادقة الرواية، حسنة الطوية. تعلمت العلم عن جملة من العلماء الأخيار وحدثت بالإجازة عن شيوخ مصر والشام كابن سد الناس من المصريين والمزي وغيره من الشاميين وأقامت في المدينة وفتحت درسا للحديث وانتفع بها أهل الحجاز وهي من مشاهير المحدثين بتلك الأصقاع و لم يوجد مثلها من نساء ذلك الزمان رحمهما الله رحمة واسعة.(١)

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٠٦

-٧٣-

رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولدت رقية ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث وثلاثون سنة وكان تزوجها عتبة بن ابي لهب وتزوج أختها أم كلثوم عتيبة أخوه فما نزلت: (تبت يد أبي لهب) (المسد: ١١١) قال أبو لهب لهمها: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما، وتزوج رقية عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة وكانت ذات جمال بارع، وكان فتيان أهل الحبشة يتعرضون لها ويتعجبون من جمالها فآذاها ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا.

وولدت لعثمان بالحبشة ولدا سماه عبد الله وكان يكنى به وبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات، وتوفيت رقية بالمدينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر وكان عثمان قد تخلف عن بدر لأجلها فجاء زيد ابن حارثة بشيرا بفتح بدر وعثمان قائم على قبرها وكانت وفاتها لسنة وعشرة أشهر وعشرين يوما من الهجرة.(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات (٣٦/٨) ، الاستيعاب (٢٩٢/٤) ، الإصابة (٢٩٧/٤) ، سير أعلام النبلاء (٢٥٠/٢) .

-٧٤-

رقية بنت عمر بن الخطاب

أمها أم كلثوم بنت علي رضي الله تعالى عنه، تزوجها إبراهيم بن نعيم بن عبد الله بن النحام، فلم تلد منه، وماتت عنده، و لم تطل مدتها وكانت حسنة في الغاية، ولها خلق حسن، وتوفيت في خلافة أبيها، وقد قاربت العشرين سنة، والله أعلم.(١)

(١) مصادر القصة : نسب قريش ص٣٦١

-٧٥-

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

وهي من بنات عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليس من أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها ، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها ، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها.

عقد له صلى الله عليه وسلم عليها بالحبشة ، وأصدقها عنه صاحب الحبشةأربع مئة دينار، وجهزها بأشياء.

وقدمت دمشق زائرة أخاها،ويقال قبرها بدمشق ، وهذا لاشيء بل قبرها بالمدينة، وإنما التي بمقبرة باب الصغير : أم سلمة أسماء بنت يزيد الأنصارية.

قال ابن سعد : ولد أبو سفيان : حنظلة المقتول يوم بدر ، وأم حبيبة توفي عنها زوجها الذي هاجر بها إلى الحبشة عبيد الله بن رياب الأسدي مرتداً متنصراً.وقد كان لأم حبيبة حرمة وجلالة ،ولاسيما في دولة أخيها ، ولمكانه منها قيل له : خال المؤمنين. ماتت سنة أربع وأربعين ، رضي الله عنها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات (٩٩/٨) ، الاستيعاب (٢٩٦/٤) ، أسد الغابة (١١٥/٦) ، الإصابة (٢٩٨/٤) .

-٧٦-

رملة بنت الزبير بن العوام

كانت أخت مصعب بن الزبير بن العوام لأمه، وكانت أمها أم الرباب بنت أليف بن عبيد بن مصار الكلبي تزوجها عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد فولدت له عبد الله بن عثمان، وهو زوج سكينة بنت الحسين بن علي عليها السلام، ثم تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وكان قتل ابن الزبير. ولما حج خالد بن يزيد خطب رملة بنت الزبير فأرسل إليه الحجاج صاحبه عبيد الله بن موهب وقال: ما كنت أراك أن تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني وكيف خطبت إلى قوم ليسوا كفؤا وكذلك قال جدك معاوية وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة، ورموه بكل قبيحة، وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة؟ فنظر إليه خالد طويلا ثم قال له: لولا أنك رسول والرسول لا يعاقب لقطعتك إربا إربا، ثم طرحتك على باب صاحبك قل له: ما كنت أرى أن الأمور بلغت بك على أن أشاورك في خطبة النساء.

وأما قولك لي: قارعو أباك وشهدوا عليه بكل قبيح فإنها قريش يقارع بعضها بعضا فإذا اقر الله عز وجل الحق قراره كان تقاطعهم

وتزاحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم.

وأما قولك: إنهم ليسوا بأكفاء فقاتلك الله يا حجاج ما أقل علمك بأنساب قريش أيكون العوام كفؤا لعبد المطلب بن هشام بتزوجه صفية، وبتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ولا تراهم أهلا لأبي سفيان فرجع إليه فأعلمه ومن شعر خالد فيها:

أليس يزيد السير في كل ليلة ... وفي كل يوم من أحبتنا قربا

أحن إلى بنت الزبير وقد علت ... بنا العيس خرقا من تهامة أو نقبا
إذا نزلت أرضا تحبب أهلها ... إلينا وإن كانت منازلها حربا
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها ... مليحا وجدناه ماء باردا عذبا
تجول خلاخيل النساء ولا أري ... لرملة خلخالا يجول ولا قلبا
أقلوا علي اللوم فيها فإنني ... تخيرتها منهم زبيرية قربا
أحب بني العوام طرّا لحبها ... ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

ونشزت سكينة بنت الحسين عليها السلام على زوجها عبد الله بن عثمان فدخلت رملة على عبد الملك بن مروان وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا أنه يبتذ أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا. سكينة بنت الحسين قد نشزت على ابني. قال: يا رملة إنها سكينة• قالت: وإن كانت سكينة فوالله لقد ولدنا خيرهم، ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خيرهم -تعني بمن ولدوا ففاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم-، ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب، ومن أنكحوا النبي صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رملة، غرني منك عروة بن الزبير، فقالت: ما غرك، ولكن نصح لك لأنك قتلت أخي مصعبا فلم يأمني عليك. و لم تزل به حتى أصلح بين سكينة وعبد الله بن عثمان.(١)

(١) مصادر القصة : نسب قريش للمصعب ص ٢٣٦ والاغاني ١٧ / ٣٤١، تاريخ دمشق ١٢٧/٦٩

-٧٧-

رميصاء بنت ملحان

بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية الخزرجية النجارية، وتلقب أم سليم أم أنس بن مالك. كانت عند مالك بن النضر والد أنس بن مالك في الجاهلية فغضب عليها وخرج إلى الشام ومات هناك، فخطبها أبو طلحة الأنصاري -وهو مشرك- فقالت: إني فيك لراغبة، وما مثلك يرد ولكنك كافر وأنا مرأة مسلمة فإن تسلم فلك مهري ولا أسألك غيره. فأسلم وتزوجها وحسن إسلامه فولدت له غلاما مات صغيرا وهو أبو عمير وكان معجبا به فأسف عليه، وولدت له عبد الله بن أبي طلحة -وهو والد إسحاق- فبارك الله في إسحاق وإخوته، وكانوا عشرة كلهم حمل عنه العلم. وقيل: إن أبا طلحة لما خطب رميصاء قالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد زينة من الأرض يحبرها حبشي بني فلان؟ قال: بلى، قالت: أفلا تستحي تعبد خشبة؟ إن أنت أسلمت فإني لا أريد منك الصداق غيره. قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فقالت: يا أنس زوج أبا طلحة، فتزوجها• وكانت تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروت عنه أحاديث• وروى عنها ابنها أنس وكانت من عقلاء النساء رضي الله عنها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٠٨

-٧٨-

رحمة زوجة نبي الله أيوب عليه السلام

هي بنت أفرايم بن يوسف بن يعقوب عليهما السلام• كانت من النساء الصالحات، الطائعات لأزواجهن، وقد اتصفت من دون النساء بالصبر الجميل على بلاء زوجها أيوب عليه السلام حيث لم يبق له مال ولا ولد ولا صديق، ولا أحد يقر به غيرها فإنها صبرت معه على مضض ذام البلاء الشديد وكانت تسأل وتأتيه بطعام وشراب ويبيتان يحمدان الله سبحانه وتعالى ويرجوان منه عفوا على ما نالهما من البلاء، فلما كانت في بعض الأيام وهي تسأل كعادتها إذ تمثل لها إبليس في صورة رجل فقال لها: زين بعلك يا أمة الله؟ فقالت: هو ذاك يحك قروحه، وتردد الديدان في جسده. فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وإن ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت، فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتى بسخلة وقال لها: ليذبح أيوب هذه لي وسيبرأ، فجاءت تصرخ وقالت: يا أيوب إلى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال؟ أين الماشية؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ أين ثوبك الحسر قد تغير وصار مثل الرماد؟ وأين جسمك الحسن الذي قد بلي يتردد فيه الدود؟ اذبح هذه السلخة واسترح.

فقال لها أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبته، أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فهي من المال والولد والصحة من أنعم علينا به؟ قالت: الله. قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمنذ كم ابتلانا الله؟ قالت: منذ سبع سنين. قال: ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك. ألا صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا كما كنا في الرخاء، والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح

لغير الله طعامك وشرابك الذي تأتيني به على حرام لا أذوق مما تأتيني به بعد إذ قلت هذا، فاغربي عني لا أراك، فطردها. فما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وخر لله ساجدا وقال: رب (أني مسني الضر) (الأنبياء: ٨٣) ، ثم رد الأمر إلى ربه فقال: (وأنت أرحم الرحمين) (الأنبياء: ٨٣) فأوحى الله إليه أن اركض برجلك فركض فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شيء ظاهر إلا سقط بأثره، وأذهب الله عنه وكل ألم وداء كل سقم وعاد عليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل مما مضى، وجعل يلتفت يميناً وشمالاً فلم ير شيئا مما كان من أهل وولد ومال إلا وقد ضاعفه الله تعالى، فخرج حتى جلس على مكان مشرف. ثم إن "رحمة" قالت: أرأيت إن كان قد طردني إلى من أكله أأدعه حتى يموت جوعاً وعطشاً ويضيع فتأكله السباع، فوالله لأرجعن إليه ثم رجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحال التي كانت تعرف وإذا هي قد تغيرت فجعلت تطوف حول هذه الكناسة وتبكي وذلك بمرأى من أيوب فأرسل إليها أيوب فدعاها وقال لها: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت، وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدري أضاع أم ماذا فعل به؟ فقال أيوب عليه السلام: ما كان منك؟ فبكت، وقالت: بعلي، فهل رأيته؟ فقال: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: وهل يخفى على أحد رآه ثم إنها جعلت تنظر إليه. وقالت: أما إنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا، قال: فأنا أيوب آمرتيني أن أذبح لإبليس فإني أطعت الله وعصيت الشيطان فرد علي ما ترين فاعتنقته فقيل: إنها ما فارقته من عناق حتى مر بها كل ما كان لهما من المال والولد. فلما برأ أيوب أراد أن يبر يمينه بأمن يجلد "رحمة" فأمر هـــ الله أن يأخذ من جماعة الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا ويضبرها ضربة واحدة كما قال الله تعالى: (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) (ص: ٤٤) . وقيل: كانت "رحمة" تكسب له ما تعمل للناس فتبيعه

وتجيئه بقوته، فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد، التمست يوما من الأيام تطعمه فما وجدت شيئا فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها: أين قرنك فأخبرته الخبر فحزن عليها وشكر صنيعها.(١)

(١) مصادر القصة : تفسير أبي السعود ٨١/٦ ، التفسير الكبير ١٧٢/٢٢

-٧٩-

رضية الدين.. سلطانة الهند!

يذكر التاريخ الإسلامي لـــ "أروى بنت أحمد الصالحية" أنها أول امرأة تحكم دولة في العالم الإسلامي، فقد تولّت عرش دولة اليمن بعد وفاة زوجها الملك "المكرم" سنة (٤٧٧هـــ= ١٠٨٤م) وتصرفت في أمور الدولة، واتخذت لنفسها ألقابا عديدة، منها الحُرّة، الملكة، والسيدة السديدة، وظلت تحكم البلاد نحو ٥٥ عامًا.

وشاءت الأقدار أن تكون "رضية الدين" هي النموذج الثاني الذي يعتلي الملك؛ حيث تولّت حكم دولة المماليك بالهند، تلتها شجرة الدر في مصر؛ حيث كانت أول سلطانة لدولة المماليك في مصر سنة (٦٤٨هـــ=١٢٥٠م) وحكمت ثمانين يومًا.

وتشترك الملكات الثلاث في رجاحة العقل، وحسن التدبير، وسعة الحيلة، والتمتع بالذكاء والبصيرة، وإن افترقن في المدة التي قضينها في الحكم.

قيام دولة المماليك في الهند:

قامت الدولة الغورية (٥٤٣-٦١٣هـــ= ١١٤٨-١٢١٥م) على أنقاض الدولة الغزنوية التي كانت تملك بلاد الغور والأفغان والهند الشمالية، واستعان السلطان "محمد الغوري" في حكم بلاده بالمماليك الذين كان يشتريهم ويخصّهم بعنايته، ويعدهم للغزو والجهاد، ويرقي منهم من تؤهله ملكاته ومواهبه للقيادة ومناصب الحكم، وعُرف من بين هؤلاء المماليك "قطب الدين أيبك"، ولاه الغوري ولاية دلهي.

وكان قطب الدين قائدا ماهرا وحاكما عادلا يتمسك بالإسلام ويكره الظلم والعسف، ويبغض نظام الطبقات الذي كان سائدا بالهند، ويُنسب له في دلهي مسجد رائع، ذو منارة سامقة، ما تزال قائمة حتى اليوم تُعْرف باسمه "قطب منار"، ويصل ارتفاعها إلى ٢٥٠ قدمًا.

ولم تطل الحياة بالسلطان محمد الغوري حيث تعرض لعملية اغتيال في سنة (٦٠٣هـ= ١٢٠٦م) وتهيأت الظروف لأن تبرز مدينة دلهي، باعتبارها عاصمة لدولة سلاطين المماليك بالهند، ولم يهنأ قطب الدين أيبك بما هيأته له الظروف، فقد لقي حتفه هو الآخر إثر وقوعه من على ظهر فرسه سنة (٦٠٨هـ= ١٢١٠م) وخلفه ابنه "آرام شاه" لكنه لم يكن مؤهلا لأن يتولى شئون البلاد فقام "التمش" أحد مماليك أبيه البارزين بخلعه من الحكم بمساعدة بقية الأمراء، وجلس على عرش البلاد في عام (٦١٤هـ= ١٢١٦م).

ولاية التمش

تولي المناصب الكبيرة، وحظي بثقة سيده؛ فولاه رئاسة حرسه، ثم عهد إليه بإدارة بعض الولايات الهندية.

وما إن أمسك "التمش" بمقاليد الأمور في البلاد حتى كشف عن كفاءة نادرة وقدرة على الإدارة والتنظيم، ورغبة في إقامة العدل وإنصاف المظلومين، فينسب إليه أنه قام بتأسيس مجلس من كبار أمراء المماليك عُرف باسم "الأربعين" لمعاونته في إدارة البلاد، ويُؤثَر عنه أنه أمر أن يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا، وكان أهل الهند جميعا يلبسون الأبيض، فإذا قعد للناس أو مرّ على جمع من الناس، فرأى أحدا يرتدي ثوبا مصبوغا؛ نظر في قضيته وأنصفه ممن ظلمه.

وقد عاصر "التمش" اجتياح المغول المدمّر لما حولهم من البلاد بقيادة زعيمهم جنكيز خان، غير أن المغول انسحبوا سريعا من الهند، واتجهت أبصارهم نحو

الغرب؛ فنجت بلاد التمش من الخراب والدمار، في حين تكفّل هذا الإعصار المغولي بالقضاء على أعداء دولته في الشمال؛ الأمر الذي مكّنه من توسيع رقعة بلاده، وأن يستعيد جميع ممتلكات سيده "قطب الدين أيبك" في شمال الهند.

وبلغ الفوز مداه بأن اعترفت الخلافة العباسية بولايته على الهند، وأقرّته سلطانا على البلاد، وبعث له الخليفة "المستنصر بالله" العباسي بالتقليد والخلع والألوية في سنة (٦٢٦هـ= ١٢٢٩م) فأصبح أول سلطان في الهند يتسلم مثل هذا التقليد، وبدأ في ضرب نقود فضية نُقش عليها اسمه بجوار اسم الخليفة العباسي، فكانت أول نقود فضية عربية خالصة تُضرب في الهند.

ولاية السلطانة رضية الدين

توفي السلطان "التمش" سنة (٦٣٤هـ= ١٢٣٦م) وخلفه ابنه "ركن الدين فيروز"، غير أنه كان منشغلا عن مسئولية الحكم وتبعاته باللهو واللعب، تاركا تصريف أمور دولته إلى أمّه التي استبدّت بالأمر وهو ما جعل الأحوال تزاد سوءا، وتشتعل المعارضة ضده، وانتهت الأزمة بأن بايع كثير من الأمراء "رضية الدين بنت التمش"، وأجلسوها على عرش السلطنة، وكانت تتمتع بصفات طيبة من رجاحة العقل، وشجاعة النفس، وعلى حظ كبير من الذكاء، تحفظ القرآن الكريم، وتلم بالفقه الإسلامي.

وكان أبوها يسند إليها بعض المهام، حتى إنه فكّر في أن يجعلها "وليّة للعهد" دون إخوانها الذكور الذين انشغلوا باللهو والملذات، وقد تحقق ما كان يراه أبوها ولا يراه سواه ممن كانوا يعترضون عليه إيثاره لها، فما إن آلت إليها السلطنة حتى دلّت على ما تتمتع به من صفات، حتى إن مؤرخي الهند، أطلقوا عليها اسم "ملكة دوران بلقيس جهان"، أي فتنة العالم.

فترة ولاياتها

جلست "رضية الدين" على عرش سلطنة دلهي نحو أربع سنوات (٦٣٤-٦٣٧هـ= ١٢٣٦-١٣٦٩م) بذلت ما في وسعها من طاقة لتنهض بالبلاد التي خوت خزائنها من المال لإسراف أخيها، وسارت على خطا أبيها في سياسته الحكيمة العادلة، لكنها اصطدمت بكبار أمراء الملوك الذين يشكلون جماعة الأربعين، ويستأثرون بالسلطة والنفوذ، وحاولت الملكة جاهدة أن تسوسهم، وتحتال على تفريق كلمتهم، وتعقُّب المتمردين والثائرين عليها، وكانت تظهر بمظهر الرجال، وتجلس على العرش والعباءة عليها، والقلنسوة على رأسها وتقود جيشها وهي تمتطي ظهر فيلها.

ولما استقرت أحوال مملكتها انصرفت إلى تنظيم شئونها، فعينت وزيرا جديدا للبلاد، وفوضت أمر الجيش إلى واحد من أكفأ قادتها هو "سيف الدين أيبك"، ونجحت جيوشها في مهاجمة قلعة "رنتهبور" وإنقاذ المسلمين المحاصرين بها، وكان الهنود يحاصرون القلعة بعد وفاة أبيها السلطان "التمش".

غير أن هذه السياسة لم تلق ترحيبا من مماليك سلطنتها الذين أنفوا أن تحكمهم امرأة، وزاد من بغضهم لهذا الأمر أن السلطانة قرّبت إليها رجلا فارسيًا يُدعى "جمال الدين ياقوت"، كان يشغل منصب قائد الفرسان، ولم تستطع السلطانة أن تُسكت حركات التمرد التي تقوم ضدها، كما كانت تفعل في كل مرة، فاجتمع عليها المماليك وأشعلوا الثورة ضدها، وحاولت أن تقمعها بكل شجاعة، لكنها هُزمت، وانتهى الأمر بقتلها في (٢٥ من ربيع الأول ٦٣٧هـ= ٢٥ من أكتوبر ١٢٣٩م) وتولّي أخيها السلطان "معز الدين" عرش البلاد.(١)

---

(١) مصادر القصة : بتصرف واختصار من "المسلمون في الهند " أحمد بخش الهروي .

-٨٠-

ريحانة بنت زيد

بنت عمرو بن خناقة ، من بني النضير ، وقيل : من بني قريظة .

لها زوج منهم يقال له : الحكم ، توفي عنها وهي في ملكه ، وكان محباً لها ومكرماً، فقالت : لا أستخلف بعده أبداً .

وقعت ريحانة في سبي النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزو بني قريظة ، وكانت ذات جمال ، فاصطفاها لنفسه ، وعرض عليها الإسلام فأبت إلا اليهودية ، فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى ابن سعية وأخبره خبرها ، فقال ابن سعية :فداك أبي وأمي هي تسلم ، وخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءها ، وقال لها : لا تتبعي قومك ، فلقد رأيت ما أدخل عليهم حيي بن أخطب ، فأسلمي يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ، وجعل يشرح لها الإسلام حتى وافقت ودخلت في الإسلام . وانقلب ابن سعية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبشرى ، وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه سمع وقع نعلين فقال: (إن هاتين لنعلا ابن سعية يبشرني بإسلام ريحانة) ، وجاء ابن سعية فقال : يا رسول الله قد أسلمت ريحانة ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ، وأمر بإرسالها إلى بيت أم المنذر بن قيس ، فجلست عندها ريحانة حتى حاضت وطهرت من حيضها .

ثم جاءها الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت أم المنذر وقال لها : (إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت ، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطؤك بالملك فعلت) ، واختارت أن يطأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بملك اليمين ، فأجابها لذلك .

وفي رواية قالت ريحانة : ... ثم دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتجنبت منه حياء فدعاني فأجلسني بين يديه، فقال : (إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه) ، فقلت : إني أختار الله ورسوله . فلما أسلمت أعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشاً ، كما كان يصدق نساءه ، وأعرس بي في بيت أم المنذر ، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه ، وضرب عليّ الحجاب .

وعن الزهري قال : كانت أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها ، فكانت تحتجب في أهلها ، وتقول : لا يراني أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معجباً بها ، وكانت لا تسأله شيئاً إلا أعطاها ذلك ، فقيل لها : لو كنت سألته بني قريظة لأعتقهم ، فقال :لم يخل بي حتى فرّق السبي .

وروي أنها غارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة،فأكثرت البكاء ، فدخل عليها وهي على تلك الحالة فراجعها .

و لم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة سنة عشر .

وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة ، فدفنها بالبقيع .(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى (١٢٩/٨) ، الاستيعاب (٣٠٢/٤) ، الإصابة (٣٠٢/٤) .

-٨١-

زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي

من رصافة بغداد.. عاصمة أعرق حضارة سطّرت بأناملها على قصر الخلد أمجاد الإسلام.. وهارون الرشيد يمشي بين الحدائق الغنّاء... يمازح الغيمة المارة في السماء قائلاً: أمطري أنّى شئت فإن خراجك سيأتيني ولو بعد حين... فتضحك زبيدة واثقة من قوة سيف الحق على جبروت الباطل، وقد أتحفها الرشيد بتأديب أباطرة الروم وإجبارهم على دفع الجزية مضاعفة... لتقف حامدة لله شاكرة عطاءه بأن منّ عليها أن عاشت في عصر العظماء.. فكانت منهم ولا تقل شأناً عنهم.. من هناك نكتب لكم ...

بين أرجاء قصر الخلد عاشت زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية.. فتزوجت من ابن عمها هارون الرشيد وأنجبت له الأمين الخليفة الهاشمي الوحيد في بني العباس..

كانت لزبيدة أم الأمين حظوة قلّ أن تنالها امرأة عبر العصور... فقد نعمت بعيشة الأميرات المدللات بين كنف جدها المنصور و عمّها المهدي، ثم زوجها هارون الرشيد فأعطتها الدنيا ما نقشته كتب التاريخ بماء الذهب تحكي عن حياة أسطورية كأنها من حكايا ألف ليلة وليلة ...

إلى جانب هذا الترف كانت زبيدة زوجة الخليفة مثقفة واعية تنهل من معين العلم كما نهل المسلمون من نهر دجلة... ويُروى عنها أنها كانت شاعرة... فكثيراً ما بعثت لزوجها الرشيد برسائلها في أبيات من الشعر... بل إنها استخدمت هذه

الطريقة الأدبية الجميلة في معظم مراسلاتها التي حفظتها كتب التاريخ ، فقد أرسلت للخليفة المأمون

رسالة بعد مقتل ابنها الأمين تدل على رقي كعبها ومقامها في السياسة والكياسة والأدب والشعر جاء فيها ...

«أهنئك بخلافة قد هنأت بها نفسي عنك قبل أن أراك... ولئن كنتُ قد فقدتُ ابناً خليفة.. فقد عُوضتُ عنه ابناً خليفةً لم ألده... وما خسر من استعاض الملك مثلك.. ولا ثكلتك أم ملأت يدها منك... وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوّض ثم أنشدت تقول...

لخير إمـــام قـــام من خير عنصـــر وأفضـــل راقٍ فـــوق أعـــواد منبر
ووارث علـــم الأولـــين وفخرهم وللملك المأمون من أم جعفـــــــــر
كتبت وعيني تستهل دموعهـــــا إليـــك ابن عمي مع جفوني ومحجري
أصبت بأدنى الناس منك قرابةً ومَنْ زال عن كبـــدي فقـــل تصبري

عرفت زبيدة الحياة بحلوها وطيب متاعها فنالت منها ما شاءت... وعلمت حق ربها وأهوال آخرتها، فعملت لها بقدر ما خافت... إذ يروى أنها كانت فقيهة عابدة، وكان لها مائة جارية كلهن يحفظن القرآن.. وكان يُسمع لهن دويٌّ كدوي النحل... وقد جعلت زبيدة لكل منهن ورداً يومياً بقراءة عُشر القرآن.

تمتعت زبيدة بقسط وافر من الهيبة والكلمة المسموعة في الدولة العباسية فسخّرت تلك المكانة لأعمال البر وأسبغت عليها من الإنفاق ما سابقت به أكابر الرجال..

يروى أنها حجت ذات مرة إلى بيت الله الحرام ولمست وهي في أبهة موكبها ما يلاقيه الحجاج وأهل مكة من المشاق في الحصول على ماء الشرب.. فدعت خازن مالها وأمرته أن يدعو المهندسين والعمال من أنحاء البلاد وقالت له: اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً.. فوفد على مكة أكفأ المهندسين والعمال، ووصلوا بين منابع الماء من حنين حتى مكة بمسيرة عشرة كيلومترات حتى فاض الماء يحمل معه اسم زبيدة في صدقة جارية تجاوز عمرها الآن مئات السنين.. تحمل الخير لحجاج بيت الله الحرام والحسنات الدائمة لزبيدة صاحبة هذا المشروع العظيم الذي بلغت نفقاته في تقدير ذلك العصر مليوناً وسبعمائة ألف دينار..

كما أمرت بتمهيد الطريق الذي يصل بين العراق ومكة وحفرت له الآبار وشيدت له المنازل والدور بما يعرف باسم (درب زبيدة) وقد وصلت نفقات مشروعها في تلك الحجة أربعة وخمسين مليون درهم ...

فما أجمل أن يصبح المال نعمة بين يدي صاحبه.. يحمل له الثواب إلى قبره في كل يوم، بل وفي كل لحظة.. لتبقى عبق الذكرى عطرة بين المسلمين إلى ما شاء الله لها أن تبقى.... وهكذا هي عين زبيدة ...(١)

---

(١) مصادر القصة : وفيات الأعيان (٣١٤/٢) ، صفحات نيرات من حياة السابقات : ص١٦٥ .

-٨٢-

زبيدة القسطنطينية

يه ابنة أسعد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حمزة الحنيفية ذكرها المرادي من جملة مشاهير أبناء القرن الثاني عشر للهجرة وقال: هي أم الفطنة الشاعرة المشهورة وصاحبة الديوان، الأديبة الفاضلة، الكاملة الحاذقة. ولدت بالقسطنطينية ونشأت بكنف والدها شيخ الإسلام المولى أسعد مفتي الدولة العثمانية وقرأت القرآن واشتغلت بأخذ الفنون وقرأت الفقه واللغة والآداب ونظمت الشعر الفارسي والتركي، وتعلقت على الأدب، واشتهر ذكرها وشاع صيتها وكانت تخترع كل معنى مبتكر تحاربه الألباب، وامتدحت سلاطين وقتها ووزرائه، واشتغلت بمطالعة الكتب واتصل بها المولى الرئيس ودرويش عبد الله نقيب الأشراف وقائد العساكر، وتنافس الناس بشعرها وتداولته الأيدي - وكانت وفاتها في ذي القعدة سنة ١١٩٤م.(١)

---

(١) مصادر القصة: : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢١٨ . سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ١٧/٢

-٨٣-

زليخا امرأة قطفير عزيز مصر

قيل: إن اسمها راعيل ابنة عابيل، وقيل: اسمها بكا ابنة فيوش وأكثر التواريخ أن اسمها زليخا.

كان والدها من أولاد ملوك القبط الذين حكموا مصر قبل دخول العرب الذين سماهم المؤرخون ملوك الرعاة. كانت زليخا رأت في نومها أنها ستكون ملكة على مصر وأن القمر صار تاجا لها ولبسته يوم توليتها على عرش المملكة فقيل لها: إنها ستتزوج بملك مصر، ومضى على ذلك أيام وليال، ولم يظهر لمنامها تأثير حتى إنها تزوجت بقطفير عزيز مصر الذي كان بذاك الزمان محافظا على البلد من قبل ملكها وظنت أن منامها كان أغاث أحلام فصرفت أفكارها عما رأت.

وفي أثناء ذلك دخلت العرب إلى مصر واستولت عليها وأبقت من دخلوا تحت الطاعة في الأحكام مثل قطفير وخلافه، وبذلك صارت زليخا مسموعة الكلمة مطاعة الأوامر، مقبولة الرجاء عند ملوك الرعاة ولم تطلب أمرا إلا تجاب عليه وبقيت تحت قطفير حتى قيض الله لها يوسف بصفة عبد جاءت به التجار وصارت عليه المزايدة حتى رسا مزاده على قطفير زوج زليخا فأخذه إلهيا وأمرها بإكرامه، فأخذته إليها وأكرمت مثواه إكراما لا مزيد عليه حتى جعلته بمثابة أولاد الملوك وكانت تلبسه الديباج وقراطق الحرير وتوقفه على رأسها وتأمره بما تريد من أمرها، ولما تفرس العزيز في يوسف الخير والصلاح لم يتزله متزلة العبيد بل قال لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهو يومئذ ابن سبع سنين. وقيل: سبع عشرة سنة فكانت زليخا تمشط شعره بيدها وتخدمه بنفسها ومازالت زليخا في كل يوم تحسن إلى يوسف وتتولى أمره حتى مال قلبها إليه وتكاثر وجدها وهو مع ذلك

لا يلتفت إليها بعينه حياء من ربه ولا ينظر إليها حتى تكاثر همها ودق عظمها وكابدها الشجون وواصلها النحول.

فلما عيل صبرها وضاق صدرها دخلت حاضنتها. فقالت لها: يا سيدتي، أرى غصنك ذابلا وجسدك ناحلا، وقلبك مائلا فقالت لها: وكيف لا وأنا أخدم هذا الغلام منذ سبع سنين ألاطفه بلساني وأتحبب إليه بإحساني، وكلما زدت ميلا إليه زاد إعراضا عني وكلما قربت منه تباعد مني. فقالت الحاضنة: يا سيدتي، لو نظر إليك لكان أسرع إليك منك إليه، ولو نظر إلى حسنك وجمالك وصفاء لونك لما قر له قرار دونك فقالت لها: وكيف لي به؟ قالت لها: مكنيني من الأموال، فقالت: ها خزائني بين يديك خذي منها ما شئت ودعي ما شئت لا حساب عليك في ذلك، فتمكنت من الأموال ودعت أهل البناء والهندسة وقالت: أريد بيتا ترى الوجوه في سقفه وحائط كما ترى في المرآة المصقولة فأجابوا بالسمع والطاعة

ثم بنوا لها بيتا سمته القيطوم، فلما تكامل بناؤه وتم إتقانه دعت بحضور مصور حاذق فصور في الحائط صورة يوسف وزليخا متعانقين ولم يبق من صورتهما شيء غلا صور، وأمرت بسرير من ذهب مرصع بالدر والياقوت واللؤلؤ، فوضعته في صدر البيت وجعلت عليه فرش الديباج والحرير الملون، ثم فرشت البيت وأرخت الستور، ثم ألبست زليخا من نوع من الحلي والحلل النفيسة ما لا يوصف ولا يقدر بقيمة وأجلستها على مرتبة عظيمة مما يليق بمثلها.

ثم خرجت إلى يوسف وهي مستعجلة فقالت: يا يوسف أجب سيدتك زليخا فإنها تدعوك في بيتها القيطوم وكان سامعاً لها مطيعاً، وكان بيده قضيب من ذهب يلعب به، فرمى القضيب من يده وأسرع إلى الباب ليدخل فنادته زليخا مستعجلة له بالدخول فظن السوء في نفسه وأراد الرجوع بعد أن وضع رجله داخل العتبة، فتوقف عند ذلك وزاد إحساس قلبه بالشر فأسرعت إليه وجذبته إلى السرير

وقالت: هيت لك، فأغمض عينيه وكف يديه ونكس رأسه حياء من الله تعالى فقالت له: يا يوسف، ما أحسن وجهك. قال: الله صوره في الأرحام. قالت: ما أحسن عينيك! قال: هما أول ما يسقطان مني في قبري. قالت: ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما يبلى مني. قالت: يا يوسف: ما أطيب ريحك! قال: لو شممت رائحتي بعد ثلاث لفررت مني، قالت: يا يوسف أتقرب إليك فتتباعد مني! قال لها: أرجو بذلك التقرب من ربي. قالت: انظر إلي نظرة واحدة. قال لها: أخشى العمى من ربي في آخرتي. قالت: ضع يدك على فؤادي. قال لها: إذا تغل في النار يدي. قالت: أشتريك بمالي وتخالفني. فقال: الذنب لإخوتي إذ باعوني حتى ملكتيني. قالت: اصبر معي ساعة واحدة في البيت. قال لها: ليس فيه شيء يسترني من ربي قالت: يا يوسف، بأي وجه تخالفني وبأي حكم ترجع عن مرادي ولا ترعى صنعي؟ قال لها: حكم إلهي الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه وبطشه وإكراماً لسيدي الذي أكرم مثواي وأنزلني منزلة الأولاد. فقالت له: أما إلهك الذي في السماء فإني أفتح بيوت الأموال وأتصدق عنك بها وأهديها إليه حتى يرضى عنك ويغفر لك، ولا أبالي أنا فيما يفعل في حقي لمرادي وقضاء حاجتي، وأما سيدك الذي أكرم مثواك فأنا أطعمه السم حتى ينتثر لحمه ويسقط عظمه ويموت جهداً وكمداً، وأكون أنا وأموالي وما ملكت يداي ملكك وطوع يمينك. قال: إذاً فما يكون عذري يوم القيامة بين يدي ربي إذ أكون فضلاً عن ارتكاب المعصية سبباً في جريمة قتل سيدي الذي أحسن إلي. وبعد هذه المحاورة التفت يوسف إلى صنم داخل البيت وعليه ستر فقال لها: لماذا سترت هذا الصنم؟ قالت: استحيت منه، فقال: إذا كنت تستحين من هذا وهو لا يسمع ولا يدري ولا ينفع ولا يضر فكيف أنا لا أخاف من ربي وقام وبادر بالخروج من الباب من غير أن يكون

بينهما سبب من الأسباب وقد شهد الحق له بذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) (يوسف: ٢٤) .

ولما رأته فر يريد الباب أدركته وجذبت قميصه من خلفه فتمزق القميص ووافق ذلك الوقت أن العزيز مر بالباب يريد قضاء حوائجه فإذا بوجبة فالتفت فإذا بالباب يحمل ويساق فدفع الباب وقال: من؟ فإذا يوسف مقدود الثوب باكي العين وإذا زليخا ناشرة الشعر محمرة الوجه باكية العين. فقال العزيز: فيم أنتما؟ فقالت زليخا: يا سيدي غلامك العبراني الذي ائتمنته على أهلك ومننت عليه بفضلك، وأحللته محل ولدك يريد بأهلك السوء. فأقبل العزيز على يوسف بوجهه وقال: يا يوسف، هذا جزائي منك ائتمنتك على أهلي وأحللتك محل الأولاد المكرمين، ورجوت الخير والانتفاع بك فصرت تخونني في أهلي. فقال يوسف: معاذ الله أن أخونك في أهلك وأرضى بذلك! بل هي راودتني عن نفسي. فوقف العزيز متحيراً ينظر إليها تارة وإليه أخرى.

فقال يوسف: إن لي شاهداً يشهد ببراءتي. فقال العزيز: ما هو الشاهد و لم يكن معكما أحد في البيت؟ فقال: انظر هذا القميص كيف قد من دبر فلو كنت أنا المراود لكان القميص قد قد من قبل وهذا برهان محسوس على ذلك وكان مع العزيز ابن عم زليخا، فلما سمع هذا الدليل وجده قاطعاً فقال: انظر إلى قميصه إن كان قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فنظر العزيز إلى القميص فوجده ق د من دبر فقال لها: إن ذلك من كيدكن إن كيدكن عظيم ثم قال ليوسف: اكتم هذا ولا تبح به لأحد وقال لها: استغفر لذنبك إنك كنت من الخاطئين ثم تركها وانصرف.

وبعد ذلك قالت ليوسف: قد فضحتني والله لأسلمنك للمعذبين يعذبونك حتى ينسل جسمك كما سللت جسمي. فقال لها: إن كنت احتقرتني لغربتي فالله

حسبي ونعم الوكيل. واشتغلت عن ذلك بكلفها به وشاع الخبر بمصر أن امرأة العزيز راودت فتاها عن نفسه قد شغفها حباً، وقد اجتمع نساء الملوك والأمراء والقادة مرة وتذاكران أمرها فاستقبحنه وقلن: إنها في ضلال مبين، فبلغ ذلك زليخا وعظم عليها فأرادت أن تبين عذرها لهن فيه فصنعت لهن صنيعاً وأرسلت إليهن تدعوهن لضيافتها، وهيأت لهن مجلس أنس وأوجدت فيه كل معدات الطرب وكن عشرة نسوة من نساء الملوك والأمراء وعشر بنات أبكار من بنات الملوك والأمراء، وبعد أن تناولن الطعام قدمت لكل واحدة منهن صحفة من عسل وأترجة وسكيناً حاداً، وقالت لهن: ما حقي عليكن؟ فقلن لها: أنت سيدتنا وكبيرتنا والمطاعة فينا نسمع لك ونطيع. فقالت: لهن: بحقي عليكن إذا خرج عليكن فتاي يوسف إلا ما قطعتن له مما في أيديكن وأعطيتنه يأكل. فقلن لها حباً وكرامة. فتركتهن وذهبت إلى يوسف وقالت له: يا يوسف، أطعني اليوم واعصني أبداً. قال: أما ما لم يكن فيه سخط ربي فلا أبالي. فقالت له: دعني حتى أزينك وإن كنت مزيناً قال: اصنعي ما بدا لك، فرصعت جوانبه بالدر والياقوت وكللت جبينه بالجوهر وألبسته قباء أحطر ومنطقته بمنطقة من ذهب أحمر، ووضعت على عاتقه منديلاً من السندس وكأساً من ذهب في يده وقالت: اخرج عليهن فلو رأين منك ما رأيت لذهبن عن أنفسهن ولتركن الطعام والشراب ولمن أنفسهم كما لمنني. فخرج عليهن وهن قعود يقطعن في الأترج فلما رأينه ظنن أن صنم زليخا الذي تعبده وكن يسمعن به ويحببن أن ينظرن إليه، فلما بدا لهن يوسف أكبرنه وصرن شبه السكارى والحيارى من كثرة تعجبهن من بهائه وكماله وأمعن في نظرهن إلى حسنه وجماله ورمن أن يقطعن ما في أيديهن كما شرطت زليخا عليهن فصرن يقطعن أيديهن وصارت الدماء تسيل في حجورهن ولا يجدن ألم القطع ولا حدة السكاكين ولا وقوع الدم على الأجسام، ويوسف يقول: ويحكن ماذا تصنعن بأنفسكن إنما أنا عبد من عبيد ربي،

وزليخا تضحك مما تراه منهن من تقطيع أيديهن وذهاب عقولهن وأمرته بالانصراف، فلما غاب عن عيونهن رجعن إلى حسهن فقالت لهن زليخا: ويحكن من لحظة واحدة فعلتن بأنفسكن هذا وأنا منذ سبع سنين أقاسي منه ما أقاسي، وأخدمه على أطراف البنان وهو لا يعيرني طرفه ولا يلتفت نحوي فقلن لها: حاشى لله ما هذا بشراً أن هذا إلا ملك كريم فقالت لهن: ما هذا الذي فعلتنه بأنفسكن؟ فلما رأين ما نزل بهن أدركهن الخجل وذكرن ما لمنها به• فقالت لهن: هذا الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وأبى ولئن لم يفعل ما آمره لأسجننه وأعذبنه حتى يكون من الصاغرين. وقد أقرت لهن بأمرها لكونهن عذالها ورأتهن وقعن بما وقعت به فقلن لها: إنك لمعذورة فمرينا أن نكلمه بشأنك عساه أن يطيع ويسمع عندما توبخه عن إعراض نفسه.

فأذنت لهن بالخلوة طمعاً في أن يملنه إليها، فجعلت كل واحدة منهن إذا خلت به تدعوه إلى نفسها وتشكو إليه وجدها فقال يوسف: يا ربي كانت واحدة لم أقدر عليها بعنايتك، وقد صرعن جماعة (رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) (يوسف: ٣٣) .

ولما رأين أن لا حيلة لهن باستمالته قلن لها افعلي ما بدا لك فيه، فطاولته مدة من الزمن ولما يئست منه قالت لزوجها: إن هذا الغلام فضحني بين الناس ونكس رأسي بين نظرائي وقد شاع خبري وخبره في مصر ولا براءة لي عندهم إلا أن أحبسه في السجن. فقال لها زوجها: لا يحبسه إلا الملك الريان بن الوليد، وكان مراده أن يخرج أمره من يدها لأنه إذا كان مره بيدها ربما حنت عليه وأخرجته من السجن فلما سمعت ذلك لبست ثيابها وزينتها وجعلت تاجها على رأسها وخرجت حتى أتت إلى الريان بن الوليد وكان في بيته الأعظم وهو بيت من الحديد والنحاس

فيه الزخارف بأنواع الجواهر والمعادن وكان يجلس في أعلى الباب حتى إذا دخل عليه أحد يراه قبل دخوله، فإن شاء أذن له وإلا ينصرف.

ولما رأى زليخا مقبلة أذن لها بالدخول وأمر الغلمان بفتح الأبواب أمامها، وكانت ذات قدر عظيم عنده مسموعة الكلمة لأنها من بنات الملوك، ولما دخلت على الملك خرت له ساجدة فقال لها الملك: ارفعي رأسك فأنت المقربة المرضية وحاجتك عندي مقضية، فرفعت رأسها إليه وأخذت في الثناء عليه بقولها: أيها الملك دام لك العز والبقاء وألبست ثوب النعمة والرخاء لم تزل لي مكوماً ولقضاء حاجتي مسرعاً وأن عبدي العبراني قد استعصى عليّ وأحب أن تأذن لي بحبسه في سجن المجرمين حتى يتأدب ولو بعد حين فقال لها: قد أجبتك وجعلت أمر السجن بيدك فانطلقي فاطلقي من شئت واحبسي من شئت فأخذت إذنه ورجعت إلى مترلها وأمرت بإحضار الحدادين إليها فمثلوا بين يديها فقالت لهم: إني أريد أن تصنعوا لي قيداً محكماً لعبدي يوسف العبراني. فقالوا: أيتها الملكة المطاعة في أمرها العظيم في قومها إنا نرى بدناً ناعماً وساقاً رقيقاً ووجهاً أنيقاً، وإنه ربي بنعمة كاملة وعافية شاملة، فكيف يقوى على حمل القيد الحديد الثقيل. فقالت: قيدوه وهذا لا يعنيكم. فقال يوسف: افعلوا ما أمرتكم به فإني من أهل بيت البلاء فقيدوه وحملوه على الأكتاف وانطلقوا به إلى السجن وتسامح الناس به فأقبلوا عليه من كل مكان حتى غصت الطرقات وصاروا ينظرون إليه ويقولون: إنه عصى سيدته الملكة وهو منكس رأسه ويقول: هذا خير من عصيان رب العالمين، فلما وصلوا به إلى السجن قالوا للسجان: خذ هذا فإن سيدته غضبت عليه وأمرت أن يسجن في سجن المجرمين، فأدخله السجان إلى السجن ووضعه بين أصحاب الكبائر والجنايات، ودخل العزيز على زليخا وقال: ما فعلت بيوسف؟ قالت: قيدته وحبسته وكان كرادها أن تخرجه عن قريب. فقال لها: أقسمت عليك بالملك

الريان ورأسه إلا ما أبقيت يوسف في السجن ما دام املك حياً فلم يمكنها إلا إبرار القسم وأدركها الندم، و لم تجد عذراً تخرجه به، وكانت تصعد إذا جن الليل إلى أعلى قصرها وتنظر إلى جهة السجن وتبكي وتقول: حبيبي يوسف ليت شعري أنائم أنت أم يقظان أجائع أنت أم عطشان، وتبقى على ذلك النحيب والبكاء حتى ينفجر الصبح وجداً عليه وشوقاً إليه وقد أنحلت الغرام وخالطها الهيام وداخلها السقام وهجرها المنام، وتعذر على ناعتها إثباتها ودامت على ذلك لا تشكو إلا بذكره ولا تسأل إلا عن أمره مدة اثنتي عشرة سنة حتى أذن الله ليوسف بالخروج من السجن كما جاء في قصته، و لم يشأ الخروج إلا بعد براءة ساحته، فجاء الملك بالنسوة اللاتي قطعن أيديهن وسألهن عن ذنب يوسف بقوله: ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه وكيف دعوتنه إلى الفاحشة فأقررن عند ذلك.

وقلن: حاشى الله ما علمنا عليه من سوء، ولا كانت رغبة فينا ولا دعوة للزنا وإنه لبريء الساحة طاهر الذيل. فقالت زليخا: هذا وقت بيان الحق واضمحلال الباطل إن مراد حبيبي إقراري. فأنا أقر بذنبي، الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين، ولما ظهرت براءة يوسف وتبوأ الملك وحصل القحط في مصر نسي زليخا و لم يفتكر بها لكثرة أشغاله، وقد مات العزيز زوجها وهي لكثرة إسرافها نفذت أموالها خصوصاً في أيام القحط التي حصلت بمصر في مدة يوسف حتى صارت لا تملك شيئاً ومدة يدها للسؤال فقيل لها: تعرضت للصديق لرحمك وأعطاك شيئاً عن الناس يغنيك. وقيل لها من آخرين: لا تفعلي فربما يذكر ما كان منك إليه من المراودة وطول السجن والمخالفة فيسيء إليك ويعاقبك فقالت: أنا أعلم بحبيبي منكم وإن من خلقه الصفح والاحتمال والفضيلة والابتهال، ثم نهضت حتى جلست على ربوة بطريقه وكان ليوسف يوم يركب فيه في كل أسبوع وكان يركب معه من عظماء دولته ووزرائه وقواده وأرباب مملكته نحو المائة ألف نفس،

فلما أقبل يوسف وأحست به قامت ونادت بأعلى صوتها سبحان من جعل العبيد ملوكاً بالطاعة، وجعل الملوك عبيداً بالمعصية. فأمسك العنان ونظر إليها وهي واقفة في ذلك المكان فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا التي كنت أخدمك دهراً وأرجل جمتك وكان مني ما كان في ذلك الزمان قد ذقت وباله ولقيت نكاله، وتغيرت كما ترى أحوالي، وصرت أسأل الناس الذين كانوا يسألوني فمنهم من يرحمني ومنهم من يعرض عني، وهذا جزاء من خالف مولاه واتبع هواه.

فلما سمع الصديق كلامها بكى إشفاقاً عليها ثم قال لها: هل بقي بقلبك شيء مما كان؟ قالت: والله لنظرة فيك أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قال ت: ناولني سوطك فناولها إياه فوضعته على قلبها فأحس يوسف بانتفاض يده مع السوط من شدة انتفاض قلبها وقال لها: ما أصاب قلبك؟ فقالت: يا يوسف، هو كما ترى. فقال لها: اذهبي إلى مترلك وإننا سننظر في أمرك، ثم ذهب باكياً وبعد وصوله إلى مستقره أرسل إليها رسولاً فقال: يقول لك الملك إن كنت أيماً تزوجناك وإن كنت ذات بعل أغنيناك. فقالت للرسول: إليك عني فإن الملك أعرف بالله من أن يستهزئ بي فإن لم يلتفت إلي أيام شباب وجمالي فكيف يلتفت إلي الآن و لم تصدق قوله، فرجع الرسول وأخبر الصديق بما قالت وذكرت من شأنها، فعلم أنها غير واثقة تصدق قوله، فرجع الرسول وأخبر الصديق بما قالت وذكرت من شأنها، فعلم أنها غير واثقة بما قاله لها الرسول. فلما كان في الأسبوع الثاني مر الصديق عليها بموكبه فرآها على الحالة التي رآها بها أول مرة وقالت له كما قالت في الأول فقال لها: ألم يبلغك رسولي ما أرسل به إليك فما ترين؟ فقالت: ألم أقل إن نظرة إليك أحب إلي من الدنيا وما فيها. فلما سمع منها ذلك أمر بحملها إلى قصره وأحضر الشهود وتزوجها، فلما زفت عليه وأدخلت إليه نظر إليها فزاد إشفاقاً عليها فأكرمها إكراماً لا مزيد عليه، ورتب لها من يقوم بأودها و لم يمض زمن حتى عاد

إليها جمالها ورونقها وبهاؤها وكمالها وذلك من سوروها بما نالت من حبيبها حلاً بعد الحرام، وانتقالها من دنيا إلى أخرى بقدرة الملك العلام. وقيل: إنها طلبت إليه أن يدعو الله أن يرد لها جمالها ففعل، وهنالك تذكرت المنام الذي كانت رأته قبل تزوجها بقطفير فرأت تفسيره قد حصل بزواجها بيوسف، أن لبست تاج مصر في مدته وصارت ملكة كعادة زمانهم ولما دخل عليها يوسف وجدها بكراً فتعجب من ذلك وقال لها: ما كنت تفعلين حين راودتني عن نفسي قالت: أيها الصديق اعذرني ولا تلمني فإن الله كساك حلة الجمال والبهاء والكمال وكان زوجي عنيناً لا يقرب النساء فغلب علي حب الشهوة ففعلت ما فعلت. ولما أتاها ولدت له "افراديم" وبعده"منشا" وذلك في مدة أربع سنوات ولم تلد له خلافهما مدة حياتها.(١)

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٢٢

-٨٤-

زينب بنت جحش

أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رياب ، و ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرات الأول.

كانت عند زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي التي يقول الله فيها : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ (الأحزاب: من الآية٣٧). فزوجها الله بنبيه بنص كتابه ، بلا ولي ولا شاهد فكانت تفخرُ بذلك على أمهات المؤمنين ، وتقول:زوَّجكنَّ أهاليكن ، وزوجني الله من فوق عرشه .

وكانت من سادة النساء ،ديناً و ورعاً و جوداً و معروفاً ، رضي الله عنها .

توفيت في سنة عشرين وصلى عليها عُمر .

وهي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول (أسرعكُن لحوقاً بي أطولُكن يَداً) و إنما عني طولَ يدها بالمعروف .

روُي عن عائشة قالت : كانت زينب بنت جحش تُساميني في المترلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما رأيت امرأة خيراً في الدين من زينب ، أتقى لله ، و أصدق حديثاً ، و أوصل للرحم ، و أعظم صدقة .

وعن بررة بنت رافع قالت : " لما جاء البطاء ، بعث عمر إلى زينب رضى الله عنها بالذى لها ، فلما دخل عليها ، قالت : غفر الله لعمر ، لغيرى من أخواتي كان أقوى على قسم هذا منى ." قالوا : هذا كله لك ، فقالت : سبحان الله !! واستترت دونه بثوب ، وقالت صبوه واطرحوا عليه ثوباً " فصبوه وطرحوا عليه ،

وقالت لى أدخلى يدك فاقبضى منه قبضة ، فاذهبى إلى فلان ، وآل فلان ، من أيتامها وذوى رحمها ، فقسمته حتى بقيت منه بقية ، فقالت لها بررة : غفر الله لك والله لقد كان لنا من هذا حظ ، قالت : لكم ما تحت الثوب ، فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً ، ثم رفعت يدها وقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا ، قالت : فماتت رضى الله عنها .

قال محمد بن كعب : كان عطاء زينب اثنى عشر ألف درهم حمل إليها فقسمته فى أهل رحمها وفى أهل الحاجة ، حتى أتيت عليه ، فيدع عمر فقال : هذه امرأة يراد بها خير ، فوقف على بابها ، وأرسل بالسلام وقال : " قد بلغنى ما فوقه ، فأرسل إليها بألف درهم لها لتنفقها ، فسلكت بها طريق ذلك المال .

وقالت عائشة رضى الله عنها بعد موتها :" لقد ذهبت سيدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل.

عن عطاء ، سمع عُبيد بن عُمير يقول: سمعتُ عائشة تزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكثُ عند زينب بنت جحش ، ويشربُ عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن أيَّتُنا ما دخل عليها ، فلتقُل : إني أجد منك ريحَ مغافير ! أكلتَ مغافيرَ ! وهو شراب له رائحة كريهة فدخل على إحداهما ، فقالت له ذلك ،قال : بل شربت عسلاً عند زينب و لن أعود له. فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾

(التحريم: من الآية١) إلى قوله: ﴿ إِنْ تَتُوبَا ﴾ (التحريم: من الآية٤) يعني حفصة، وعائشة ، ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ ﴾ (التحريم: من الآية٣) قوله : بل شربتُ عسلاً.

و كانت صناع اليد ، فكانت تدبغ ، و تخرز ، وتصدَّق .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه و سلم قال لزيد : ((اذكرها علي)) قال : فانطلقت ، فقلتُ لها : يا زينب أبشري ، فإنَّ رسولَ الله أرسل يذكركِ . قالت : ما أنابصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي . فقامت إلى مسجدها ،ونزل القرآن ، وجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن.(١)

(١) مصادر القصة : سير أعلام النبلاء (٢/٢١٥) ، الطبقات (٨/١٠٨) ، السمط الثمين للطبري : ص٩١ .

-٨٥-

زينب بنت محمدﷺ

كانت زينب بنت رسول الله ﷺ أكبر بناته ، وقد تزوجها أبو العاص بن الربيع ، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد ، وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بمدة قليلة إنها عشر سنين

فلما بعث النبي ﷺ وأظهرت قريش عدواتها مشوا إلى أبي العاص وقالوا له : فارق بنت محمد ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت ، فقال : لا والله إني لا أفارق صاحبتي ، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش .

وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم ، مغلوباً على أنره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت ، وبين أبي العاص ، إلا أن رسول كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فقامت معه على إسلامها ، وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله ﷺ ، فلم كان يوم بدر كان أبو العاص بن الربيع من الأسرى ، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ .

ولما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بقلادة لها كانت خديجة أمها رضى الله عنها قد أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال : " إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا "

فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه . وردوا عليها الذى لها .

فأخذ عليه النبى ﷺ وعداً أن يخلى سبيل زينب ، وكانت من المستضعفين من النساء ، وأستكتمه النبى ﷺ ذلك ، وبعث زيد بن حارثه ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : " كونوا ببطن يأجج

حتى تمر بكما زينب فتصحبانها حتى تأتيانى بها " فخرجا مكانهما ، وكان ذلك بعد بدر بشهر ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فتجهزت ، فقدم أخو زوجها - كنانه بن عدى بن ربيعه ، وهو ابن خالتها – بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته نهاراً ثم خرج يقود بها ، وهى فى هودج لها ، وتحدث بذلك رجال من قريش ، فخرجوا فى طلبها ، حتى أدركوها بذى طوى ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود فروعها بالرمح وهى فى هودجها ، وكانت حاملاً ، فلما ريعت طرحت ما فى بطنها ، فبرك كنانه – أبن خالتها – ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو منى أحد إلا وضعت فيه سهماً ..، فرجع الناس وانصرفوا عنه .

ثم أتى أبو سفيان فى جله من قريش فقال : أيها الرجل : كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس أن ذلك على ذل أصابنا ، ولعمرى ما بنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، أرجع بها ، حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أنا رددناها فسلها سراً ، وألحقها بأبيها ، ففعل ، وخرج بها بعد ليال ، فسلمها إلى زيد وصاحبه فقدما بها على رسول الله ﷺ .

فلما كان قبل فتح مكة خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام – وكان رجلاً مأموناً ، بمال له وأموال لرجال من قريش ، فلما رجع لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هارباً ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت جنح الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها ، فأجارته ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح ، فكبر وكبر معه الناس صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس : أنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال : " أيها الناس هل سمعتم

ما سمعت ؟" قالوا : نعم ، قال:" والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ من ذلك حتى سمعت منه ما سمعتم ، أنه يجير على المسلمين أدناهم ".

ثم إنصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال :" أى بنية : أكرمى مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له ".

ثم إن رسول الله ﷺ بعث السرية الذين أصابوا مال أبى العاص فقال لهم : " إن هذا الرجل منا حيث علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له فإنا نحب ذلك ،وإن أبيتم فهو فئ الله الذى أفاء عليكم فأنتم أحق به ".

فقالوا : يا رسول الله : بل نرده عليه فردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً ... ثم إحتمله إلى مكه – فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ، ومن كان أبضع معه ، ثم

قال : يا معشر قريش : هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً كريماً ، قال فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله والله ما منعنى من الإسلام عند رسول الله ﷺ إلا تخوفى أن تظنوا أنى أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت .

ثم خرج مهاجراً حتى قدم على رسول الله ﷺ

قال ابن عباس : فرد عليه النبى ﷺ زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئاً بعد ست سنين ثم عاشت رضى الله عنها حتى ثمان من الهجرة ، وتوفيت فى عهد النبى ﷺ وكان يحبها ويثنى عليها .. وأستمر أبو العاص معها على حبه ومودته ... ، حتى لحق بها بالرفيق الأعلى فى شهر ذى الحجه سنة إثنتى عشر فى خلافة أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

ولا عجب أن تسمع هذا الزوج المحب فى بعض أسفاره إلى الشام يقول :

ذكرت زينب لما ركبت ارما فقلت سقياً لشخص الحرما

بنت الأمين جزاك الله صالحة وكل بعل سيثنى بالذى علما

قالت بره بنت رافع : لما خرج العطاء ، أرسل عمر ـــ رضى الله عنه ـــ إلى زينب بنت جحش بالذى لها ، فلما أدخل عليها قالت : غفر الله لعمر ، غيرى من إخوانى كان أقوى على قسم هذا منى . قالوا : هذا كله لك .

قالت سبحان الله ! واستترت منه بثوب ؛ وقالت ضعوه ، واطرحوا عليه ثوباً ثم قالت لى : ادخلى يدك فاقبضى منه قبضة ، فاذهبى بها إلي بنى فلان ، وبنى فلان من أهل رحمها وأيتامها ، حتى بقيت منه بقية تحت الثوب فقالت لها بره : غفر الله لك ، يا أم المؤمنين ، والله لقد كان لنا فى هذا حق . قالت : فلكم ما تحت الثوب . قالت فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهماً ، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت : اللهم ، لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا فماتت.(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى (٣٠/٨) و الاستيعاب (٣٠٤/٤) ، الإصابة (٣٠٦/٤)، تاريخ الطبرانى (٤٦٧/٢-٤٧٣) ، سيرة بن هشام (٢/٣- ٢٠٨) ، سير أعلام النبلاء (٢٠٦/٣ – ٢٠٨)، الكامل فى التاريخ (٩٤/٢).

-٨٦-

زينب ابنة جزيمة

زينب ابنة جزيمة بن حارثة بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقال لها: أم المساكين لكثرة إطعامها وصدقتها عليهم، وكانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل: كانت عند الطفيل بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف، ثم خلف عليها أخوه عبيد بن الحارث كانت أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأمها، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حفصة، ولم تلبث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيراً – شهرين أو ثلاثة – حتى توفيت وكانت وفاتها في حياته صلى الله عليه وسلم لا خلاف فيه.

وقال ابن منده: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً" فكان نساء النبي يتذارعن أيتهن أطول يداً، فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يداً في الخير، وهذا وهم فإنه صلى الله عليه وسلم قال: "أسرعكن لحوقاً" وهذه سبقته إنما أراد أول نسائه تموت بعد وفاته، وقد تقدم في زينب بنت جحش وهو لها أشبه لأنها كانت كثيرة الصدقة من عمل يدها، وهي أول نسائه، توفيت بعده والله أعلم.(١)

---

(١) مصادر القصة :

-٨٧-

زينب الغزالي

شامخة كالطود ... تزيدها الرياح كبرياء .. والعواصف جرأة .. وهجمات الباطل ثباتاً على مبدأ الحق .. نبتت كبرعم أخضر سقتها العناية الإلهية من ينابيع الإسلام فكبرت واشتد عودها صلابة.. تقاوم به السياط بصدق من اشترى الآخرة بآلام الدنيا..

إنها زينب الغزالي الجبيلي.. العربية الأصل.. وصاحبة النسب القرشي إذ يتصل نسبها من جهة أبيها بالفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. صاحبة اللسان الفصيح والحجة القوية حتى في أحلك الظروف وأكثرها إيلاماً.. سارت في رحلة الحياة موقنة أن ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبها.

ولدت زينت الغزالي في ٢ يناير عام ١٩١٧م بإحدى قرى محافظة الدقهلية في مصر.. كان والدها من علماء الأزهر الشريف فرباها على حب الخير والفضيلة.. نمى لديها استعداداً فطرياً لقول الحق وصدق الحديث ورفض الظلم والتصدي له بسلاح الإيمان بالله.. أرادها والدها أن تكون مثل الصحابية الجليلة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية.. وكان دؤوباً على تسميتها بهذا الاسم.. راغباً في تعويد ابنته الصغيرة على حب الجهاد والذود عن الإسلام.. فصنع لها سيفاً من خشب.. وكان يخط لها دائرة على الأرض لتقف في وسطها ثم يقول لها : اضربي أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فكانت تضرب في حركات وهمية يميناً وشمالاً أماماً وخلفاً لتتربى زينب على ذكرى أناس تطهرت قلوبهم فقويت أجسادهم بنور الإسلام.. وتصاغرت أمامهم مفاتن الدنيا حين عاشت الجنة في قلوبهم فهانت أجسادهم في سبيل الله.. وتاقت أرواحهم لنصرة دينه.. غير أن فرحة زينب الغزالي

لم تكتمل إذ مات والدها وهي في سن العاشرة فأحست بضياع أحلامها أمام وفاة من رسم لها طريق الله لتنتقل زينب مع أمها إلى القاهرة حيث يقيم إخوتها فيرى أخوها الأكبر في شخصها الصغير جرأة وقوة يقرر معها أنها لن تكمل تعليمها !!!

لم تجد زينب بداً من طاعة أوامر أخيها الأكبر رغم عدم رضاها بهذا الموقف الذي تتداخل فيه التقاليد مقحمة نفسها فتغلق على فتياتنا أبواب العلم بمنظور خاطئ يراد به المحافظة على عفة الفتاة .. فصبرت على هذا القرار منتظرة الفرج من أقدار السماء .. وفي ظل أيام الانتظار اقتنت زينب العديد من الكتب التي ملأت حياتها وآنست وحدتها .. فحفظت العديد من مقاطع كتب عائشة التيمورية عن المرأة.. وكان هذا بمساعدة شقيقها الأصغر علي الغزالي الذي كان يرى ضرورة تعليمها.. حتى جاء اليوم الذي قررت فيه أقدار السماء أن تعيد زينب إلى خطوات التعليم حين خرجت من منزلها في حي شبرا وكان عمرها اثنتي عشرة سنة.. فرأت مدرسة خاصة للبنات فما كان منها إلا أن طرقت بابها قائلة لبواب المدرسة : جئت لمقابلة مدير المدرسة، فسألها وقد بدت له طفلة صغيرة عن سبب المقابلة، فأردفت له قائلة بكل فخر واعتزاز: أنا السيدة زينب الغزالي الشهيرة بنسيبة بنت كعب المازنية ولدي موعد معه.. فأدخلها البواب وقد ازداد دهشة من فصاحة هذه السيدة اليانعة.. ولما وصلت إلى مدير المدرسة بادرته قائلة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أنا السيدة زينب الغزالي الشهيرة بنسيبة بنت كعب المازنية ، فدهش المدير ولكنه أصغى إليها بقلب المعلم الذي يتنبه لطلاقة تلميذة وحسن مدخلها ، فقال لها : وماذا تريدين يا سيدة زينب أو يا سيدة نسيبة ؟.. فروت له قصتها مع شقيقها الأكبر وطلبت منه أن يقبلها تلميذة في مدرسته ، فأعجب المدير بفصاحتها وذكائها وحسن حوارها ، ثم أجرى لها اختباراً في بعض الأسئلة فأجابته بثقة عندها طلب منها أن يأتي شقيقها الأصغر ليعتمد انتظامها في المدرسة ..

وهكذا عادت زينب إلى معين العلم تنهل منه بفصاحة وبلاغة تجتاز سنوات التعليم لتثبت للجميع أن الله وهبها إبداعاً يستحق أن يجد ماءً عذباً يغذيه .. فقد ملكت منطق العقل والحجة في قبول البراهين.. ترفض أمامه كل ما يرفضه العقل من نظريات قد تسكن عقول الناس فتحرك بصماتهم دون أن يدركوا صحتها من خطئها .. وبعد حصولها على الثانوية العامة انضمت للاتحاد النسائي الذي تزعمته في تلك الآونة هدى شعراوي والذي كان وقتها صوتاً عالياً يطالب المجتمع بحقوق المرأة لكنه أرادها ضمن شعارات رنانة جوفاء سعت للمساواة مع الرجل ضمن معايير وطرائق وصلت إلى عالمنا العربي مستوردة من أراضي الغرب الذي بات يورد لنا غثه وسمينه لنبتلعه بأفواهنا وعقولنا دون أن نكلف أنفسنا عناء التمحيص في خيره وشره.. فخرجت بذلك المرأة من مطالبها بحقوقها الضائعة والتي غيبتها جهالة المجتمعات العربية حين تناست أن الإسلام منح المرأة تلك الحقوق عبر كتاب الله وسنة رسوله الكريم لتطالب بها عبر منابر أوروبية سعت لتقييد المرأة لا لتحريرها بسلاسل المساواة مع الرجل .. تسرق منها حقوقها لتهبها عبودية وخضوعاً في عالم الإباحية ومستنقع الانحلال .. فشاءت أقدار السماء لزينب الغزالي أن تكون لساناً فصيحاً يخطب لأجل حقوق المرأة في منابر تغطي نواياها السيئة بأقنعة الحقوق !!!

فقد خاضت في سنوات حياتها الأولى نقاشات كثيرة ضد الأزهر من أجل الاتحاد النسائي تكافح ببسالة لنيل حقوق المرأة مؤمنة بكل الشعارات التي نادى بها الاتحاد النسائي.. إلا أنها لم تخرج عن قناعاتها الإسلامية بأن يكون هذا التحرر ضمن الإطار الإسلامي.. وقد لفت هذا الأمر نظر علماء الأزهر وشعروا أن هذه الخطيبة المفوهة مبهورة بشعارات حقوق المرأة ضمن الاتحاد النسائي بما لديها من مقدرة على إقناع الطرف الآخر بوجهة نظرها.. حينها أراد أحد علماء الأزهر

وهو الشيخ محمد النجار مناقشتها ليوضح لها بعض الأمور الدينية التي كانت تجهلها .. فتفتحت عيناها على الكثير من القضايا التي رأتها صواباً ضمن الاتحاد النسائي .. وباتت تعرف موقف الإسلام منها حين حرر الإسلام كرامة المرأة قبل أن يحرر حقوقها المادية .. وصان عفتها في عالمه المشرق وقت كان الغرب لا يعرف للمرأة قدراً ولا قيمة .. فعرفت زينب أن الإسلام هو طريق الخلاص بالمرأة لنيل حقوقها .. ولكن كيف لها أن تخرج من الاتحاد النسائي وهي صاحبة الامتياز والحظوة لدى زعيمته هدى شعراوي .. التي رأت فيها أملاً وحجة قوية لانضمام الكثيرات إلى الاتحاد.. حتى جاء ذلك اليوم الذي اختاره الله ليفرق بين الحق والباطل في حياة نسيبة القرن العشرين فتمحي الرمادية في رؤية الأمور ليحل محلها إشراقة الإسلام في حل قضايا الأمة والمرأة.. إذ لا مجال لنيل حقوق المرأة والأمة بأسرها تائهة لا تدري أين تكمن حقوقها !!!

ففي أحد الأيام دخلت زينب مطبخ أسرتها فانفجر بها موقد الغاز.. وطالت النيران وجهها وسائر جسدها.. فكان الطبيب يأتي كل يوم لمعالجة قروحها وحروقها يائساً من شفائها.. ليخبر أهلها بعد أيام أن حالتها في رحمة الله وأن شفاءها ضرب من ضروب المحال طالباً منهم الدعاء لها بالرحمة.. فسمعت بهذا النبأ دون أن يخبرها أحد فما كان منها إلا أن تيممت واجتهدت في العبادة والصلاة استعداداً للموت .. مبتهلة إلى الله بالرجاء والتضرع أن يغفر لها انضمامها إلى جماعة هدى شعراوي.. تتوسل له أن يعيد إليها جسدها كما كان فهو القادر على كل شيء وتعاهده أن تكون بكل كيانها لله ومع الله .. مجاهدة بكل طاقاتها لأجل الدعوة الإسلامية والعودة بالمرأة المسلمة إلى عصر الصحابيات...

ما أروع الإخلاص في الدعاء وما أحلى التوبة الصادقة حين تخرج من قلب أخلص الولاء لله .. فإذا بالجسد الذي قرر الأطباء موته يتماثل للشفاء وإذا

بالحروق تبرأ مما بها.. لتعاودها الصحة في معجزة أرادها المولى أن تظل ماثلة أمام قلبها حين تنهال عليها المحن.. فيكون أول عمل تقوم به بعد شفائها هو الاستقالة من جماعة هدى شعراوي وتأسيس جمعية السيدات المسلمات.. لتخرج زينب الغزالي كما يقولون عنها من عالم القبعة إلى عالم الحجاب.. تعود إلى الحق بروح صافية تحمل في جسدها معجزة الشفاء لتبدأ رحلة الإيمان والعهد الذي عاهدت به الشافي.. تنشر الإسلام برؤيا القرن العشرين .. تواجه الصعاب بخطوات واثقة تستمدها من نبع صحابيات عاصرن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتثبت للجميع أن المرأة المسلمة هي ذاتها مهما تغيرت العصور وتقلبت الدهور.. ويصبح خطابها المفوه حجة مع الإسلام تطالب بعودة الأمة للدين الصحيح كي تنال المرأة حقوقها ويأخذ الرجل حقوقه ويعود للأمة مجدها وسؤددها الذي فقدته حين استبدلت مشاعل الإسلام بشموع الغرب اللعين .. فسعت لتحرير المرأة ممن يدعون تحريرها بأفواههم ثم يقيدونها بأفعالهم .. ودأبت على الخروج بالمرأة من مستنقعات الرذيلة المقننة بقوانين تحرير المرأة إلى عالم يحفظ للمرأة حقوقها.. فاجتازت زينب بهذا العمل الجليل كل قيود الاستعمار الفكري وخبيث فخاخه.. لتنتشر جمعيتها التي أسستها في أنحاء مصر وتصبح مجلتها السيدات المسلمات معول حق يهدم أفكار التحرر.. وصوتاً يقنع الأمة بالعودة إلى دين الله.. ليلتقي الفكر النير مع الفكر النير في لقاء رباني يحمل راية الدفاع عن الإسلام رغبة في العودة بالمجتمع إلى عصر النبوة وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..حين انضمت زينب الغزالي لجماعة الإخوان المسلمين التي رأت أن العودة إلى دين الله لن تكون بالشعارات الجوفاء إنما بتنشئة رجال الأمة ونسائها وشيوخها وأطفالها على تطبيق حدود الله مع أنفسهم أولاً ثم مع المحيطين بهم فيكون ذلك نواة لنشأة المجتمع المسلم..

ولتحقيق هذا الهدف النبيل تقرر إقامة برنامج شامل يحمل دعاته لواء إعادة المجتمع إلى دين الله ومن ثم مطالبة الدولة بتحكيم شرع الله بدلاً من القوانين الوضعية المطبقة في مصر وفي الكثير من البلدان العربية ..خاصة وأن تلك الفترة ماجت فيها تيارات ومذاهب هدامة باتت تسري في دماء المجتمع المسلم مجرى الدم في العروق .. تطرد في طريقها تعاليم الإسلام بحجة الرجعية وعدم مواكبة العصر .. فحولت الكثير من أبنائه إلى الشيوعية والاشتراكية بدعوى تحرير المجتمع من ظلماء الجهل تحت أقنعة هدفت في أساسها إلى قتل الإسلام.

لكن الله عز وجل تكفل هذا الدين عبر عصوره بعلماء ومصلحين يوقظون في الأمة صحوة تخرجها من مهاوي الذل .. فكانت للأمة يقظة تقف في وجه الفكر الاشتراكي وأنظمه الشيوعية تنفض عن كاهل الدين غبار النسيان عبر سنوات جهل وفتور صنعت في أهله تخلفاً ألصقوه بالإسلام وهو بريء منه .. فكان كتاب في ظلال القرآن يرفرف على دوحة الإسلام مجدداً لفهم القرآن برؤيا القرن العشرين.. يدحض ما يفتريه دعاة الرأسمالية والاشتراكية من دعاوى جمود الإسلام .. وكان رائد هذا الكتاب الغني عن التعريف الشهيد سيد قطب أحد رموز جماعة الإخوان المسلمين التي انضمت إليها زينب الغزالي.. فبدأ نبع الإسلام يعود إلى صفائه بقوة أهله وغدت أنهار الدين القويم تجرف في طريقها كل ما يلقيه الأعداء من صخور صماء يراد بها القضاء على الدين الحنيف.. فغدت مياه التجديد تغذي العائدين إلى الله وكل المتعطشين للنهوض بالأمة الراكدة .. عندها رأت أعين المخابرات الأمريكية والروسية في جماعة الإخوان خطراً مقبلاً وشمساً ستطفئ شموعهم السوداء وسيفاً ذا نصل حاد يقطع الطريق على كل المشككين بالإسلام.. فخافت من هذا الخطر القادم وبدأت تضع المخططات لاغتيال رواد الدعوة رغبة في وأد الحق الوليد. فأشاعت عبر ذيولها أن الإخوان يخططون لقتل جمال عبد

الناصر وعدد من شخصيات حكمه البارزة لتوغل في قلب السلطات الحاكمة نيران الحقد على جماعة الإخوان المسلمين .. موهمة أصحاب العقول المتدثرة تحت لواء الاشتراكية أن الإسلام الحق يبني ذاته بطرق الاغتيال.

وقد عبرت زينب الغزالي في كتابها (أيام من حياتي) عن ذلك في قولها : (ليس من أهداف الإخوان المسلمين قتل عبد الناصر.. إن غايتنا أكبر من ذلك بكثير.. إنها الحقيقة الكبرى قضية التوحيد وعبادة الله وإقامة القرآن والسنة) فكان الاعتقال نصيب جماعة الإخوان المسلمين بدءاً من سيد قطب إلى الإمام حسن الهضيبي وصولاً إلى زينب الغزالي والآلاف المؤلفة من دعاة الحق.. الذي ساقتهم أيدي الضلال إلى سجون الظلم افتراء وبهتاناً بدعايات مضللة تؤلب قلوب الجماهير على جماعة الإخوان .. حجتهم في ذلك التخطيط لقتل جمال عبد الناصر !!!

ففي يوم ٢٠ أغسطس لعام ١٩٦٤م اقتحمت المخابرات المصرية منزل زينب الغزالي وعاثت به فساداً ما بين إتلاف وتكسير وتمزيق .. حتى لم يسلم من أيديهم شيء !!! وحين حاولت أن تخاطبهم بلغة القانون الذي يحتكمون إليه فسألتهم عن إذن التفتيش صرخوا في وجهها يتقهقهون إذن تفتيش في حكم عبد الناصر !! ثم ألقي القبض عليها وسيقت إلى السجن الحربي.. لتبدأ رحلة التعذيب من قبل طغاة أخذهم العزة بالإثم .. لا يتورعون عن فعل أي شيء يندى له جبين الإنسانية.. بدءاً من التجريح بأقذع الألفاظ التي ترفضها كل الأعراف الدولية انتقالاً إلى الجلد بالسياط ونهش الكلاب المسعورة.. أملاً منهم في إجبارها على الإقرار بأن هناك خطة تهدف لقتل جمال عبد الناصر وضعها جماعة الإخوان المسلمون .. ولما فشلت قوى البغي والضلال في إجبار زينب الغزالي على قول الباطل لخدمة مآربهم أمعنت في تعذيبها ظناً منهم أن النيل من الأبدان يزهق الأرواح .. فصمدت زينب أيما صمود.. وتحملت مالا يحتمله عتاة الرجال..

لندع زينب الغزالي تروي لنا عن أحد هذه المواقف العصيبة (فتح باب لحجرة مظلمة فدخلت وقلت : باسم الله السلام عليكم.. وأغلق الباب وأضيئت الكهرباء قوية !! إنها للتعذيب ! الحجرة مليئة بالكلاب ! لا أدري كم !! أغمضت عيني ووضعت يدي على صدري من شدة الفزع .. وسمعت باب الحجرة يغلق بالسلاسل والأقفال .. وتعلقت الكلاب بكل جسمي.. رأسي ويدي وصدري وظهري.. كل موضع في جسمي.. أحسست أن أنياب الكلاب تغوص فيه .. فتحت عيني من شدة الفزع وبسرعة أغمضتهما لهول ما أرى .. وضعت يدي تحت إبطي وأخذت أتلو أسماء الله الحسنى مبتدئة بـــ "يا الله يا الله".. وأخذت أنتقل من اسم إلى اسم.. والكلاب تتسلق جسدي كله ... أحس بأنيابها في فروة رأسي .. في كتفي.. في ظهري.. أحسها في صدري في كل جسدي .. أخذت أنادي ربي هاتفة: "اللهم اشغلني بك عمن سواك.. اشغلني بك أنت يا إلهي يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد.. خذني من عالم الصورة.. اشغلني عن هذه الأغيار كلها.. اشغلني بك.. أوقفني في حضرتك.. اصبغني بسكنتك.. ألبسني أردية محبتك.. ارزقني الشهادة فيك .. والحب فيك والرضا بك والمودة لك وثبت الأقدام يا الله .. أقدام الموحدين " كل هذا كنت أقوله في سري .. والكلاب نابشة أنيابها في جسدي.. مرت ساعات ثم فتح الباب وأخرجت من الحجرة.. كنت أتصور أن ثيابي البيضاء مغموسة بالدماء.. ولكن ويا لدهشتي الثياب.. كأن لم يكن بها شيء .. كأن ناب واحد لم ينشب في جسدي.. سبحانك يا الله أنت معي.. يا الله هل أستحق فضلك وكرمك ؟.. كل هذا كنت أقوله في سري فالشيطان ممسك بذراعي يسألني : كيف لم تمزقك الكلاب ؟).

كان هذا هو بداية العذاب في رحلة السجن التي عاشتها زينب الغزالي.. فقد انهالت عليها سياط الشر اللعين بدءاً من خمسين جلدة وصولا إلى خمسمائة جلدة

.. تنصب على جسد امرأة قالت : ربي الله .. هؤلاء هم فرسان دعاة التحرر والأفواه المعطرة بكلمات الاشتراكية.. لكن زينب ازدادت مع العذاب تصميماً ومع القهر ثباتاً .. فازداد الطغاة شراسة وفجوراً لتساق زينب عند أشرهم بطشاً وأشرسهم فظاظة.. إنه شمس بدران.. وما أدراكم من هو شمس بدران !!! وحش بشري قتل ضميره فضاعت إنسانيته على أرصفة الحكم الناصري.. فأمر بأن تعلق زينب على عمود خشبي له قاعدة خشبية وتربط يدها بقدمها لتجلد خمسمائة جلدة.. وتقذف بأشنع الألفاظ .. لكن زينب الغزالي وهبت نفسها لله ودينه ، فهانت الدنيا في قلبها وثبتت على الحق تحتمل ما لا يطيقه عشرة رجال.. متمثلة بقول الشاعر :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

ليواجهها هذا الوحش البشري بعد كل هذه السياط بجبروت من ضاعت آخرته فاستوحشت دنياه : أين هو ربك لينقذك ؟ فترد عليه بكل ثبات قائلة : (الله سبحانه الفعال ذو القوة المتين).. أمعنت قوى الباطل في تعذيبها وازداد الطغيان شراسة تفوق شراسة الوحوش الحيوانية .. فالكلاب كما رأتها زينب الغزالي كانت أكثر إنسانية من وحوش البشر .. والفئران التي أطلقوها في زنزانتها خجلت من دعاء المؤمن ففرت تبحث عن مكان آخر .. وأصدر جمال عبد الناصر قراراً بتعذيب زينب الغزالي فوق تعذيب الرجال !!!

فخارت قوى الجسد الضعيف.. وانهارت قدرته على احتمال ما لا يطيقه الرجال.. فكيف بإماء الله !!! وأن الجسد أشرف على الموت فكانوا كلما تهاوى جسدها وشعروا بقرب موتها أدخلوها مستشفى السجن الحربي ليتم إنقاذها.. ليس رحمة منهم بل لينهالوا عليها بمزيد من العذاب.. ولكن الروح تنامت مع كل أنواع السياط وأشكال التعذيب.. وتسامت خفاقة تعلو بهمة المؤمن لتصبح نظرته مرعبة

لأعداء الله.. وابتسامته الساخرة خنجراً يقتل طغاة الظلم وأرباب الضلالة.. فأضفت روحها العالية على جسدها المتهاوي قوة لا يمكن لمن لم يتذوق حلاوة الإيمان بالله أن يراها حتى يئس الظلم من مقارعة الحق ... وانحنت السياط ذليلة أمام صبر المؤمنات.. فرغبوا في الخلاص منها باستصدار حكم عليها عبر محاكم طغيانهم بالسجن المؤبد مدى الحياة .. لتبدأ معها رحلة جديدة من المعاناة في حياة زينب الغزالي تستمر إلى أن حلت نكسة عام ١٩٦٧م وانتكست الأمة تحني جبين الهوان بضياع القدس.. وهوى المسجد الأقصى أسيراً تحت وطأ ة الطوفان الصهيوني المتبجح .. فهل ضاعت القدس يوم النكسة أم أن ضياع القدس كانت نهاية لمسرحية الطغيان والظلم التي كبلت حياة الأمة الإسلامية.. فكان سقوط القدس أمراً متوقعاً لكل من شاهد الإسلام قابعاً في مهاوي السجون وأيدي الظلم تخط توقيعها لإعدام أشهر علماء الأمة في القرن العشرين الشهيد سيد قطب.. ثم يتشدقون في خطاباتهم الرعناء بمحاربة الصهيونية والإمبريالية..

وفي عام ١٩٧١م مات جمال عبد الناصر وزينب الغزالي قابعة في السجن تنتظر فرج الله .. ومن يكسر القيد اللعين .. حتى جاء القرار بالإفراج عنها بعد سبعة أعوام من الأسر .. حاولوا تقييدها بشرط عدم الدعوة إلى الله لكنها رفضت فاضطروا للإفراج عنها دون شروط .. لتطوى صفحة من حياة امرأة مسلمة خدمت دينها بروحها فانطوت معها جمعية السيدات المسلمات ومجلتها التي كانت نبراس هدى ومعلم هداية.. غير أن مؤلفاتها الكثيرة لا زالت تخدم الأمة الإسلامية منها كتاب (نظرات في كتاب الله) و (إلى ابنتي) و (نحو بعث جديد) لتبقى زينب الغزالي مشرقة بحروفها بيننا.. رغم انحناء الظهر وكبر العمر لا تنحني لمن أرادوا أن

يطفئوا قبساً من نور الله .. والله متم نوره ولو كره الكافرون .. جزى الله زينب الغزالي عن الإسلام كل خير وأمد في عمرها ورزقنا بالكثيرات من أمثالها.(١)

زينب الصغرى رضي الله عنها

بنت عقيل بن بي طالب، كانت من أهل الفصاحة، ولما قتل الحسين رضي الله عنه قتل معه من آل عقيل تسعة فخرجت زينب رضي الله تعالى عنها تبكي قتلاها، وتنشد وتقول: شعراً

ماذا تقولونَ إنْ قالَ النبيَّ لكمْ ... ماذا فعلتمْ وكنتمْ أخيرَ الأمم
بأهلِ بيتي وأنصاري وذريتي ... منهمْ أسارى وقتلى ضرَّجوا بدمِ
ما كانَ هذا جزائي إذْ نصحتُ لكمْ ... أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمِ

(١) مصادر القصة : الموسوعة العربية العالمية

-٨٨-

السيدة زينب بنت الإمام علي

وأمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي شقيقة الحسن والحسين . تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذو الجناحين ابن أبي طالب وولدت له علياً وعوناً ويدعى بالأكبر وعباساً، ومحمداً وأم كلثوم. وحضرت مع أخيها الحسين بكربلاء.

ذكر ابن الأنباري: أنها لما قتل أخوها الحسين أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها:

مَاذَا تَقُولُونُ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ ... مَاذَا فَعَلْتُمْ وَكُنْتُمْ آخِرَ الْأُمَمِ

بِأَهْلِ بَيْتِي وَأَنْصَارِي وَذُرِّيَّتِي ... مِنْهُمْ أُسَارَى وقَتْلَى ضُرِّجُوا بِدَمِ

مَا كَانَ ذَاكَ جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ ... أَنْ تَخْلُفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي

لكن في "كامل ابن الأثير": أن هذه الأبيات لابنة عقيل بن أبي طالب. وفي "نور الأبصار" عن خزيمة الأسدي قال: دخلنا الكوفة سنة إحدى وستين فصادفت منصرف علي بن الحسين بالدربة من كربلاء إلى ابن زياد بالكوفة ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياما يندبن متهتكات الجيوب، وسمعت علي بن الحسين يقول: يا أهل الكوفة، إنكم تبكون علينا فمن قتلنا ورأيت زينب بنت علي فلم أر والله خفرة أنطق منها كأنما تترع عن لسان أمير المؤمنين فأومأت إلى الناس أن اسكتوا فسكتت الأنفاس، وهدأت الأجراس فقالت: "الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين. أما بعد، يا أهل كوفة الختل والخذل أتبكون فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم، ألا وإن فيكم الصلف والضعف وداء الصدر

الشنف، وملق الأمة، وحجز الأعداء كمرعي على دمنة، أو كفضة على ملحودة أل ساء ما تزرون أي والله تدحضون قتل سلسل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم، ومنار محجتكم، وسيد شباب أهل الجنة ويلكم يا أهل الكوفة ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أ، سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أبرزتم لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا، ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض. أفعجبتم إن أمرطت السماء دما فلعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا تنصرون. فلا يستخفنكم المهل، فلا يحقره البدار، ولا يخفا عليه فوت الثأر، كلا إن ربي وربكم لبالمرصاد". ثم سارت، قال: فرأيت الناس حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ورأيت شيخا قد دنا منها وهو يبكي حتى اخضلت لحيته، ثم قال: بأبي أنتم وأمي كهولهم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبدا.

وفي "كامل ابن الأثير" أنها سمعت الحسين وهو في كربلاء قبل مشهده يقول:

يَا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ ... كَمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ

مِنْ صَاحِبٍ أَوْ طَالِبٍ قَتِيلِ ... وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ

وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إلى الجليل ... وكل حي سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثا، فلما سمعته لم تملك نفسها أن وثبت تجر في ثوبها حتى انتهت إليه ونادت: "وا ثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي، والحسين أخي يا خليفة الماضي وثمال الباقي" فذهب فنظر إليها وقال: أخية لا يذهبن حلمك الشيطان! قالت: لو ترك القطا لنام فلطمت وجهها وقالت: "وا ويلتاه أفتغصبك نفسك اغتصابا فذلك أقرح لقلبي واشد على نفسي". ثم لطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشيا عليها فقام إليها الحسين فصب الماء

على وجهها وقال: اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أخل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وإن كل شيء هالك إلا وجه الله أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلك برسول الله أسوة حسنة فعزاها بهذا ونحوه.

ولما حملوا السبايا إلى الكوفة اجتازوا بهن على الحسين وأصحابه صرعى فلطمن خدودهن وصاحت زينب أخته: "يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء. هذا الحسين بالعراء، مزمل بالدماء، مقطع الأعضاء وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسقى عليها الصبا". فأبكت كل عدو وصديق.

فلما أدخلوهم على ابن زياد لبست أرذل ثيابها وتنكرت وحفت بها إماؤها فقال عبيد الله: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه فقال ذلك ثلاثا وهي لا تكلمه فقال بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة. فقال لها ابن زياد -لعنه الله-: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم. فقالت: "الحمد الله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا لا كما تقول إنما يفتضح الفاسق، ويكذب العاجز". فقال: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: "كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده". فغضب ابن زياد وقال: قد شفي غيظي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك فبكت وقالت: "لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت". فقال لها: هذه شجاعة لعمري لقد كان أبوك شجاعا. فقالت: "ما للمرأة والشجاعة".

فلما نظر ابن زياد إلى علي بن الحسين قال: ما اسمك؟ قال: علي بن الحسين. قال: أولم يقتل علي بن الحسين؟ فسكت. فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: كان لي أخ يقال له أيضا علي فقتله الناس. فقال اللعين ابن زياد: إن الله قتله. فسكت علي، فقال: مالك لا تتكلم؟ فقال: الله يتوفى الأنفس حين موتها (وما كان لنفس

أن تموت إلا بإذن الله) (آل عمران: ١٤٥) فقال: أنت والله منهم، ثم قال لرجل: ويحك، انظر هذا هل أدرك أبي لأحسبه رجلا فكشف عنه مري بن معاذ الأحمر فقال: نعم، قد أدرك قال: اقتله. فقال علي: من يتوكل بهذه النسوة؟ وتعلقت به زينب فقالت: "يا ابن زياد حسبك منا أما رويت من دمائنا وهل أبقيت منا أحدا" واعتنقته، وقالت: "أسألك بالله إن كنت مؤمنا إن قتلته أن تقتلني معه".

وقال علي: يا ابن زياد إن كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهم رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الإسلام فنظر إليها ساعة ثم قال: عجبا للرحم والله إني لأظنها ودت لو أني قتلته أن أقتلها معه دعوا الغلام ينطلق مع نسائه، ولما دخلن الشام على يزيد بن معاوية والرأس بين يديه جعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين تتطاولان لتنظرا إلى الرأس وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس

فلما رأين الرأس صحن فصاحت نساء يزيد وولولت بنات معاوية فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا يزيد؟ فقال: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت كارها. قالت: والله ما ترك لنا خرص. فقال: ما أتي إليكن أعظم مما أخذ منكن. فقام رجل من أهل الشام فقال: هب لي هذه – يعني فاطمة بنت الحسين– فأخذت فاطمة ثياب زينب وصرخت فقالت زينب: "كذبت ولؤمت ما ذلك لك ولا له" فغضب يزيد وقال: والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته قالت: "كلا والله ما جعل الله لم إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا". فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك. قالت زينب: "بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك". قال: كذبت يا عدوة الله قاتل: "أنت أمير تشتم ظلما وتقهر بسلطانك". فاستحى وسكت.

وعلى اختلاف الروايات أن للسيدة زينب -رضي الله عنها- مقامين أحدهما: بدمشق وهو مقصود من كل الجهات خصوصا من أهل الشيعة. والثاني: بمصر وهو أشهر من الأول. ولها أوقاف وإيراد عموم الأوقاف المصرية، ولها مسجد في مصر لم يوجد مثله قد ذكر أوصافه الأمير علي باشا مبارك في خططه المسماة بالخطط التوقيفية. ولكون أوصافه جاءت مسهبة اقتصرنا عنها منوهين على محل وجودها.(١)

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٣٤.

-٨٩-

زينب ابنة أبي القاسم

الشهيرة بأم المؤيد عبد الرحمن وهو ابن الحسن بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبدوس الجرماني الأصل النيسابوري الدار، كانت فاضلة عالمة أدركت جماعة من أعيان العلماء، وأخذت عنهم رواية وإجازة، فمن أخذت عنهم أبو محمد إسماعيل بن أبي القاسم النيسابوري القاري، وأبو المظفر عبد المنعم وهو ابن عبد الكريم بن هوزان القشيري صاحب "الرسالة القشيري"، وممن أجازها الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسمايعل الفارسي، والعلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري مؤلف "الكشاف"، وممن أجازتهم من أكابر العلماء العلامة المؤرخ شهاب الدين قاضي القضاة بان خلكان صاحب "التاريخ المشهور" وهي في القرن السابع من الهجرة.(١)

---

(١) مصادر القصة : : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٣٥ ،

-٩٠-

سارة زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام

كانت أحسن نساء زمانها جمالا وأوفرهن عقلا وكمالا، تزوجت بإبراهيم الخليل -عليه السلام- وكان يحبها محبة عظيمة وكانت لم تعصه في شيء وبذلك أكرمها الله تعالى.

وكان قدم بها إبراهيم إلى مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى، وقد وصف له حسنها وجمالها، فأرسل إلى إبراهيم -عليه السلام- فجاءه فقال له: ما هذه المرأة منك؟ فقال: هي أختي وتخوف أن قال هي امرأتي أن يقتله. فقال له: زينها وأرسلها لي حتى أنظر إليها فرجع إبراهيم إلى سارة وقال لها: إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله -عز وجل- ثم أقبلت سارة على الجبار وقام إبراهيم عليه السلام يصلي.

فلما دخلت عليه ورآها أهوى غليها يتناولها بيده فيبست يده إلى صدره، فلما رأى ذلك عظم أمرها وقال لها: سلي ربك أن يطلق يدي فوالله لا آذيتك. فقالت سارة: اللهم إن كان صادقا فأطلق له يده، فأطلق الله تعالى يده.

وقيل: إنه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها فتيبس يده فلما رأى

ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فأقبلت إلى إبراهيم ومعها هاجر وهي تحمد الله تعالى على عصمتها من فرعون.

وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت، فوهبت هاجر إلى إبراهيم بقولها: إني أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها بولد، فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل -عليه السلام- وكانت سارة بنت تسعين سنة وإبراهيم

ابن مائة وعشرين سنة وبشر إبراهيم بأنه سيرزقه الله بولد من سارة وقد كان وحملت سارة بإسحاق.

وقيل: كان حملت هاجر بإسماعيل فوضعتا معا وشب الغلامان، فبينما هما يتناضلان ذات يوم وكان إبراهيم -عليه السلام- سابق بينهما فسبق إسماعيل فأخذه فأجلسه في حجره وأجلس إسحاق إلى جانبه وسارة تنظر إليه فغضبت. وقالت: عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته في حجرك وعمدت إلى ابني فأجلسته إلى جانبك وقد كان أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقتها، ثم ثاب إليها عقلها فبقيت في ذلك. فقال إبراهيم -عليه السلام-: اخفضيها واثقبي أذنها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء.

ثم إن إسماعيل وإسحاق -عليهما السلام- اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت: لا تساكنني في بلد وأمرت إبراهيم -عليه السلام- أن يعزلها عنها فأوحى الله إليه أن يأتي بهما إلى مكة فذهب بهما.

وتوفيت سارة ولها من العمر مائة واثنتان وعشرون سنة. وقيل: مائة وسبع وعشرين بالشام بقرية الجبابرة بأرض كنعان في جيرون في مزرعة اشتراها إبراهيم -عليه السلام- ودفنت بها.(١)

---

(١) مصادر القصة : : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٣٧ ، البداية والنهاية : ١/ ١٤٠، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٩٣، ٢٠٥، ٢٣٧. ٢/ ٤٩، ٥٩. ٦/ ١٧٨.

-٩١-

ست الوزراء

لقب حفيدة العلامة وجيه الدين الحنبلي. ولدت سنة ٦٢٤ هجرية. وتوفيت سنة ٧١٧ هـــ وهي محدثة مشهورة أخذت صحيح البخاري ومسند الإمام الشافعي عن أبي عبد الله الزبيدي وقرأت على أبيها بعض الحديث وكانت كما رواه صلاح الدين الصفدي محدثة عصرها واستقدمت إلى مصر فأخذ عنها الحديث الامير سيف الدين أرغون والقاضي كريم الدين، ودرست البخاري مرارا متوالية. وروى عنها كثير من مشاهير العلماء.(١)

(١) مصادر القصة : البداية والنهاية ٧٩/١٤ ، الدّرر الكامنة (٢/ ١٢٩- ١٣٠)

-٩٢-

أم المنذر سلمى بنت قيس

سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد .إحدى خالات النبي صلى الله عليه وسلم .

أسلمت على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه ودعوته في المدينة حين قدمها قبل النبي صلى الله عليه وسلم .

أخت سليط بن قيس أحد فرسان مدرسة النبوة ، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد أبطال معركة الجسر مع أبي عبيد ، حيث استشهد بها سنة أربع عشرة من الهجرة ، و لم يكن له عقب .

كانت من النساء اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في نسوة من الأنصار ، تقول : فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا و لا نعصيه في معروف قال : (ولا تغششن أزواجكن) ، قالت : فبايعناه ثم انصرفنا ، فقلت لامرأة منهن : ارجعي فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما غش أزواجنا ؟ قالت : فسألته ، فقال : (تأخذ ماله فتحابي به غيره) .

وفي غزوة بني قريظة رأى النبي صلى الله عليه وسلم علائم الحيرة مرتسمة في وجه أم المنذر فسألها وقال : (ما لك يا أم المنذر ؟) ، قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله رفاعة بن سموأل كان يغشانا – يزورنا – ولنا به حرمة فهبه لي . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى رفاعة يلوذ بها ، فقال : (نعم هو لك) . ثم قالت : يا رسول الله ، إنه سيصلي ويأكل لحم الجزور ، فتبسم عليه الصلاة والسلام ثم قال : (إن يصلي فهو خير لك ، وإن يثبت على دينه فهو شر له) . ثم أطلقه ، قالت أم المنذر : فأسلم رفاعة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويأكل عندها ، ويشير إلى أن طعامها ذو بركة وذو نفع ، قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي ناقه – أي متماثل للشفاء – ولنا دوالي معلقة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منها ، وقام علي ليأكل ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي : (إنك ناقه) ، حتى كف علي ، قالت : وصنعت شعيراً وسلقاً فجئت به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا علي أصب من هذا فهو أنفع لك) (١).

(١) مصادر القصة : أسد الغابة (٣/ ٣٦٨)

-٩٣-

سفانة بنت حاتم الطائي

هي سفانة بنت حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء الطائي ، وأبوها حاتم الجواد الموصوف بالجود الذي يضرب به المثل ، وكنيته أبو سفانة، وأبو عدي ، وكني بابنته سفانة –رضي الله عنها ؛ لأنها أكبر ولده ، وبابنه عدي بن حاتم.

كان أبوها حاتم الطائي من أبرز شعراء العرب ، وأكثرهم جواداً، وجوده يشبه شعره ، ويضرب به المثل في الكرم وحسن الخلق ؛فيقال :" أكرم من حاتم " ؛ لأنه كان زاهداً في الخير ، يزهد بما في يديه وإن أتته الدنيا بحذافيرها ، فقد كان ينفق كل ما لديه للضيوف والمحتاجين ، حتى لو كلفه ذلك جوع أهله وولده ، حتى أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال لها فيه عندما وصفته : " يا جارية ، هذه صفة المؤمن حقاً ، لو كان أبوك إسلامياً لترحّمنا عليه خلّوا عنها فإن أباها كان يُحِبّ مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق). و توفي حاتم سنة ٤٦ ق.هـ و لم يدرك الإسلام .

كانت سفانة رضي الله عنها من فواضل النساء، جزلة فصيحة متكلمة ، تملأها الثقة والعزة بمكارم الأخلاق، وكانت تعتز بنسبها وبأبيها وبكرمه، وتفاخر بذلك بين الناس ، محبة لوطنها ، فقد كانت تترقب من يفد إلى المدينة المنورة كي ترجع إلى موطنها ، وتظهر قوة شخصيتها ، وسداد رأيها عندما أشارت على أخيها بزيارة الرسول والمثول ل بين يديه ، وجمعت إلى ما سبق من فضل جمال الجسد ، فقد كانت بيضاء حوراء ، معتدلة القامة .

أصابت خيل رســـول اللـــه -صلى اللـــه عليه وسلم- ابنة حاتم الطائي في سبايا طيّ فقدمتْ بها على رســـول الله -صلى الله عليه وسلم-فجُعِلَتْ في حظيرة بباب المسجد فمرّ بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقامت إليه وكانت امرأة جزلة ، فقالت :(يا رسول الله هَلَكَ الوالِد وغابَ الوافد)، فقال :(ومَنْ وَافِدُك ؟)، قالت :(عدي بن حاتم)، قال :(الفارُّ من الله ورسوله ؟)، ومضى حتى مرّ ثلاثاً ، فقامت وقالت :(يا رسول الله هَلَكَ الوالِد وغابَ الوافد فامْنُن عليّ مَنّ الله عليك)قال :(قَدْ فعلت ، فلا تعجلي حتى تجدي ثقةً يبلّغك بلادك ، ثم آذِنيني)

وفي رواية أخرى أن سُفانة قد قالت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- :(يا مُحَمّد ! إن رأيتَ أن تخلّي عنّي فلا تشمِّت بي أحياء العرب ؟! فإنّي ابنة سيّد قومي ، وإنّ أبي كان يفُكّ العاني ، ويحمي الذّمار ، ويُقْري الضيف ، ويُشبع الجائع ، ويُفرّج عن المكروب ، ويفشي السلام ويُطعم الطعام ، ولم يردّ طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائي)قال النبي -صلى الله عليه وسلم- :(يا جارية ، هذه صفة المؤمن حقاً ، لو كان أبوك إسلامياً لترحّمنا عليه خلّوا عنها فإن أباها كان يُحِبّ مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق).

وقدم ركب من بليّ ، فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم فقلت سفانة : قدم رهط من قومي ، فكساها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحملها وأعطاها نفقة ، فخرجت حتى قدمت الشام على أخيها عدي فقال لها :(ما ترين في أمر هذا الرجل " فقالت: أرى والله أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تتزل في عز اليمن وأنت أنت، فكانت سببا في إسلام أخيها وإسلام قومها، وحسن إسلامها فرضي الله عنها .

" كانت سفانة من أجود نساء العرب كأبيها ، فقد كان أبوها يعطيها من إبله فتهبها وتعطيها الناس ، فقال لها أبوها " يا بينه إن الكريمين إذا اجتمعا في المال أتلفا ، فإما أن أعطي ، وتمسكي وإما أن أمسك وتعطي فإنه لا يبقى على هذا شيء" فقالت: " والله لا أمسك أبداً. وقال أبوها: وأنا والله لا أمسك أبداً. فقاسمها المال وتباينا و لم يتجاورا" . (١)

(١) مصادر القصة : أعلام النساء، ٢/ ١٩٧. والأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني، ٣٦٣/١٧ . المستطرف في كل فن مستظرف ، ص ٢٧٠ .

-٩٤-

سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب

هي آمنة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. ولدت في سنة ٤٧ هـ ، وسميت باسم جدتها أم النبي ، ثم لقبتها أمها الرباب بنت امرئ العتيى بن عدي بن أوس بن جابر تزوجها مصعب بن الزبير بن العوام رضي الله عنهم بسكينة ، وقد استقبل البيت الهاشمي قبلها مولد أخيها الشقيق (عبد الله بن الحسين) الذي استشهد مع أبيه رضي الله عنه.

فقد عاشت السيدة سكينة فاجعة كربلاء فأصيبت بأبيها وبأخويها علي وعبد الله ، وعمومتها وزوجها وبني عمومتها وأصحاب أبيها رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد أثرت فيها مصيبة أخيها الرضيع تأثيراً عظمياً حتى أنها لم تستطع أن تقوم لتوديع الحسين ولحظ ذلك سيد الشهداء فوقف يكلمها مصبراً وهو يقول :

سيطول بعدي يا سكينة فأعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعة حسرة ما كان مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوانِ

صفاتها وحياتها:

نبيلة شاعرة كريمة من أجمل النساء وأطيبهن نفسا. كانت سيدة نساء عصرها ، تجالس الأجلة من قريش ، وتجمع إليها الشعراء فيجلسون بحيث تراهم و لا يرونها ، وتسمع كلامهم فتفاضل بينهم وتناقشهم وتجيزهم. دخلت على هشام الخليفة وسألته عمامته ومطرفه ومنطقته ، فأعطاها ذلك.

وقال أحد معاصريها: أتيتها و إذا ببابها جرير والفرزدق وجميل و كثير ، فأمرت لكل واحد بألف درهم.

زواج سكينة :

إن أخبار زواج سكينة بنت الحسين فيها من التناقض والاضطراب والتناقض الشيء العجيب ، مما لا يُقبل لامرأة بسيطة ، فكيف هذا مع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى اشتهر عنها من قبل بعض المؤرخين أنها امرأة مزواج، إذ تزوجت ثماني مرات، وفي هذا مبالغة عجيبة غريبة ، وقد اتفق الشيعة وبعض أهل السنة على أنها تزوجت اثنين فقط هما : ابن عمها الحسن، وقيل هو عبد الله بن الإمام الحسن – رضي الله عنه، ومصعب بن الزبير، وعذرهم في عدم قبول تلك الروايات، أنها تجمع الرجل وجده في زواجها، وتذكر أناسا ، لا يمكن أن يكونوا على مسرح الأحداث فترة حياة سكينة، حيث كانوا في عداد الأموات.

لم نجد من شعرها إلاّ أبياتا قليلة قالتها ترثي أباها الحسين رضي الله عنه ، ولقلة شعرها شكك بعض الباحثين في كونها شاعرة وناقدة، تسمع للشعراء وتنقدهم ، وفي أمالي الزجّاج عدّة أبيات قالتها سكينة ترثي أباها الحسين رضي الله عنه :

لا تعذليه فهمّ قاطعٌ طُرقُه فعينه بدموع ذُرَّفٍ غدقة
إنّ الحسين غداة الطف يرشقه ريب المنون فما أن يُخطىء الحدقة
بكفّ شرّ عباد الله كلّهم نسل البغايا وجيش المرّق الفسقة
يا أُمّة السوء هاتوا ما احتجاجكم غداً وجلُّكم بالسيف قد صفقه
الويل حلّ بكم إلاّ بمن لحقه صيّرتموه لأرماح العِدا درقة
يا عين فاحتفلي طول الحياة دماً لا تبكِ ولداً ولا أهلاً ولا رفقة
لكن على ابن رسول الله فانسكبي قيحاً ودمعاً وفي إثرهما العلقة

اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية نصيب وراوية جميل ورواية الأحوص فادعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعر ثم تراضوا بسكينة بنت الحسين فأتوها فأخبروها فقالت لصاحب جرير: أليس صاحبك الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حسين الزيارة فارجعي بسلام

وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ثم قالت لصاحب كثير: أليس صاحبك الذي يقول:

يقر بعيـــــني ما يقـــر بعينها وأحسن شيء مابه العين قرت

كأني أنادي صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشي بها الصم زلت

صفوحا فما نلقاك إلا بخلية فمن مل منها ذلك الوصل ملت

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلو صيكما ثم ابكيا حيث كلت

فليس شيء أحب إليهن و لا أقر لأعينهن من النكاح أفيجب صاحبك أن ينكح قبحه الله و قبح شهره.

ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلا بيها لما فات من عقلي

فان وجدت نعل بأرض مضلة من الأرض يوماً فاعلمي أنها نعلي

خليلي فيها عشتما هل رأيتها قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

ما أرى لصاحبك هوى إنما يطلب عقله قبح الله صاحبك و قبح شهره.ثم قالت لصاحب نصيب: أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فأن أمت فوا حزني من ذا يهيم بها بعدي

كأنه يتمني لها من يتعشقها بعده قبح الله صاحبك و قبح شهره إلا قال:

من عاشقين لراسلا و تواعدا ليلاً إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة و ألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال: نعم. قالت قبحه الله و قبح شعره إلا قال تعانقا.

وخرج كثير في الحج بجمل له يبيعه فمر بسكينة بنت الحسين ومعها عزه وهو لا يعرفها. فقالت سكينة: هذا كثير فسوموه بالجمل فساموه فاستام مائتي درهم. فقالت : ضع عنا. فأبى فدعت له بتمر وزبد، فأكل ، ثم قالت له: ضع عنا كذا و كذا لشيء يسير فأبى. فقالوا أكلت يا كثير بأكثر مما نسألك. فقال : ما أنا بواضع شيئاً. فقالت سكينة: اكتشفوا عنها و عن عزة فلما رآهما استحيا وانصرف و هو يقول: هو لكم هو لكم. و قالت سكينة لكثير حين أنشدها قصيدته التي أولها:

أشتاقك برق آخر الليل واصب تضمنه فرش الجبا فالمسارب

تألق واحمو في وخيم بالربى احم الذرى ذو هيدب متراكب

اذا زعزعته ارزم جانب بلا خلف منه و أومض جانب

وهبت لسعدى ماءه و نباته كما كل ذي ود لمن ود واهب

لتروى به سعدى و يروى صديقها و يغدق أعداد لها و مشارب

أتهب لها غيثاً عاما جعلك الله والناس فيه أسوة؟ فقال يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفت غيثاً فأحسنته وأمطرته وأنبته وأكحلته ثم وهبته لها: فقالت: فهلا وهبت لها دنانير و دراهم.

السيدة سكينة ، كانت بادية الاعتزاز بنسبها العالي وشرفها الرفيع . وكان خصومها لها ، يقرون لها بهذا الاعتزاز ويرونها أهلا لأن تباهي به من تباهي فتسكته. وفي الأخبار ، أن سكينة شهدت يوما مأتما فيه بنت لعثمان بن عفان فقالت العثمانية: أنا بنت الشهيد . فأنكر المجلس أن تفخر بأبيها على مسمع من بنت غذي النبوة سيد الشهداء . على حين أمسكت (سكينة) صامتة لا تعلق ، إلى أن أذن المؤذن من المسجد النبوي للصلاة ، فلما بلغ قوله : (أشهد أن محمدا رسول الله) التفتت سكينة إلى بنت عثمان وسألتها :

_ هذا أبي أم أبوك ؟

فأجابت العثمانية في تواضع :

لا أفخر عليكم أبدا.

وكانت شجاعة اللسان والجنان :

سمعت أن ابن مطير _ خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المرواني _ يشتم جدها كرم الله وجهه ، من فوق منبر جدها عليه الصلاة والسلام (فكانت تجيء يوم الجمعة لتشهد صلاة الجماعة ، فتقوم بإزاء الحارث إذ يصعد المنبر ، فإذا شتم عليا _ كرم الله وجهه _ تصدت له سكينة فشتمه ، ثم أمرت جواريها أن يشتمه ، فلا يملك ابن مطير أن يرد عليها . بل يكتفي بأن يأمر الشرطة بضرب الجواري).

_ توفيت سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم في ربيع الأول يوم الخميس عام ١١٧ هـ وعمرها خمس و سعبون عاماً في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . وكان على المدينة خالد بن عبد الله بن الحارث بن الحكم، في عهد هشام بن عبد الملك.(١)

---

(١) مصادر القصة : نور الأبصار : ١٩٢ .أُسد الغابة ٥ : ٥٢١ ، الأعلام للزركلي ٣ : ١٠٦، وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٤

-٩٥-

سمية أم عمار بن ياسر

هي سمية بنت خياط كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وكان ياسر حليفا لأبي حذيفة فزوجه سمية فولدت له عمار، فأعتقه أبو حذيفة. وكانت من السابقين إلى الإسلام. قيل: كانت سابع سبعة في الإسلام وكانت ممن يعذب في الله – عز وجل – أشد العذاب.

قال أحد رجال آل عمار بن ياسر عن سمية أم عمار عذبها هذا الحي من بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم على الإسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول: "صبرا آل ياسر موعدكم الجنة".

وروي أن أبا جهل ضربها في قلبها بحربة في يده فقتلها فهي أول شهيد في الإسلام. قال مجاهد: أول من اظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وبلال، وضباب، وصهيب، وعمار وسمية.

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فمنعهما قومهما وأما الآخرون فألبسوا أدراع الحديد، ثم صهروا في الشمس وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الإصابة، كتاب النساء ترجمة رقم ٥٨٢. والروض الأنف ١/ ٢٠٣. والأعلام ٣/ ١٤٠، ١٤١.

-٩٦-

سودة بنت زمعة

وهي أول من تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة ، وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر ، حتى دخل بعائشة .

وكانت سيدةً جليلة نبيلة ضخمة ، وكانت أولاً عند السكران بن عمرو ، أخي سهيل بن عمرو العامري ، ولها منه خمسة صبيان .

وهي التي وهبت يومها لعائشة ، رعاية لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قد فَرِكَتْ [أي : قلّ ميلها للرجال] رضي الله عنها .

عن عائشة ، قالت : ما رأيت امرأة أحب اليّ أن أكون في مسلاخها من سودة وعن إبراهيم ، قالت سودة : يا رسول الله ، صلّيت خلفك البارحة ، فركعت بي ، حتى أمسكتُ بأنفي مخافة أن يقطر الدَّم . فضحك . وكانت تُضحكه الأحيان بالشيء.

وقالت عائشة: استأذنت سودة ليلة المزدلفة ، أن تدفع قبل حَطمة الناس- وكانت امرأة ثبطة- أي ثقيلة فأذن لها .

وحجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وتوفيت في أواخر خلافة عمر.(١)

---

(١) مصادر القصة : الإصابة (٣٣٠/٤) ، الاستيعاب (٣١٧/٤) ،سير أعلام النبلاء (٢٦٥/٢) .

-٩٧-

سهلة بنت سهيل

ابن عمرو زوجة أبي حذيفة بن عتبة، أسلمت قديماً، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها فولدت له محمداً، ثم قدموا مكة فأقاموا بها حتى هاجروا إلى المدينة، وهي التي أتت رسول الله فقالت: يا رسول الله، إنا كنا نرى سالماً ولداً وكان يدخل علينا، ويرني وأنا أصلي، وقد أنزل الله فيهم ما أنزل، فما ترى؟ قال: "أرضعيه تحرمي عليه" وقتل أبو حذيفة يوم اليمامة، فتزوجها عبد الرحمن ابن عوف، فولدت له سالماً. ولما مات تزوجها عبد الله بن الأسود فولدت له سليطاً. ولما مات تزوجها عبد الله بن الأسود فولدت له سليطاً. ولم مات تزوجها شماخ بن فولدت له بكيراً.(١)

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى ٢١١/٨ ، الوافي بالوفيات ١٦/١٦ .

-٩٨-

شعوانة رضي الله عنها

كانت لا تفتر عن البكاء فقيل لها في ذلك قالت: (والله لوددت أن أبكي حتى تنقطع دموعي، ثم أبكي دما حتى لا يبقى جارحة من جسمي فيها دم) . وكانت تقول: (من لم يستطع البكاء فليرحم فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بنفسه وما جنى عليها وما هو صائر إليه) ، وكانت تبكي وتقول: (إلهي إنك لتعلم أن العطشان من حبك لا يروى أبدا) .

وكانت التي تخدمها تقول من منذ ما وقع علي نظر شعوانة ما ملت قط إلى الدنيا ببركتها ولا استصغرت في عيني أحدا من المسلمين وكان الفضل بن العباس - رضي الله عنهما - يأتيها ويتردد إليها ويسألها الدعاء.(١)

---

(١) مصادر القصة: أحسن المحاسن ٤/٥٤٩

-٩٩-

شهدة ابنة أبي نصر

أحمد بن أبي الفرج الإبري الدينورية البغدادية كانت من العلماء الأكابر المحدثات الصادقات بالرواية تعلمت الخط الجيد وأخذت العلم عن كثير من العلماء وأجازوها إجازة لم تسبق لغيرها وأخذ عنها كثيرون، وكان لها النفس العالي ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر وممن سمعت عنهم أبو الخطاب الطبراني وفخر الإسلام الشاشاني وغيرهما من أفاضل العلماء وألفت جملة رسائل في الحديث والفقه والتوحيد ومآثرها كثيرة في أصناف العلوم وكانت وفاتها ببغداد سنة ٥٧٤ هجرية.(١)

(١) مصادر القصة : : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٥٦

-١٠٠-

أول معلمة في الإسلام.. الشفاء بنت عبد الله

من غار حراء شعّ فجر الإسلام ... يملأ مكة وشعابها بنور الله ... فيفيض إشراقاً في العقول ويمنح للقلوب المؤمنة ضياء لتنسج به عظمة الإسلام.. فكم رفع الإسلام أناساً لم نسمع عنهم من قبل ... وكم زاد الإسلام من مكانه أناس فأضحوا خياراً في الجاهلية وخياراً في الإسلام.. لم يفرق بينهم نساء ورجالاً.. هكذا كانت الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن شداد القرشية العدوية.. قيل اسمها ليلى وكانت تكنى بأم سليمان.. ولكنها اشتهرت بالشفاء وربما نالت هذا اللقب بسبب شفاء البعض على يديها بإذن الله.

تزوجت الشفاء بنت عبد الله من أبي حثمة بن حذيفة بن عامر القرشي العدوي.. واعتنقت الإسلام في وقت مبكر من بزوغ شمسه.. فصبرت مع المسلمين الأوائل وتحملت أذى قريش وتعنتهم حتى أذن المولى عز وجل للصابرين والصابرات في مكة بالهجرة إلى يثرب فهاجرت معهم.

كانت الشفاء بنت عبدالله العدوية من القلائل الذين عرفوا القراءة والكتابة في الجاهلية وقد حباها الله من فضله عقلاً راجحاً وعلماً نافعاً.. فقد كانت تجيد الرقية منذ الجاهلية.. فلما جاء الإسلام قالت : لا أرقي حتى أستأذن رسول الله ﷺ فحضرت إليه وقالت : يا رسول الله إني قد كنت أرقي برقي الجاهلية وأردت أن أعرضها عليك ، فقال : اعرضيها ، قالت : فعرضتها عليه وكانت ترقي من النَمِلة [النملة نوع من التقرحات تصيب الجلد] فقال : (ارقي بها وعلميها حفصة : باسم الله ، اللهم اكشف البأس رب الناس) ، قال : (ترقي به على عود كركم – زعفران– وتطليه على النملة).. فاستمرت الشفاء ترقي بها المرضى من المسلمين

والمسلمات وعلمتها لأم المؤمنين حفصة .. ويلاحظ هنا أن الشفاء رغم علمها القديم الذي أجادته قبل الإسلام لم تحاول الإفادة منه إلا بعد أن عرفت حكم الشرع فيه.. فلما أجازها النبي ﷺ خدمت به الناس.. ولم تكتف بهذا بل علمت نساء المسلمين القراءة والكتابة فحق لها أن تكون أول معلمة في الإسلام.

لم تترك لنا كتب التراجم من أخبار الشفاء بنت عبدالله إلا النذر اليسير.. إذ وصفها ابن حجر في الإصابة بأنها من عقلاء النساء وفضلاهن.. وكان عليه الصلاة والسلام يبر بها فأقطعها داراً في الحكاكين بالمدينة لتسكنها.

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يثق برأيها ويقدم كلامها على غيرها حتى قيل إنه ولاها من أمر السوق شيئاً، ولم تذكر لنا كتب الأخبار ما المهام التي قامت بها الشفاء بنت عبدالله في السوق إلا ما رواه ابن سعد في طبقاته عن حفيدها عمر بن سليمان بن أبي خثمة ، عن أبيه قال : قالت الشفاء ابنة عبدالله : ورأيت فتياناً يقصدون في المشي يتكلون رويداً فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : نسّاك ، فقالت : كان عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناس حقاً.. ويتضح لنا من كلام الشفاء بنت عبدالله السابق الذكر أن هذا جزء من مهام الحسبة التي قامت بها ولكنها ، كما هو وارد في القصة ، لم تخاطب جماعة الفتيان مباشرة إنما قالت كلامها لمن هم معها.

وربما كانت مهمتها أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يخص النساء ، وربما مراقبة تعليم الصبيان على اعتبار أن تلك المهام من أعمال المحتسب في الإسلام ، والله أعلم.

روت الشفاء بنت عبدالله عن رسول الله ﷺ وعن عمر بن الخطاب، وروى عنها ابنها سليمان بن أبي خثمة وآخرون من أحفادها، وقد أخرج لها البخاري في كتاب الأدب وكتاب أفعال العباد كما أخرج لها أبو داود والنسائي.

توفيت معلمة الإسلام الأولى في زمن عمر بن الخطاب سنة عشرين بعد هجرة النبي ﷺ، فجزاها الله عن المسلمين والمسلمات خير الجزاء بما خدمت به الأمة ورقت مرضاها وعلمت نساءها.(١)

(١) مصادر القصة : الإصابة (١٤/٤) ونساء يضرب بهن المثل لمنصور بن ناصر العواجي : ص٨٤ .

-١٠١-

الشيماء بنت الحارث السعدية

وهي ابنة حليمة السعدية التي كانت من بين مراضع بني سعد حين انطلقن إلى مكة يلتمسن الأطفال لإرضاعهم ، فلم يطل مكثها بمكة حتى عادت تحمل معها طفلاً ، و لم يكن هذا الطفل الرضيع سوى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي أرضعته حليمة ، وطرحت البركة في كل ما عندها .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء سنتين ترضعه حليمة ، وتحضنه ابنتها الشيماء بنت الحارث بن عبدا لعزى بن رفاعة السعدية أخت الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.

وقدكان عليه الصلاة والسلام يخرج مع أولاد حليمة إلى المراعي ، وأخته الشيماء تحضنه وتراعيه ، فتحمله أحياناً إذا اشتد الحر ، وطال الطريق ، وتتركه أحياناً يدرج هنا وهناك ، ثم تدركه فتأخذه بين ذراعيها وتضمه إلى صدرها ، وأحياناً تجلس في الظل فتلعبه وتقول:

يا ربنا أبق لنا محمداً حتى أراه يافعاً وأمردا
ثم أراه سيداً مسوداً واكبـــــت أعاديه معاً والحسدا
وأعطه عزاً يدوم أبداً

قال محمد بن المعلى الأزدي :وكان أبو عروة الأزدي إذا أنشد هذا يقول : ما أحسن ما أجاب الله دعاءها.

وأقام النبي صلى الله عليه وسلم في بني سعد إلى الخامسة من عمره ينهل من جو البادية الطلق الصحة والنماء ، ويتعلم من بني سعد اللغة المصفاة الفصيحة. وقد تركت هذه

السنوات الخمس في نفسه الكريمة أجمل الأثر وأبقاه ، وبقيت الشيماء وأهلها وقومها موضع محبته وإكرامه طوال حياته- عليه الصلاة والسلام-.

ذكر الإمام ابن حجر في الإصابة أن الشيماء لما كان يوم هوازن ظفر المسلمون بهم، وأخذوا الشيماء فيمن أخذوا من السبي ، فلما انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله ، إني لأختك من الرضاعة. قال : وما علامة ذلك ، قالت : عضة عضضتها في ظهري ، وأنا متوركتك ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، ثم قال لها : ههنا ، فأجلسها عليه ، وخيّرها ، فقال : إن أحببت فأقيمي عندي محببة مكرمة ،وإن أحببت أن أمتعك فارجعي إلى قومك ، فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي ، فمتعها وردها إلى قومها.

ولم يتوقف إكرام النبي صلى الله عليه وسلم للشيماء عند هذا فحسب ، بل شمل ذلك بني سعد جميعهم ، ومعلوم أن بني سعد من هوازن ، وذلك أنه لما انتصر عليهم يوم حنين وغنم أموالهم ونسائهم وذراريهم ، عند ذلك جاءه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يا رسول الله ، إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ،ولو أنك ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك ، رجونا عائدتهما وعطفهما وأنت رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر

امنن على بيضة قد عاقها قدر ... ممزق شملها في دهرها غير

أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن ... على قلوبهم الغمّاء والغـر

يا خير طفـــل ومولود ومنتجب في العالمين إذا ماحصل البشر
إن لم تداراكـــــها نعماء تنشرها يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من محضها الدرر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزينـــــك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنـــــا كمن شالت نعامتـــه واستبـــق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشـــــكر آلاء وإن كفـــرت وعندنـــا بعد هذا اليوم مدخر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم) ؟ فقالوا: يا رسول الله ، خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما ما كان ولي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا ، فإني سأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم)، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : (إما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم) ، فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير : (ولقد كان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم ، فعادت فواضله عليه الصلاة والسلام قديماً وحديثاً ، خصوصاً وعموماً).(١)

---

(١) مصادر القصة : الإصابة (٣٤٤/٤) ، البداية والنهاية (٣٥٢/٤) .

-١٠٢-

صفية ابنة عبد المطلب

معاول الإيمان تدّك الأرض.. فيعلو الغبار ملامساً سقف السماء.. الأصوات تشدو بترتيل نداء الحق فتزيد السواعد الشامخة حماسةً لحفر خندق الدفاع... لا أحد يختبئ في منزله..

الكل مجتمع اليوم لتلبية النداء ..تمتزج سواعد الشيوخ بالأطفال بالنساء في عمل دؤوب... تتخلله معجزات يرددها النبي عليه الصلاة والسلام لتشعل في القلوب المؤمنة مزيداً من الحماسة والإقدام... حتى إذا ما انتهى الجمع من حفر الخندق وجاءت العرب تقودها قريش في عشرة آلاف فارس وقفت جامدة متصلبة... وقد فغر الصناديد أفواههم جزعاً لمشهد الخندق.... ورانت ببصرها نحو يثرب التي كانت مرمى أحلامهم للقضاء عليها وعلى الدين الجديد... لتسقط مخططات بني النضير وزعيمهم حيي بن أخطب في أعماق الخندق تحت أقدام النبي عليه السلام وأصحابه...

خلف كثبان رمال الأرض المحفورة تجمعت سيوف المؤمنين في ثلاثة آلاف ممن بايعوا الله على النصر أو الشهادة... ومن خلف اللظى جماعة اليهود من بني قريظة تختبئ في حصونها منتظرة الفرصة للغدر بالمؤمنين كذئب شرس يعشق امتصاص دماء أهل التوحيد... رغبة في بعثرة حلم العرب بالمنعة والقوة تحت ظلال الإسلام... وحسداً من أنفسهم على أمة جعل الله خاتم أنبيائه من بين ظهرانيها... وحقداً على نبي الله كسابق حقدهم على أنبياء من ظهرانيهم... فقتلوهم أو كذبوهم أو ألبسوا الحق بالباطل عبر كتب زوروها.... يشترون بها عرض الكفر

بالإيمان الذي طالما عرفوه واجتنبوه... هكذا هم منذ عَهِدَهم التاريخ.. وفضحهم القرآن الكريم.

حين علم النبي صلى الله عليه وسلم بنقض بني قريظة للعهد أوجس في نفسه خيفة على نساء المسلمين وأطفالهم فجمعهن في حصن فارع وكان هذا الحصن لحسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وقلوب الثلاثة آلاف مؤمن تختنق وجلاً ليس من عدو أمامهم بل من خنجر الغدر المسلّط على ظهورهم الذي ينتظر الفرصة لتحقيق مآرب كفار قريش ومن والاهم من غطفان ويهود بني قريظة... فأرسلوا أحد رجالهم ليستطلع أحوال حصن فارع ويزودهم بالأخبار أملاً في ألاّ يجدوا أحداً من الرجال يدافعون عن الحصن فينقضوا على من فيه من النساء والصبيان المسلمين.

كانت صفية بنت عبد المطلب ـــ عمة رسول الله من أوائل النساء اللواتي اعتنقن الإسلام ـــ قد لمحت قدوم اليهودي يطوف حول الحصن فاستدركت الأمر وفهمت بذكائها وعقلها الوافر مآرب يهود بني قريظة من هذا الطواف... واستشعرت بقلب المرأة المؤمنة مكمن الخطر قبل حدوثه.. تقول رضي الله عنها في هذه الحادثة : (مر بنا رجل من يهود، فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بيننا وبينهم أحد يدافع عنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نحور أعدائهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت، فاحتجزتُ ـــ أي شددت معجري ـــ؛ ثم أخذتُ عموداً، ثم نزلتُ من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته) هذا ما فعلته سيدة بني عبد المطلب حين ظهرت الحاجة لقوة المرأة في الساعات العصيبة لتسد الثغرات التي لا يسدها الرجال... فتتسربل بدرع القوة حين تحتاجها الأمة في الدفاع عن أرضها حين يقتحم العدو دارها...

إن ما فعلته صفية بنت عبد المطلب كان رسالة لبني قريظة حين ارتد إليهم قتيلهم... مرادها أن محمدًا ترك في حصن فارع جموعاً من الرجال يدافعون عن النساء والصبيان... و لم يكن أولئك الرجال سوى صفية بنت عبد المطلب!!!

امرأة أرهبت يهود بني قريظة فأعادتهم بخفي حنين... فما بالنا لو اجتمع عشر من نساء الأمة لهنّ قلب صفية وشجاعة صفية وحكمة صفية فكيف سنكون يا معشر نساء المسلمين؟

الأمة اليوم تحتاج لشحذ همة الكبير والصغير.. النساء والرجال... لنقف صفاً واحداً عملاً بقوله تعالى : ﴿ والْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ التوبة:٧١ .

لم يكن هذا الموقف البطولي لصفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المواقف الباسلة لها.. إذ نراها في غزوة أحد وقد أصاب المسلمون الجزع لما فعلته النسوة القرشيات بأسد الله حمزة بن عبد المطلب من تشويه وتمثيل حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من الزبير ابن صفية أن يمنع أمه من رؤية أخيها خوفاً على مشاعرها.... فلقيها الزبير قبل أن تصل إلى حمزة وقال لها : (يا أمه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أن قد مُثِل بأخي وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك!! لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله) فلما أتته نظرت إليه محتسبة صابرة لا تبالي بتمثيل أو تشويه.. ثم صلت عليه واسترجعت له ـــ أي قالت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ـــ واستغفرت له ثم رجعت بيقين الجنة حين يشتم المؤمن ريحها قبل الممات لا يعبأ بما يصيب الجسد الفاني من ضرٍّ رجاء في مرضاة الله... فينتزع بشعور المؤمن كل فزع وكل جزع يصيبه، وهكذا يكون الإيمان.

رحم الله صفية بنت عبد المطلب المرأة القوية الصابرة ، وجزى الله عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفها ودفاعها عن الأمة وقت المحن كل خير.(١)

(١) مصادر القصة : سير أعلام النبلاء (٢/٢٧٠) ، تاريخ الإسلام (٢/٢٢١) ، والبداية والنهاية (٧/١٠٤) .

-١٠٣-

صفية ابنة حيي بن أخطب

بنت نبي ، وعمها نبي ، وزوجة نبي.

أم المؤمنين النضرية ، بنت حيي بن أخطب بن سعية ، من سبط اللاوي بن نبي الله إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، ثم من ذرية رسول الله هارون عليه السلام.

كانت مع أبيها وابن عمها أخطب بالمدينة ، فلما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير ساروا إلى خيبر ، وقتل أبوها مع بني قريظة صبراً .

تزوجها قبل إسلامها : سلام بن أبي الحقيق ، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، وكانا من شعراء اليهود ، فقتل كنانة يوم خيبر عنها ، وسبيت وصارت في سهم دحية الكلبي ، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم جمالها ، وأنها بنت ملكهم ، وأنها لا ينبغي أن تكون إلا لك ، فأخذها من دحية وعوضه عنها سبعة أرؤس ، وأسلمت ، وأعتقها وتزوجها ، وكانت ماشطتها أم سليم ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لما طهرت تزوجها وجعل عتقها صداقها .

ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخدها لطمة فقال: ماهذه ؟ فقالت : إني رأيت كأن القمر أقبل من يثرب فسقط في حجري ، فقصيت المنام على ابن عمي فلطمني ، وقال : تتمنين أن يتزوجك ملك يثرب ، فهذه من لطمته .

وكانت شريفة عاقلة ذات حسب وجمال ودين ، رضي الله عنها .

قال أبو عمر بن عبد البر : روينا أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب فقالت : إن صفية تحب السبت ، وتصل اليهود ، فبعث عمر يسألها فقالت : أما السبت

فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : الشيطان قالت : اذهبي فأنت حرة .

توفيت سنة خمسين. وكانت ذات حلم ووقار . وقبرها بالبقيع .(١)

(١) مصادر القصة : الإصابة (١٢٦/٨) ، السيرة لابن هشام (٣٥٠/٣)

-١٠٤-

ضباعة بنت الحارث الأنصارية

كانت من نساء الأنصار التقيات النقيات العابدات اللاتي لهن صحبة حسنة مع النبي صلى الله عليه وسلم وروت عنه الحديث، وأخذ عنها جملة من التابعين، وكانت فصيحة اللسان حلوة العبارة إذا حدثت وعت لها القلوب وتفتحت إليه الآذان. وكان مقربة بين الأنصار محبوبة عند الجميع لتقواها وعفافها وصيانتها مع جمالها الفائق وقد هويها زفر بن الحارث الكلابي وتعلق بها وهي لم تلتفت إليه وقد قال فيها شعرا أوله:

قفي قبل التفرق يا ضباعا ... فلا يك موقف منك الوداعا

وهي طويلة لم نعثر على باقيها، وتوفيت بين أهلها الأنصار، وهي في عز وإقبال.(١)

---

(١) مصادر القصة : أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٧٥/٧ ، الاستيعاب ت (٣٤٦٣) ، أعلام النساء ٢/ ٣٥٣، الدر المنثور ٢٧٥، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٢٨٣.

-١٠٥-

ضباعة بنت الزبير

ابن عبد المطلب بن هاشم القرشية ابنة عم النبي صلى الله وسلم. كانت زوجة المقداد بن عمرو الكندي فولدت له عبد الله وكريمة قتل يوم الجمل مع عائشة.

روى عن ضباعة بن عباس وجابر وأنس وعائشة وعروة والأعرج وقيل: إن ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله، إني أريد الحج أفأشترط؟ قال: (نعم) . قالت: كيف أقول؟ قال: (قولي لبيك اللهم لبيك لبيك محلي من الأرضي حيث تحسبني) ففعلت كما أمرها وحدثت بهذا الحديث وخلافه. وروى عنها جملة من التابعين أيضا.(١)

---

(١) مصادر القصة : أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٧٦/٧، طبقات ابن سعد ٤٦١٨، طبقات خليفة ٣٣١، المعارف ١٢٠، المستدرك ٤/ ٦٥، تهذيب الكمال ١٦٨٧، تاريخ الإسلام ٢/ ٢٢٩ .

-١٠٦-

ضباعة بنت عامر بن قرظ العامرية

كانت أسلمت بمكة وقد نصرت النبي صلى الله عليه وسلم في جملة مواطن بلسانها وفعلها، وقد أبلت بلاء حسنا أمامه، فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم على بني عامر – وهم بعكاظ – ودعاهم إلى نصرته ومنعه فأجابوه فبينما هم كذلك إذ جاء ثجرة بن فراس القشيري فغمز (شاكلة) ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمصت به فألقته وعندهم يومئذ ضباعة بنت قرظ، كانت ممن أسلمن بمكة جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت: يا آل عامر، ولا عامر لي أيصنع هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ولا يمنعه أحد منكم؟ فقام ثلاثة من بني عمها إلى ثجرة، فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الأرض ثم جلس على صدره، ثم علوا وجهه لطما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله بارك هؤلاء) فأسلموا وقتلوا شهداء. ولها نصرات كثيرة مثل هذه – رحمها الله تعالى.(١)

---

(١) مصادر القصة : بلاغات النساء لابن أبي طاهر ١٧٨، الإصابة ترجمة (٦٧٠) ، والتاج (٥/ ٤٢٦) ، والأعلام (٣/ ٢١٣) .

-١٠٧-

ضيفة بنت الملك العادل أبي بكر أيوب

مولدها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب، ولما ولدت كان عند أبيها ضيف فسماها أبوها ضيفة تزوجها الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب سنة تسع وستمائة، وذلك بعد وفاة أختها ملكة، ولما عقد عليها أصدقها خمسين ألف دينار، واحتفل الظاهر لملتقاها بالنفائس، ومات عنها الظاهر سنة ثلاث عشرة وستمائة فملك حلب ابنها الملك العزيز محمد، ودبرته أمه ضيفة خاتون إلى أن كبر وطالت أيامه، وتوفي العزيز محمد سنة أربع وثلاثين وستمائة. فملكت حلب ضيفة خاتون إلى أن كبر الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد، ودبرت الملك أحسن تدبير إلى أن بلغ عمر ابن ابنها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الروضة الفيحاء في أعلام النساء ٨١/١

-١٠٨-

ظبية ابنة البراء

ابن معرور امرأة أبي قتادة الأنصارية، كانت من المحدثات المتقدمات الصحابيات اللاتي لهن التقدم في الرواية وصحة الخبر أخذت من أجلة وروت جملة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى عنها جملة من الصحابة والتابعين. ومن أحاديثها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم قائلة: هل علينا معشر النساء جمعة أو جهاد؟ فقال لها: (ليس عليكن جمعة أو جهاد) . فقالت: علمني يا رسول الله تسبيح الجهاد فقال: (قولي سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد) فجعلت تقول ذلك كلما حضرت جهادا مع قومها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٧٨

-١٠٩-

عائشة بنت أبي بكر الصديق

زوجة نبينا ﷺ فى الدنيا والآخرة ، الفقيهه الربانية ، المبرأة من فوق سبع سنوات ، مات عنها رسول اللهص بعد أن أقام معها تسع سنوات ، وحين مات ﷺ ، ما كانت تخطو بعد إلى التاسعة عشرة ، على أنها ملأت أرجاء الأرض علماً.

وفى رواية الحديث نسيج وحدها وعن من احاديث رسول الله ﷺ ما لم --- إمرأة من نسائه ، وروت عنه ما لم يرو مثله أحد من الصحابه إلا أبو هريرة رضي الله عنه .

قال الذهبى : " لا أعلم فى أمة محمد ﷺ . بل ولا فى النساء مطلقاً امرأة أعلم منها ، ونشهد أنها زوجة نبينا ﷺ فى الدنيا والآخرة .فهل فوق ذلك مفخر ؟.

لقد كانت رضى الله عنها إحدى المجتهدات ، من أنفذ الناس رأياً فى أصول الدين ودقائق الكتاب المبين ، وكم كان لها رضى الله عنها من استدراكات على الصحابة وملاحظات ، فإذا علموا بذلك منها ، رجعوا إلى قولها .

وقال سروق : " رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن الفرائض .

وقال الزهرى : " لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين لكانت عائشة أوسعهم علماً .

وقال الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشى :" أشتمل كتاب البخارى ومسلم على ألف حديث ومئتين حديث من الأحكام ، فروت عائشة من جملة الكتابين مائتين وتسعين حديثاً ، لم يخرج عن الأحكام منها إلا يسير .

وعن عروة بن الزبير :" ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ، وعنه :" لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية نزلت ، ولا بفريضة ، ولا بسنة ، ولا بشعر ، ولا أروى له ، ولا بيوم من أيام العرب ، وى بنسب ، ولا بكذا ، ولا بكذا ، ولا بقضاء ، ولا طب منها .

وعن الشعبى : أن عائشة قالت :" رويت للبيد محواً من ألف بيت ، وعنه أيضاً كان يذكرها ، فيتعجب من فقهها وعلمها ، ثم يقول ما ظنكم بأدب النبوة .

وعن القاسم قال : " كنت إذا غدوت ، أبدأ بيت عائشة رضى الله عنها فأسلم عليها ، فغدوت يوماً، فإذا ، فإذا هى قانته تسبح وتقرأ .." فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم " وتدعو وتبكى ، وترددها فقمت حتى عللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتى ، ثم رجعت فإذا هى قائمة تصلى وتبكى .

وقال عروة : بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم فقسمتها فلم تترك منها شيئاً ، فقالت بريرة : أنت صائمة ، فهلا إبتعت لنا منها بدرهم لحماً ؟ قالت : " لو ذكرتينى لفعلت ،

وعنه أيضاً قال : " وإن عائشة تصدقت بسبعين ألف درهم ، وأنها لتوقع حاقب درعها .

وعن محمد بن المنكدر ، عن أم ذرة- وكانت تخشى عائشة رضى الله عنها- قالت بعث ابن الزبير إليها بمال فى غرارتين ، قالت : أراه ثمانين ومائة ألف ، فدعت بطبق ، وهى صائمة يومئذ فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم ، فلما أمست قالت : يا جارية هلمى فطورى ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم ذرة :" ما استطعت مما قسمتى اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحماً نفطر عليه ؟ فقالت : لا --- لو ذكرتينى لفعلت ".

وفى مرض موتها دخل عليها ابن عباس ﷺ فقال :" ابشرى : فما بينك وبين أن تلقى محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ و لم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً ، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء ، فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبح فى المترل ، فأصبح الناس ليس معهم ماء . فأنزل الله ﷻ ، فتيمموا صعيداً طيباً " وكان ذلك سببك ، وما أنزل الله لهذه الآمة من الرخصة ، وأنزل براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر الله فيه إلا تتلى فيه أناء الليل وآناء النهار

فقالت :" يا ابن عباس دعنى منك ، ومن تزكيتك فو الله لوددت أنى كنت نسياً منسياً .(١)

(١) مصادر القصة: السير ٢/١٤٠ ،السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين ص٩٠ ،طبقات ابن سعد ٨/٤٥ ، الحلية ٢/٤٧ .

-١١٠-

عائشة بنت طلحة

بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن معد بن تيم.

وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وخالتها عائشة أم المؤمنين. كانت عائشة بنت طلحة أشبه الناس بعائشة أم المؤمنين خالتها فزوجها بابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وكان ابن خال عائشة بنت طلحة، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه.

فولدت له عمران – وبه كانت تكنى– وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفسية التي تزوجها الوليد بن عبد الملك ولكل من هؤلاء عقب وكان ابنها طلحة من أجود قريش، وتوفي بعد الله عنها ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك.

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : اجتمع في الحجر مصعب وعروة وابن الزبير وابن عمر ، فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة ، وقال عروة : أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب : أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وقال عبد الله بن عمر : أما أنا فأتمنى المغفرة . قال : فنالوا كلهم ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر الله له .

قيل : كانت أجمل نساء زمانها وأرأسهن .

لما قتل زوجها مصعب بن الزبير تزوجها عمر بن عبيد الله التيمي فأصدقها ألف ألف درهم .

وفدت على هشام بن عبد الملك فاحترمها ووصلها بجملة كبيرة .

عن إبراهيم أن عائشة بنت طلحة قالت : إن تزوجت مصعباً فهو عليها كظهر أمها ، فتزوجته ، فسألت عن ذلك فأمرت أن تكفر ، فأعتقت غلاماً لها ثمن ألفين.
بقيت إلى قريب من سن عشر ومئة بالمدينة .(١)

(١) مصادر القصة : سير أعلام النبلاء (٣٦١/٤) ، نساء من عصر التابعين (١٥/١) .

-١١١-

عائشة النبوية ابنة جعفر الصادق

وأخت موسى الكاظم.

قال المناوي: كانت من العابدات الجاهدات، وكانت تقول – رضي الله عنها – وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخذن توحيدي وأطوف به على أهل النار وأقول وحدته فعذبني.

ماتت رضي الله عنها سنة هجري ودفنت في المسجد المعروف باسمها الآن بناحية قراميدان بمصر وقبرها يزار وأهل مصر يعتقدون بها ويتبركون بزيارتها ومسجدها مقام الشعائر(١)، وكان أبوها جعفر الصادق –رضي الله عنه – إماما نبيلا أخذ الحديث عن أبيه وجده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه وعروة وعطاء ونافع والزهري وهو إمام مذهب الشيعة الإمامية.(٢)

---

(١) وهذه كلها أعمال مخالفة للشرع الحنيف .

(٢) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٩١

-١١٢-

عائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني بن المنصور الدمشقية

كانت عالمة عاملة كاملة، تعلمت النحو، والصرف، والبيان، والعروض، والحديث، وفتحت حلقة للتدريس سمعت عن زوجها الحافظ نجم الدين الحسني، وعن الإمام ابن الخباز والمرداوي. ومن بعدهما حدثت وانتفع الناس بمعارفها وعلومها حتى أنها فاقت أهل زمانها علما وأدبا ومعاشرة وعفة.(١)

(١) مصادر القصة : إنباء الغمر (٧/ ٧٨) و الضوء اللامع (١٢/ ٧٧) و أعلام النساء (٣/ ١٨٠) . الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٩٢

-١١٣-

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي

بن عبد المجيد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي.

الصالحية الحنبلية سيدة المحدثين بدمشق، سمعت صحيح البخاري على حافظ العصر المعروف بالحجار. وروى عنها الحافظ ابن حجر وقرأ عليها كتبا عديدة، وانفردت في آخر عمرها بعلم الحديث، وكانت سهلة في تعليم العلوم، لينة الجانب للتعليم، ومن العجائب أن ست الوزراء كانت آخر من حدث عن الزبيدي بالسماع، ثم كانت عائشة

آخر من حدث عن صاحبه ابن الحجار بالسماع أيضا وبين وفاتهما مائة سنة، وتوفيت عائشة هذه بدمشق سنة ٨١٦ هجرية ودفنت بالصالحية رحمة الله عليها.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٩٢

-١١٤-

عائشة بنت يوسف بن أحمد بن نصر الباعوني

كانت شاعرة مطبوعة، فاضلة أديبة، لبيبة عاقلة، وكان على وجهها من الجمال لمحة جملها الدب وحلتها بلاغة العرب، فجعلتها بغية ومنية الراغبين، والذي أجمع عليه العارفون أن عائشة هذه بين المولدين تزيد عن الخنساء بين الجاهلين، وقد وصفها عبد الغني النابلسي بأنها فاضلة الزمان، وحليفة الأدب في كل مكان، ووصفها غيره من العلماء والأعلام بأنها ربة الفضل والأدب، وصاحبة الشرف والنسب، وقد حضرت الفقه والنحو والعروض على جملة من مشايخ عصرها مثل جمال الحق والدين إسماعيل الحوراني والعلامة محيي الدين الأموري، وقد أخذ عنها جملة من العلماء والأعلام، وقد انتفع بها خلق كثير من الطالبين ولها ديوان شعر بديع في المدائح النبوية كله لطائف، ومن تآليفها: (مولد جليل للنبي صلى الله عليه وسلم) اشتمل على فرائد النظم والنثر، ومن شعرها قولها في جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق بيتان هدما كثيرا مما شيده فحول الشعراء من البيوت وهما:

بنى سلطاننا برقوق جسرا ... بأمر والأنام له مطيعة

مجازا في الحقيقة للبرايا ... وأمرا بالمرور على الشريعة

وبالحقيقة أن من رأى سحر بلاغتها فكأنما رأى هاروت وماروت، ومن شعرها البديع في الغزل قولها:

كأنما الخال القرط في عنق ... بدا لنا من محيا من خلقا

نجم غدا بعمود الصبح مستترا ... خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

ومن نظمها قصيدتها البديعية التي سارت بذكرها الركبان، وفاقت بمعانيها على الصفي وابن حجة وسائر أهل البديع وذوي العرفان، ولها عليها شرح بديع سمته

بالفتح المبين في مدح الأمين نظمتها على منوال بديعية تقي الدين بن حجة مع عدم تسمية النوع تمسكا بطلاقة الألفاظ، وانسجام الكلمات، وشرحتها بشرح مختصر أسفرت فيه عن لسان البيان بقدر الطاقة والإمكان، ونحن نورد مقدمة هذا الشرح بحروفها لما فيها من حسن المعاني البديعة وتأتي على إيراد القصيدة بأكملها بدون شرح وذلك إظهارا لفضل المترجمة وعلو همتها. قالت رحمها الله تعالى:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله محلي جياد الأفهام بعقود مدح الشفيع، ومجلي سلامة الأذواق بمكرر ذكره الرفيع ومرصع تيجان البيان بجواهر سيرته الحسنا، ومزين سماء البلاغة بزواهر معجزه الأسنى، ومعجز العقول عن إدراك كنه صفاته، ومؤيس الأفكار من إحصاء خصائصه وآياته، وباعث الرسل مقررين لعظيم قدره، ومنزل الكتب مبنية لرفيع ذكره، ومعطر أرجاء الوجود بالثناء على خلقه العظيم، ومشرع ألوية التخصيص له بكرائم التسجيل وجلائل التكريم، ومطلق ألسنة الأطناب في شرفه المطلق المفرد ومفرده بكمال الاصطفاء فما لكماله مثل ولأحد حمدا يجمع لي بين الأماني والأمان، ويقتضي المزيد من المبرات الشهود والعيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة شافعة باتصال المدد، كافلة بالخلود في جنات العرفان إلى الأبد. وأشهد أن سيد أعيان الكونين، وعين حياة الدارين محمد عبده ورسوله، وحبيبه وخليله صلى الله عليه وسلم صلاة تصلني وذريتي وأحبائي في كل نفس بنفائس صلاته، وتقتضي دوام البسط بتوالي إمداداته، وتشفع لنا بمراحم القبول، وتسعفنا بكرائم الوصول صلاة لا ينقطع لها مدد، ولا ينقضي لها أمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى آل كل وصحب كل وسائر الصالحين وسلك تسليما وكرم تكريما.

وبعد، فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع، شاهدة بسلامة الطباع، ومنقحة بحسن البيان، مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان، سافرة عن وجوه البديع، سامية بمدح الحبيب الشفيع، مطلقة من قيود تسمية الأنواع، مشرقة الطوالع في أفق الإبداع، موسومة بين القصائد النبويات بمقتضى الإلهام الذي هو عمدة أهل الإشارات بالفتح المبين في مدح الأمين، استخرت الله تعالى بعد تمام نظمها وثبوت اسمها في شيء يروق الطالب موارده، وتعظم عند المستفيد فوائده، وهو أن أذكر بعد كل بيت حد النوع الذي بنيت عليه وافر شاهده فإن ذلك مما يفتقر إليه وأنحو في ذلك سبيل الاختصار ولا أخل بواجب، وأنبه على ما لا بد منه قصد النفع الطالب، والمسؤول من الفتاح بتأسيسها على قواعد أذن الله أن ترفع ومن مثبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع أن يصلي ويسلم عليه، ويجعلها خاصة لوجهه الكريم ووسيلة لي ولوالدي ولذريتي ولأحبائي ولمن والاني خيرا وفور الحظ من فضله العظيم، وأن ينيلنا بوجاهة الممدوح لديه وبحقه عليه نهاية الآمال، وشمول العفو والرضوان إنه جواد كريم رؤوف رحيم، ومن الله أستمد وعليه أعتمد وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

وقد توفيت في القرن العاشر من الهجرة رحمها الله رحمة واسعة.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٢٩٣

-١١٥-

عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"

من معين نهر النيل العذب، نغرف وجهاً إسلامياً مضيئاً في سماء عالمنا الإسلامي المعاصر الذي خبت نجومه، وقلت شموسه ، لكن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم باق إلى قيام الساعة.

نتطلع إلى نموذج نسائي نهتدي عبر طريقه ، وشخصية استطاعت أن تحفر في صخور صماء منعت المرأة خلال فتراتها من حقها في التعليم ، لتتجاوز هذا المنع وتصل بعلمها وتراثها الفكري مبلغ الرجال ، تلك هي بنت الشاطىء عائشة عبد الرحمن ، ابنة لأحد علماء الأزهر ، وسليلة أسرة مشايخ حملت على أكتافها لواء الإسلام في مصر .. درست عائشة في صغرها في الكتاتيب الخاصة بتعليم الفتيات فظهر نبوغها الأدبي والعلمي .. مما شجع جدها لأمها لإقناع والدها بإدخالها مدرسة اللوزي الأميرية للبنات والتي لم يكن يحظى بدخولها إلا النذر اليسير من الفتيات في عصر منعت فيه المرأة من التعليم.. واستمرت تنهل من عباب العلم وترقى في سلمه رغم الصعوبات في تحد واضح لكل المحاولات التي منعت المرأة من هذا الحق ، حتى تخرجت من كلية الآداب قسم اللغة العربية من جامعة القاهرة بتقدير امتياز وذلك سنة ١٩٣٦م ، ثم حصلت على درجة الماجستير مع مرتبة الشرف سنة ١٩٤١ ، وتزوجت من أستاذها الجامعي أمين الخولي الذي كان أحد رواد النهضة الفكرية والثقافية في مصر أبان تلك الفترة ، الأمر الذي أسهم في أن يلعب الرجل دوراً بارزاً في حياة بنت الشاطىء وتقدمها في المسار العلمي فلم تشغلها حياتها الزوجية وإنجابها لثلاثة من الأبناء عن مواصلة مسيرة التعليم فنالت درجة الدكتوراه بتقدير امتياز في الرسالة التي ناقشها د. طه حسين.

رغم ضعف الدور الذي لعبته المرأة في الحياة الثقافية والعلمية لتلك الفترة إلا أن عائشة عبد الرحمن استطاعت أن تخطو بثبات نحو القمة لتصبح رائدة في فكرها النسائي الإسلامي المتميز وترتقي في سلم وظائفها التربوية والتعليمية ، فتبوأت عدة مناصب منها أستاذة في الدراسات العليا بجامعة القرويين في المغرب ، ثم أستاذة اللغة العربية في جامعة عين شمس ، وأستاذة زائرة لعدة جامعات عربية منها كلية أم درمان وكلية التربية للبنات بالرياض وجامعة بيروت ، كما شغلت عضوية مجالس علمية كبيرة مثل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

بدأت حياتها الأدبية وهي ابنة الثمانية عشر ربيعاً في جريدة النهضة النسائية بلقب مستعار هو "بنت الشاطئ" ، وقد أحبت عائشة هذا الاسم كثيراً لما له من ذكريات طفولية في نفسها على شاطئ النيل حيث قضت طفولتها ، ففضلت أن تكتب به نظراً لشدة محافظة أسرتها ، خاصة وأن المرأة في تلك الفترة لم تتمتع بحقها في التعليم بله في الكتابة عبر الصحافة ، ثم انتقلت إلى جريدة الأهرام ، وقد استمرت تكتب بها حتى وفاتها سنة ١٩٨٨ ، أخذت عائشة على عاتقها قضية تعليم المرأة واعتبرتها أساساً هاماً يرتكز عليه تنشئة الجيل في المجتمع المسلم ، فسعت من خلال كتاباتها التاريخية التي صاغتها بقالب أدبي عن سيدات بيت النبوة ، إلى إبراز شخصية المرأة المسلمة ، والمعلمة المجاهدة ، ودعمت من خلال مؤلفاتها أهمية دور المرأة وأهمية تعليمها وعدم الاستهانة بدورها في تطوير المجتمع الإسلامي والنهوض به من براثن التهميش.

برعت بنت الشاطئ في إبراز دور اللغة العربية والغوص في أسبارها وتقفي بحورها عن طريق كتابها الشهير "التفسير البياني للقرآن الكريم" الذي تناولت فيه تفسير السور القصار من القرآن الكريم وذلك من وجهة نظر خاصة ، حيث فسرت ألفاظ القرآن الكريم من الناحية اللغوية فعملت على تلمس الدلالات

اللغوية الأصلية في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية ، زاوجت من خلالها بين العقل والنقل في نقلها البياني ، فثبتت ما نقله الأقدمون من تفسير مع ما يتفق والمنطق العقلي في قبول هذا التفسير، فاستطاعت بهذه الخطوة التجديد في التناول والهدف والتفنيد لآراء القدماء والمحدثين ، موجدة بذلك منهجاً جديداً ساهم في البناء الفكري للحضارة الإسلامية ومدافعاً عن اللغة العربية في عصر اعتبرت فيه هذه اللغة قاصرة عن إيجاد مصطلحات وافية في مختلف جوانب التقنية العلمية التي وصلت إليها البشرية في عصرنا الحديث.

استطاعت عائشة عبد الرحمن المضي قدماً في دراسة علوم الحديث النبوي ، تلك العلوم التي أصبح من الصعب التجديف عبر بحورها ذات الأمواج الصعبة عند الرجال ناهيك عن النساء ، و لم تقف بطموحها الفكري عند هذا الحد ، بل وقفت في وجه الحركات المسمومة التي حاربت الإسلام وتصدت لها بكل صلابة وقوة ، مسلطة الأضواء على خطورة البهائية ومدى ارتباطها بالحركة الصهيونية العالمية.

إلى جانب كل هذا فقد كانت عائشة عبد الرحمن أديبة وناقدة متميزة تركت لنا تراثاً أدبياً ضخماً وهادفاً من أشهره قصة "على الجسر" التي روت فيها جوانب من سيرتها الذاتية ، واهتمت بدراسة وتحقيق عدد من المخطوطات منها "نص رسالة الغفران للمعري ، والخنساء الشاعرة العربية الأولى".

لقد استطاعت عائشة عبد الرحمن وضع المرأة في قالب فكري وعلمي وثقافي ، حين تمارس المرأة حقوقها في إطار يخدم مصالح مجتمعها وأمتها ودينها ، مجاهدة بقلمها للدفاع عن قضايا دينها والوقوف بقلمها في وجه التحديات والأخطار التي تعصف بحال أمتنا ، لتصل بعلمها وأدبها مواصل تؤهلها لنيل العديد من الجوائز من أبرزها جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي ، وجائزة الدولة التقديرية في مصر ، والعديد من الجوائز التي نالتها من مختلف البلاد العربية.

ولدت عائشة عبد الرحمن الشهيرة ببنت الشاطئ في مدينة دمياط في (٦ من ذي الحجة ١٣٣١هـ= ٦ من نوفمبر ١٩١٣م) في بيت عرف بالعلم والصلاح والتصوف؛ حيث كان أبوها أزهريا متصوفا، وجدّها لأمها من أعيان دمياط.

* بدأت دروسها في سن الخامسة، واستطاعت حفظ القرآن الكريم كاملا في سن مبكرة، وكان والدها يرفض أن تتلقى ابنته الصغيرة تعليما غير ديني، غير أن إصرار عائشة ووساطة جدها جعل الأب يوافق -على كره- أن تلتحق ابنته بالمدرسة، واشترط أن تتابع دروسها الدينية في المنزل، وأن تنقطع نهائيا عن المدارس عندما تشارف البلوغ.

* استطاعت عائشة أن تنهي دراستها الابتدائية بتفوق، وكافحت كفاحا مجيدا حتى تكمل تعليمها رغم اعتراض والدها، والتحقت بمدرسة المعلمات بطنطا وحصلت على شهادتها سنة (١٣٤٨هـ=١٩٢٩م) ثم انتقلت إلى القاهرة وعملت في وظيفة كاتبة بكلية البنات بالجيزة، واستطاعت في تلك الفترة أن تراسل عددا من الصحف ونشرت مقالات في مجلة النهضة النسائية التي كانت ترأسها لبيبة أحمد، ونشرت مقالات في الأهرام تحت اسم مستعار هو "بنت الشاطئ"، وحصلت على شهادة البكالوريا التي تؤهلها لدخول الجامعة بعد سنوات من الجهاد والمثابرة.

* التحقت بالجامعة المصرية وتخرجت في كلية الآداب قسم اللغة العربية سنة (١٣٥٨هـ= ١٩٣٩م)، وتزوجت أثناء دراستها الجامعية من أستاذها أمين الخولي أحد العلماء الأجلاء وصاحب المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم.

* حصلت "بنت الشاطئ" على شهادة الماجستير سنة (١٣٦٠هـ= ١٩٤١م) عن موضوع "الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري"، وفي عام (١٣٧٠هـ= ١٩٥٠م) حصلت على شهادة الدكتوراة في تحقيق "رسالة الغفران" لأبي العلاء

المعري. وقد نصحها زوجها بدراسة الأدب واللغة التي نزل بها القرآن الكريم، فإذا تحقق لها ذلك اتجهت إلى مجال الدراسات الإسلامية، فاستجابت للنصيحة وأمضت ٢٠ عاما في دراسة الأدب قبل أن تخوض مجال الدراسات الإسلامية.

* تدرجت في المناصب الجامعية حتى أصبحت أستاذة التفسير والدراسات العليا بجامعة القرويين بالمغرب، والتي درّست بها حوالي ٢٠ عاما، كما حاضرت في عدد من الجامعات بالعالم العربي.

* لعائشة عبد الرحمن إنتاج علمي وأدبي كبير اقترب من أربعين كتابا شملت الدراسات الفقهية والحديثية والقرآنية والأدبية، منها "القرآن وقضايا الإنسان" و"لغتنا والحياة"، و"الإسرائيليات والغزو الفكري"، و"لقاء مع التاريخ"، و"تراجم سيدات بيت النبوة"، و"الخنساء الشاعرة العربية الأولى"، ولها ترجمة ذاتية بعنوان "على الجسر".

* حصلت على عدة جوائز تقديرية منها جائزة الدولة التقديرية عام (١٣٩٩هـ ١٩٧٨م)، وجائزة الأدب من الكويت عام (١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م)، وجائزة الملك فيصل عام (١٤١٥هـ= ١٩٩٤م).

* توفيت في (١٣ من شعبان ١٤١٩هـ =١ من ديسمبر ١٩٩٨م) وكانت مثالا للصبر والزهد على مستوى الإنسان.

ستبقى بنت الشاطئ خالدة في ذاكرة الأمة الإسلامية تروي من خلال غزارة إنتاجها قصة المرأة المسلمة صاحبة القلم المجاهد في سبيل نهضة الأمة الإسلامية ورفعتها رحم الله عائشة عبد الرحمن وأسكنها فسيح جناته بما سطره قلمها الأغر من حروف أضاءت صفحات مشرقة في سجل الحضارة الإسلامية.(١)

---

(١) مصادر القصة : الموسوعة العربية العالمية

-١١٦-

عائدة المدينة

أم ولد حبيبي بن الوليد المرواني. كانت جارية حالكة اللون تروي عن الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة المنورة وهبها محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان الحبيب بن الوليد المرواني فقدم بها إلى الأندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها وفرط ذكائها واتخذها لفراشه، وبقيت عنده معززة مكرمة إلى أن توفاها الله تعالى.(١)

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٣١٩

-١١٧-

عاتكة عمة النبي صلى الله عليه وسلم

بنت عبد المطلب، هي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيقة أبيه عبد الله وعمه أبي طالب، والزبير، وعبد الكعبة، وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائد بنت عمران بنت مخزوم، وتزوج عاتكة أبو أمية بن المغيرة، فولدت له عبد الله وزهيرا واختلف في إسلامها، وأشعارها تدل على إسلامها وتصديقها برسالة ابن أخيها صلى الله عليه وسلم ومن قولها:

فهلاً صبرتم للنبيِّ محمّدٍ ... ببدر، ومن يغشى الوغى حق صابرِ
و لم ترجعوا عن مرهفاتٍ، كأنّها ... حريقٌ بأيدي المؤمنين بواترِ
ووليّتم نفراً وما البطلُ الذي ... يقاتلُ من وقعِ السيوفِ بنافرِ
أتاكم بما جاءَ النّبيونَ قبلهُ ... وما ابن أخي البرّ الصّدوق بشاعرِ

ومن قولها:

وقلتم، و لم أكذب، كذبتِ، وإنّما ... يكذبني بالصدقِ وهو كاذبُ
فما بالُ قتلى في القليب ومثلهم ... لدى ابن أخي أسرى له ما تضاربُ
أكانوا نساءً أم أتى بنفوسهم ... من الله حين ساقَ والحينُ جالبُ
فكيف رأى عندَ اللّقاءِ محمّداً ... بنو عمّهِ والحربُ فيها التجاربُ
ألم يغشهم ضرباً يحارُ لوقعهِ ... الجبانُ وتبدو بالنّهارِ الكواكبُ

وعاتكة هي التي رأت الرؤيا قبل وقعة بدر الكبرى، وأخبرت بها العباس رضي الله عنه وذلك أنها رأت راكبا أقبل على بعير له فوقف بالأبطح فنادى: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث، صرخ بها ثلاث مرات، فاجتمع الناس إليه. ثم مثل

لها على هيئة أبي قبيس راكباً بعيره فصرخ مثل الأولى ورمى بصخرة فتكسرت، فما بقي بيت ولا دار إلا ودخلتها منها فلقة، فسمعت قريش بمنام عاتكة فقال أبو جهل: ما رضوا بكذب الدجال، جاءونا بكذب النساء، فأنكر العباس المنام. فلما كان اليوم الثالث دخل ضمضم وهو ينادي: الغوث، الغوث، وأخبرهم بخر العير فخرجت أشراف قريش، وتخلف أبو لهب خوفاً من رؤيا عاتكة، وأرسل مكانه العاص بن هشام استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ديناً، وقيل: إنها كانت ربا، وقيل: قماراً، فصدق الله تعالى رؤيا عاتكة، وذلك في وقعة بدر.(١)

(١) مصادر القصة : تاريخ الطبري ٢/ ٤٢٨، والبداية والنهاية ٣/ ٢٥٧

-١١٨-

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

القرشية، صحابية كريمة، هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

أمها أم كريز بنت الحضرمي، وخالها العلاء بن الحضرمي الصحابي المشهور، وخالتها الصعبة بنت الحضرمي أم طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة أيضاً.

اشتهرت عاتكة بنت زيد بين نساء قريش بالبلاغة والفصاحة، وقول الشعر، ورجاحة العقل.

وكانت عاتكة رضي الله عنها ذات خلق بارع، وصاحبة عقل راجح ورأي سديد، تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان شديد التعلق بها حتى انشغل عن كثير من أموره، فأمره والده بطلاقها، وعزم عليه بذلك فلم يسعه أن يخالف أمره، فطلقها واحدة وقال:

يقولون طلقها وخيم مكانها ... مقيماً تمني النفس أحلام نائم

وإن فراقي أهل بيتي جميعهم ... على كره مني لإحدى العظائم

غير أن عبد الله تألم أشد الألم لفراق زوجه حتى أثر فيه ذلك، وشعر والده بذلك، وعرف تعلقه بعاتكة فرقّ له لشدة حبه لها فأذن له أن يراجعها، فارتجعها، وقال حين راجعها.

ليهنك أني لا أرى فيك سخطة ... وأنك قد حلت عليك المحاسن

فإنك ممن زين الله أمره ... وليس لما قد زين الله شائن

وقد كان خبر عبد الله بعد ذلك أنه شهد مع رسول- الله صلى الله عليه وسلم-

الطائف، فرمي بسهم فأصابه، فانتقض الجرح بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين ليلة، فمات على أثر ذلك الجرح، فقامت زوجة عاتكة ترثيه وتقول:

رزيت بخير الناس بعد نبيهم وبعـــــد أبي بكر ومـــا كان قصرا
فآليت لا تنفـــك عيني سخينة عليك ولا ينفـــك جلـــدي أغبرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة وما طر الليـــل الصبـــاح المنورا
فالله عيـــناً من رأى مثل لهفتي أكر وأحمى في الجهـــاد وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

وبعد وفاة عبد الله تزوجت عاتكة من عمر بن الخطاب، سنة اثنتي عشرة من الهجرة، فاحتلت عنده مكانة رفيعة، واقتبست كثيراً من علمه وزهده، وعندما قتل رضي الله عنه بخنجر أبي لؤلؤة المجوسي قامت عاتكة ترثيه وتقول:

عين جودي بعـــبرة ونحيـــب لا تملي على الإمام النجيب
قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

ثم تزوجت عاتكة بعد عمر من الزبير بن العوام – رضي الله عنه – عاشت معه إلى أن قتل الزبير غيلة يوم الجمل بوادي السباع، قتله عمرو بن جرموز سنة ست وثلاثين من الهجرة، فرثته قائلة:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقـــاء وكان غير معرد
ياعمرو لو نبهته لوجدتـــــه لا طائشاً رعش البنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله فيما مضى مما تروح وتغتدي
كم غمـــرة خاضـــها لم تثنه عنها طرادك يا ابن فقع الفدفد
والله ربـــك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمـــــد

توفيت عاتكة في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة إحدى وأربعين.(١)

(١) مصادر القصة : سير أعلام النبلاء (٦٧/١) ، الطبقات الكبرى (٣٣٢/٢) ، البداية والنهاية (٢٥/٨) ، نساء من عصر النبوة (٣٧٦/١) .

-١١٩-

أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية

كانت من الأجواد.. وكانت تطعم وتسقي من يمر بها، ولما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وكانت سنة جدبة وكان معه الصديق وعامر بن فهيرة، فمروا في طريقهم بقديد على أم معبد، فطلبوا منها لبناً، ولحماً يشترونه فلم يجدوه، فنظر إلى شاةٍ خلفها الجهد عن الغنم فسألها صلى الله عليه وسلم "هل بها من لبنٍ؟ " فقالت: هي أجهد من ذلك، فاستأذنها في حلبها، فقالت: نعم فدعا ومسح ضرعها وسمى بالله تعالى، فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم شرب صلى الله عليه وسلم ثم حلب ثانياً عللاً بعد نهل، وتركوها، وذهبوا فجاء زوج أم معبد واسمه أكثم، وقيل: خنيس، وقيل: عبد الله فأخبرته الخير فقال: هذا صاحب قريش لو رايته لأتبعته، وذكر "في شرح ذات الشفاء": روى أو نعيم وغيره أن الشاة بقيت عندهم يحلبونها ليلاً ونهاراً إلى زمان عمر رضي الله عنه وأسلمت أم معبد رضي الله عنها وأخوها حبيش بن الأشعر، واستشهد يوم الفتح: وقيل: إن زوج أم معبد لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه ورجع إلى بيته ولقيهما الزبير رضي الله نه عائداً إلى مكة فكساها ثياباً بيضاء.. توفيت أم معبد في خلافة الفاروق، وفي كلام ابن الجوزي إنها أسلمت وهاجرت وكذا زوجها.(١)

---

(١) مصادر القصة : أسد الغابة ت (٧٦٠٥) ، الاستيعاب ت (٣٦٧٧) .

-١٢٠-

عكرشة ابنة الأطروش بن رواحة

كانت فصيحة الألفاظ، رقيقة أديبة، حرة المنطق، ذات عقل وافر، جامعة بين مزيتي الشجاعة والأدب .

حضرت حرب صفين وألفت الخطب البليغة فمما قالته وهي واقفة بين الصفين تحرض جيش علي بن أبي طالب:

أيها الناس، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إن الجنة لا يرحل من أوطنها ولا يهرم من سكنها، ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها، وكونوا قوما مستبصرين في دينكم بالصبر على طلب حقكم، إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب، غلف القلوب لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه، فالله الله عباد الله في دين الله إياكم والتواكل في ذلك ينقض عز الإسلام ويطفئ نور الحق هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى، يا معشر المهاجرين والأنصار، امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير هذا وقد انكفأ عليها العسكران يقولون: هذه عكرشة بنت الأطروش فلنطرب القلوب بدر ألفاظها.

ووفدت على معاوية فسألته رد الصدقات فقالت: إن صدقاتنا كانت تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا وأنا قد فقدنا ذلك، قال: وما يصنع الوالي؟ قالت: فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير، فإن كان ذلك عن رأيك فمثلك ينبه عن الغفلة ويراجع التوبة وإن كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة.

قال معاوية: يا هذه، إنه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق، وبجور تندفق، قالت: يا سبحان الله والله ما فرض لنا حقا فيجعل فيه ضررا على غيرنا، وهو علام الغيوب.

قال معاوية: يا أهل العراق نبهكم علي بن أبي طالب فلم تطاقوا، ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وأنصفها وذهبت وهي مكرمة وبقيت عزيزة في قومها إلى أن توفاها الله تعالى.(١)

(١) مصادر القصة : العقد الفريد ١ / ٣٤١، تاريخ دمشق ٢٩٠/٦٩

-١٢١-

علية بنت المهدي

بن المنصور، من بني العباس، أخت هارون الرشيد، أديبة، شاعرة، تحسن صناعة الغناء، كان أخوها إبراهيم ابن المهدي يأخذ الغناء عنها. وكان مولدها ووفاتها ببغداد.

كانت علية بنت المهدي ، من ربات الفضل والأدب والجمال ، فهي من أجمل النساء وأطرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة، وكان في جبهتها اتساع يشين وجهها فاتخذت عصابة مكللة بالجوهر، لتستر جبينها، وهي أول من اتخذها.

قال الصولي: لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتاً مثلها، كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب، فإذا لم تصل اشتغلت بلهوها،أي الغناء ، وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره، وهي تأبى ذلك وتوفيه حقه.

أدبها وشعرها :

ولها "ديوان شعر" وفي شعرها إبداع و متعة.

تزوجها موسى بن عيسى العباسي، وهو الثابت عند الثقات من العلماء ، وقد روت بعض الكتب روايات تضطرب مع ما وصف الصولي- العباسة - وهو ثقة ، من انشغالها بالصلاة والقرآن الكريم . ولو رجعنا إلى كتب التراث والمصادر القديمة، لوجدنا فيها الكثير من الحكايات الشبيهة بهذه الحكاية، فالفضل وجعفر ابنا يحيى البرمكي أسقطا كل حاجز نفسي ومادي بينهما وبين الرشيد على اعتبار أنهما أخويه ووزيريه فأمهما هي التي أرضعت الرشيد وتسمت بأم الرشيد، ولكن الرشيد عندما شب عن الطوق وأحس بخطر المؤامرة على الدين والدولة، رجع إلى ربه

محتسبا ومعتمدا وابتعد عن مجالس آل برمك المبتذلة، ونادى أبا يوسف القاضي والليث بن سعد وغيرهما من العلماء الثقات قائلا لهم: انصحوني وقوموني، فو الله إن سيرة جدي عبد الله بن عباس ابن عبدالمطلب هي التي يهفو لها قلبي ويسعى بتطبيقها.

إن قصة زواج العباسة أخت هارون الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكي، قصة شعوبية مدسوسة، لا أساس لها من الصحة، بالرغم من أنها ذكرت في بعض المصادر البعيدة زمنيا عن عهد الرشيد معتمدة على إشاعة كاذبة راجت بعد مقتل البرامكة، والعجيب أن هذه المصادر التي ذكرتها أضافت عليها حبكة فنية قد تكون مقصودة أو غير مقصودة، وهي أن الرشيد وجعفر والعباسة يجلسون جميعا في مجلس مبتذل فيه طرب وشراب وتهتك. وألف الكتاب المتأخرون حول هذا الزواج المزعوم بين العباسة والبرمكي الكثير من القصص بعضها لمستشرقين أجانب وبعضها لعرب مثل: (قصة العباسة) للكاتب المصري جورجي زيدان (ومسرحية العباسة) للشاعر المصري عزيز أباظة، وأشار لها الأستاذ منير العجلاني في كتابه (عبقرية الإسلام) حيث يقول: (وتغلب جعفر في النهاية على أمر الرشيد، الذي كان يحبه حبا جما حتى زوجه أخته ،العباسة ـــ وكان الرشيد يحب مجلسهما كثيرا ـــ وذلك لينعم باجتماعهما في مجلس واحد).فهذا المؤرخ القديم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـــ) صاحب كتاب (الرسل والملوك) وهذا عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـــ) صاحب (المقدمة الشهيرة) التي اكتشف أهميتها الأوروبيون قبل أن نكتشفها وصاحب تاريخ (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ينفيان هذا الزواج نفيا قاطعا بالأدلة النقلية والعقلية المعروفة والمنقولة عن سيرة هذا الخليفة الهاشمي العربي المسلم ،هارون الرشيد.ولا تنس أن الوجدان الشعبي يختزن

الحقيقة والخيال والوهم والخرافة، يصطنع هذه الأمور بعد حدوث الأحداث الجسام فيختلط الواقع بالخيال والماء بالسراب. .

أما الذين ركزوا على قصة العباسة مع جعفر البرمكي ومواقعتها ، فإنهم أرادوا أن يبعدوا الناس عن حقيقة البرامكة ، وأرادوا تشويه الخليفة الرشيد ، ولم يورد المؤرخون الثقات علاقة بين العباسة وجعفر من خلال الروايات التاريخية المحققة ، على وجه الإطلاق ، ومنهم الطبري وابن خلدون وابن كثير في البداية والنهاية ، وغنما أرجعوا سبب نكبة البرامكة وما دفع الرشيد للتخلص منهم ، إلى الأسباب التالية :

١ ــ حادثة يحيى بن عبد الله الطالبي: الذي خرج إلى بلاد الديلم ودعا لنفسه هناك، وبايعه كثير من الناس، وقويت شوكته، وذلك سنة ١٧٦ هـــ، فأرسل إليه الرشيد الفضل بن يحيى، واستطاع الفضل أن يستنزل يحيى بالسلام على أمان له عند الرشيد، وذلك من غير أن تهراق نقطة دم، وعد ذلك من أفضل أعمال الفضل، وبعد فترة ظهر من يحيى ما أوجب عند الرشيد نقض الأمان، فأمر بحبسه عند جعفر بن يحيى، وفي ذات ليلة اجتمع يحيى مع جعفر، وما زال به حتى أطلقه جعفر وزوده بالمال اللازم لخروجه من بغداد، فوصل الخبر للرشيد، وكان ذلك يعد خيانة عظمى عند العباسيين لشدة خوفهم من الطالبيين، فخاف الرشيد من تآمر آل برمك مع الطالبيين من أجل إقصاء العباسيين، فأمر بقتل جعفر وحبس باقي الأسرة.

٢ ــ الترف الشديد: كان البرامكة يعيشون في ترف شديد جدًا، حتى أنهم كانوا يبنون قصورهم ويضعون على الحوائط بلاط الذهب والفضة، وبنى جعفر بيتًا له كلفه عشرين مليون درهم، وكان الرشيد في سفر ذات يوم، فلم يمر على قصر ولا إقليم ولا قرية إلا قيل له: هذا لجعفر، وعندما عاد الفضل من حربه في الديلم

أطلق لمادحيه ثلاثة مليون درهم. وهذا السرف جعل الرشيد يتابعهم في الدوواوين والكتابات، فأكتشف وجود خلل كبير في مصاريف الدولة.

٣ ــ الفضل بن الربيع: وكان من موالي العباسيين، وكان شديد العداء للبرامكة، ويقال أنه هو الذي سعى بهم عند الرشيد، وأظهر عيوبهم، وغطى محاسنهم، ووضع عليهم العيون، حتى استطاع أن يرصد حادثة هروب يحيى الطالبي عند جعفر، فأخبر بها الرشيد، وزين له أن البرامكة يريدون الخلافة للطابيين.

٤ ــ أصل البرامكة: حاول بعض المؤرخين الربط بين أصل البرامكة وهم مجوس، وبين ما حدث لهم على يد الرشيد، فيما أنهم حاولوا إظهار الزندقة، وإعادة دين المجوس مرة أخرى، وأنهم أدخلوا النار في الكعبة حتى تعبد هناك، والذي ساعد على ترويج هذه الفكرة مصاحبة جعفر بن يحيى لبعض الزنادقة أمثال أنس بن أبي شيخ الذي قتله هارون الرشيد بيده، ولكن هذا السبب بعيد المأخذ، ولا دليل عليه.

٥ ــ جيش البرامكة: ولعل هذا السبب هو الأوضح والأقوى مع حادثة يحيى الطالبي، وأصل هذا الجيش كما ذكرنا كونه الفضل بن يحيى من جند خراسان (وتلك البلاد معروفة تاريخيًا بولائها للعباسيين، ولكن ميلهم أكثر للطالبيين وآل البيت)، وتعداده خمسين ألفًا جعل ولاءه له مباشرة دون غيره، ثم استقدم منهم عشرين ألفًا لبغداد وسماهم "الكرنبية" مما حرك هواجس الرشيد، غير أنه لم يتحرك حتى جاءه خبر من والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان أن السبب في اضطراب خراسان هو موسى بن يحيى من بغداد، فتحقق الظن عند الرشيد، واجتمعت عنده كل ما سبق من الأسباب، وعندها قرر الرشيد عند رجوعه من الحج، وفي آخر ليلة من المحرم سنة ١٨٧ هـ بالإيقاع بالبرامكة، فأمر بقتل جعفر وصلبه على جسر بغداد، وحبس باقي البرامكة في السجون، والاستيلاء على أموالهم وقصورهم وكل

ما لديهم وساموهم في السجن سوء العذاب، وتبدل نعيمهم بؤسًا، وماتوا واحدًا تلو الآخر في السجون.

ولقد ظهر من يحيى بن خالد صبر عظيم ورضا بقضاء الله وقدره، ومن عجيب ما يذكر في أسباب هذه الحادثة أن يحيى بن خالد كان يحج ذات مرة، فوقف عند باب الكعبة، ودعا قائلاً: "اللهم إن كان يرضيك عني سلب جميع مالي وولدي وأهلي فافعل ذلك" فكان الأمر كما دعا هو بنفسه، والله أعلم بالعاقبة.

أما النص الذي أورده الذهبي وعمر رضا كحالة ، وغيرهما من غير تحقيق فهو ما يلي :

" أما العباسة فقد علقت جعفر، فأخذت تحتال عليه، فكتبت إليه رقعة فأزال رسومها وتهددها وعادت، فعاد بمثل ذلك فلما استحكم اليأس عليها قصدت لأمه، و لم تكن بالحازمة، فاستمالتها بالهدايا من نفيس الجواهر والألطاف وما أشبه ذلك، من كثرة المال وألطاف الملوك، حتى إذا ظنت أنها لها الطاعة كالأمة، وفي النصيحة والإشفاق كالوالدة، ألقت إليها طرفاً من الأمر الذي تريده وأعلمتها مالها في ذلك من جزيل العاقبة، ومالها من الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين، وأوهمتها أن هذا الأمر إذا وقع كان به أمان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته.

فاستجابة لها أم جعفر وودعتها أعمال الحيلة في ذلك وإنها تلطف لها حتى تجمع بينهما. فأقبلت على جعفر يوماً فقالت له: يا بني قد وصف لي وصيفة في بعض القصور من تربية الملوك قد بلغت في الأدب والمعرفة والظرف والحلاوة مع الجمال الرائع والقد البارع والخصال المحمودة ما لم ير مثله، وقد عزمت على اشترائها لك، وقد قرب الأمر بيني وبين مالكها. فاستقبل كلامها بالقبول وعلقت قلبه وتطلعت إليها نفسه، وجعلت تماطله حتى أشتد شوقه وقويت شهوته، وهو في ذلك يلح عليها. فلما علمت أنه قد عجز عن الصبر واشتد به القلق قالت له: أنا مهديتها

إليك ليلة كذا وكذا، وبعثت إلى العباسة فأعلمتها بذلك فتأهبت وسارت إليها تلك الليلة وانصرف جعفر من عند الرشيد وقد بقي في نفسه من الشراب فضلة، لمل عزم عليه فدخل مترله وسأل عن الجارية فخبر بمكانها، فأدخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها عالماً ولا على خلقها واقفاً. فقام إليها فواقعها فلما قضى حاجته قالت له: كيف رأيت حيل بنات الملوك؟ قال: وأي بنات الملوك تعنين؟ وهو لا يرى أنها من بعض بنات الملوك، فقالت: أنا مولاتك العباسة بنت المهدي. فوثب فزعاً قد زال عنه سكره وفارقه عقله، فأقبل عليها، وقال: لقد بعتني بالثمن الرخيص، وحملتني على المركب الموعر، وانظري ما يؤول إليه حالي. وانصرفت منه على حمل ثم ولدت غلاماً، فوكلت به خادما من خدمها يقال له: رياش، وحاضنة تسمى برة. فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره وجهت الصبي والخادم والحاضنة إلى مكة، وأمرتها بتربيته.

وطالت مدة جعفر وغلب هو وأبوه وإخوته على أمر المملكة، وكانت زبيدة من الرشيد بالمترلة التي لا يتقدمها أحد من نظرائها، وكان يحيى بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد، ويمنعهن من الخدم، فشكت زبيدة إلى الرشيد. فقال ليحيى بن خالد: يا أبت ما بال أم جعفر تشكوك؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، أمتَّهم أنا في حرمك وتدبير مترلك عندك؟

فقال: لا والله.

فقال: لا تقبل قولها.

قال الرشيد فلست أعاودك.

فازداد يحيى لها منعاً وعليها في ذلك غلطة، وكان يأمر بقفل أبواب الحرم بالليل، ويمضي بالمفاتيح إلى مترله. فبلغ ذالك أم جعفر كل مبلغ فدخلت ذات يوم على الرشيد، فقالت: يا أمير المؤمنين ،

ما يحملك على ما نراك تفعل من منعه إياي في غير موضعي؟

فقال لها الرشيد: يحيى عندي غير متهم في حرمي.

فقالت: إن كان كذلك ليحفظ ابنه مما ارتكبه.

فقال: وما ذاك؟

فخبرته وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر.

فسقط في يده وقال لها: هل لك على ذلك دليل وشاهد؟

قالت و أي دليل أدل من الولد؟

وقد كان ههنا فلما خافت ظهور أمره وجهته إلى مكة.

فقال لها: أفيعلم هذا أحد غيرك؟

قالت: ما في قصرك جارية إلا وقد علمت به.

فأمسك على ذلك وطوى عليه كشحاً وأظهر أنه يريد الحج.

فخرج هو وجعفر بن يحيى وكتبت العباسة إلى الخادم والحاضنة أن يخرجا بالصبي إلى اليمن. فلما صار الرشيد إلى مكة وكل من يثق به بالفحص والبحث عن أمره فوجد الأمر صحيحاً، فلما قضى حجه، ورجع أضمر في البرامكة على إزالة نعمهم، فأقام ببغداد مدة مديدة ثم خرج إلى الأنبار، فلما كان في اليوم الذي عزم فيه على قتل جعفر دعا بالسندي بن شاهك، فأمره بالمضي إلى مدينة السلام، والتوكيل بدور البرامكة، ودور كتابهم، وقراباتهم وأن يجعل ذلك سراً من حيث لا يكلم أحداً حتى يصل إلى بغداد، ثم يفضي بذلك لمن يثق به من أهله وأعوانه.

فامتثل السندي ذلك، وقعد الرشيد وجعفر عنده في موضع يعرف في الأنبار بالقمر، فأقاما يومها بأحسن هيئة، وأطيب عيش. فلما انصرف جعفر من عنده خرج الرشيد حتى ركب مشيعاً له، ثم رجع فمضى جعفر إلى منزله، وفيه فضلة

الشراب، ودعا بأبي بكار الأعمى الطنبوري، وابن أبي نجيح كاتبه، ومدت ستارة وجلس جواريه خلفها يضربن ويغنين وابن بكار يغنيه:

ما تريد الناس منا ما تنام الناس عنا

إنما همتهم أن يظهروا ما قد دفنا

وأمر الرشيد من ساعته ياسراً خادمه المعروف بوخلة فقال له: إني أندبك لأمر لم أر محمداً ولا القاسم له أهلاً ولا موضعاً، ورايتك به مستقبلاً ناهضاً، فحقق ظني وأحذر أن تخالفني. فقال: يا أمير المؤمنين لو أمرتني أن أدخل السيف في بطني وأخرجه من ظهري بين يديك لفعلت، فمر بأمرك فإني والله مسرع.

فقال: ألست تعرف جعفر بن يحيى البرمكي؟

فقال: يا أمير المؤمنين، وهل أعرف سواه أو ينكر مثل جعفر.

قال: ألم تر تشييعي إياه عند خروجه؟

قال: بلى.

قال: فامض الساعة فاتني برأسه على أي حالة تجده عليها.

فأرتج على ياسر الكلام وأخذته رعدة ووقف لا يحير جواباً.

فقال: يا ياسر، ألم أتقدم إليك بترك الخلاف علي؟

قال: بلى يا أمير المؤمنين. ولكن الخطب أجل من ذلك والأمر الذي ندبني إليه أمير المؤمنين، وددت لو أني كنت مت قبل أن يجري على يدي منه شيء.

فقال: دع عنك هذا وامض لما قد أمرتك. فمضى ياسر حتى دخل على جعفر وهو على حال لهوه.

فقال له: إن أمير المؤمنين قد أمرني فيك بكيت وكيت.

فقال جعفر: إن أمير المؤمنين يمازحني بأصناف من المزاح، فأحسب أن هذا جنس منه.

فقال: والله ما افتقدت من عقله شيئاً. ولا ظننته شرب خمراً في يومه، مع ما رأيت من عبارته.

قال له: فإن لي عليك حقوقاً أما نجد لها مكافأة ووقتاً من الأوقات إلا هذا الوقت.

قال: تحدني إلى ذلك سريعاً إلا فيما خالفت أمير المؤمنين.

قال: فأرجع إليه فأعلمه أنك قد نفذت ما أمرك به فإن أصبح نادماً كانت حياتي على يديك جارية، وكانت لك عندي نعمة مجددة، وإن أصبح على مثل هذا الرأي نفذت ما أمرت به في غد.

قال: ليس إلى ذلك سبيل.

قال: فأصير معك إلى مضرب أمير المؤمنين حتى أقف بحيث أسمع كلامه ومراجعته إياك، فإذا أبديت عذراً ولم يقنع إلا بمصيرك إليه برأسي، خرجت فأخذت رأسي من قرب.

قال له: أما هذا فنعم.

فمضيا جميعاً إلى مضرب الرشيد فدخل إليه ياسر فقال: قد أخذت رأسه يا أمير المؤمنين وهاهو ذا بالحضرة.

فقال له: إئتني به، وإلا والله قتلتك قبله.

فخرج فقال: أسمعت الكلام؟

قال نعم: فشأنك وما أمرت به، فأخرج جعفر من كمه منديلاً صغيراً فعصب به عينيه ومد رقبته فضربها وأدخل رأسه إلى الرشيد. فلما رأى الرشيد الرأس أقبل عليه وجعل يذكره بذنوبه.

ثم قال: يا ياسر أئتني بفلان وفلان. فلما أتى بهم،

قال لهم: اضربوا عنق ياسرا فإني لا أقدر أنظر إلى قاتل جعفر.

ونسبوا لأبي نواس في العباسة قوله :

ألا قل لأمين الله وابن السادة الساسة

إذا ما خالف سرك أن تفقدوه رأسه

فلا تقتله بالسيـــــــــف وزوجـــه بعباسة(١)

(١) مصادر القصة : البداية والنهاية(١٠/٢٠٤) و محاضرات الخضري ص١٢٩. و الكامل ٣٢٧/٥. وــ المنتظم ١٣٠/٩. و شذرات الذهب ٣١١/١ و أعلام النساء ٢٢٨/٣ .

-١٢٢-

فارعة ابنة أبي الصلت الثقفية أخت أمية بن أبي الصلت

كانت من أديبات العرب الشاعرات العاقلات الجميلات الهيئة والمنظر، وكانت من الصحابيات المحدثات الصادقات في الرواية أخذ عنها كثير من التابعين.

فلما مات أمية قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت: إني رأيت بينما هو راقد إذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه. فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال الذي عند رأسه للذي عند رجليه: وعى. قال: أزكا؟ قال: زكا قال: فسألته عن ذلك فقال: خير أريد بي ثم قطرت عينه ثم غشي عليه فلما أفاق قال:

كل عيش وإن تطاول دهرا ... صائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا
اجعل الموت نصب عينيك واحذر ... غولة الدهر إن للدهر غولا
إن يوم الحساب يوم عظيم ... فيه شيب الصغار يوما ثقيلا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فما أطيبه من شعر سألتك بالله أعيديه) . فأعادت عليه شعر أخيها وأنشدت شعرا يدا، فقالت:

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ... فلا شيء أعلى منك جدا وامجد
مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة حتى أتت على آخرها ثم إنها أنشدته قصيدته التي يقول فيها:

عند ذي العرش يعرضون عليه ... يعلم الجهر والكلام الخفيا

يوم تأتيه وهو رب رحيم ... إنه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ما قال فردا ... لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة أنا أرجو ... أو مهابا بما كسبت شقيا
رب إن تعف فالمعافاة ظني ... أو تعاقب فلم تعاقب بريا

وقوله:

إن تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك لا ألما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كان مثل أخيك كمثل الذي أتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين آمن شعره وكفر قلبه) فأنزل الله تعالى فيه: (واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا) (الأعراف: ١٧٥) الآية. وبقيت فارعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من نساء المعدودات بالفضائل المقدمات عند الصحابة إلى أن ماتت.(١)

(١) مصادر القصة: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٣٥٧، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٦٠/٨

-١٢٣-

فاطمة ابنة أسد

والدها : أسد بن هاشم بن عبد مناف . زوجها عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو طالب ، وهي أم ربيب النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، وأم إخوته : طالب وعقيل وجعفر ، وأم هانئ وجمانة وريطة ، وكلهم أبناء أبي طالب .لما كفل أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه أشرفت فاطمة على تربيته .

وبعد وفاة أبي طالب شرح الله صدرها للإسلام فبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت إلى المدينة .كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر زيارتها ، ويقيل في بيتها .

فرحت فاطمة بزواج ابنها علي من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاشت مع ابنها علي وزوجه في الدار ، وقال علي لأمه : لو كفيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء والذهاب في الحاجة ، وكفتك في الداخل الطحن والعجن ؟ فتراضوا على ذلك .توفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال علي بن أبي طالب : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه ، وصلى عليها ، وكبر عليها سبعين تكبيرة ، ونزل في قبرها، فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها ، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان ، وكان قد جثا في قبرها . وفي رواية : أنه اضطجع معها في قبرها .

ولما ذهب اقترب منه عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله ! رأيتك تفعل لهذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد من قبل ، فقال صلى الله عليه وسلم : (يا عمر ، إن

هذه المرأة كانت بمنزلة أمي التي ولدتني ، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود به) .وفي رواية : لما سئل عن سر صنيعه بقبرها قال : (إنه لم يكن بعد أبي طالب أبر بي منها ! إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر) .(١)

(١) مصادر القصة : المعارف ٨٨، وطبقات ابن سعد ٣/ ٤٠١٨، وتاريخ خليفة بن خياط ١٨٠، ١٩٨،

-١٢٤-

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم

ولدت فاطمة قبل ما تبني ريش الكعبة بخمس سنين وهي أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وأمها خديجة بنت خويلد وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة.

وكان يحبها أكثر من كل أولاده الطاهرين وبناته الشريفات تزوجها علي بن أبي طالب عليهما السلام في شهر رمضان من السنة الثانية للهجر وبنى بها في ذي الحجة من السنة – المكورة–.

روي عن أنس أنه قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيه الوحي، فلما أفاق قال: (يا أنس أتدري ما جاءني به جبريل عليه السلام من صاحب العرش عز وجل وعلا) . قلت: بأبي أنت وأمي ما جاءك به جبريل؟ قال: (قال لي: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تزوج فاطمة من علي فانطلق وادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعدهم من الأنصار) قال: فانطلقت فدعوتهم، فلما أخذوا مجالسهم قال صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المهروب إليه من عذابه النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه أعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد، إن الله عز وجل جعل المصاهرة نساب لاحقا وأمرا مفترضا وحكما عادلا، وخيرا جامعا أوشج بها الأرحام، وألزمها الأنام. فقال الله عز وجل: (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) (الفرقان: ٥٤) . فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي وأشهدكم أني زوجت فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة، فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم) . قال: وكان علي عليه السلام غائبا في حاجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه فيها ثم أمر لنا بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا فقال: انتهبوا فبينما نحن كذلك إذ أقبل علي فتبسم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (يا علي إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة وإني زوجتكما على أربعمائة مثقال فضة) .

فقال علي: رضيت يا رسول، ثم عن عليا خر ساجدا شكرا لله.

فلما رفع رأسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب) .

قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب.

وفي المسند عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مرحبا بابنتي) . ثم أجلسها عن يمينه وأسر لها حديثاً فبكت، فقلت: استخلصك رسول الله بحديثه ثم تبكين ثم أسر لها حديثا أيضا فضحكت.

فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فسألتها عما قيل لها، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قبض صلى الله عليه وسلم.

فسألتها فقالت: أسر إلي (أن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وأنه عارضني به في هذا العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أو أهل بيتي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك) . فبكيت، فقال: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة) .

فضحكت لذلك و لم تضحك فاطمة عليها لسلام بعد وفاة أبيها.

قال في الجمان: روي أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطت جارية لها صدقة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لها: امضي إلى السوق بها وقولي من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قبلها فأتني به فمضت الجارية إلى السوق وقالت: من يقبل صدقة بنت رسولا لله صلى الله عليه وسلم؟ فقال رجل مغربي: أنا موضع صدقة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطته الصدقة وقالت له: أجب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها نعم.

فلما بلغ الباب سألته: من أنت؟ فقال لها: أنا رجل مغربي. فقالت له: من أي المغرب؟ فقال: من البربر، فبكت فاطمة وقالت: قال لي والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي حواري وحواري ذريتي البربر سيقتل الحسن والحسين ويفر أولادهما إلى المغرب فلا يأويهما إلا البربر فيا شؤم من فعل بهم ذلك وطوبى لمن أكرمهم وأعزهم) .

وعن علي عليه السلام قال: إن فاطمة بنت رسول الله صارت إلى قبر أبيها بعد موته ووقفت عليه وبكت، ثم أخذت من تراب القبر فجعلتها على عينها ووجهها، ثم أنشأت تقول:

ما على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لوانها ... صبت على الأيام عدن لياليا

ولها عليها السلام ترثي أباها صلى الله عليه وسلم:

أغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار واظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الأحزان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان

وليبكه الطود الأشم وجوه ... والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك صنوه ... صلى عليك منزل القرآن

توفيت عليها السلام ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة وهبي بنت ثمان وعشرين سنة ودفنت بالبقيع ليلا، وصلى عليها علي- عليه السلام - وقيل: صلى عليها ونزل في قبرها هو والفضل بن العباس. وقيل: لبثت فاطمة بعد وفاة النبي عليه السلام ثلاثة أشهر. وقال عروة بن الزبير وعائشة لبثت ستة أشهر. ومثله عن ابن شهاب الزهري وهو الصحيح.

روي أن عليا عليه السلام لما ماتت فاطمة وفرغ من جهازها ومن دفنها رجع إلى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعا شديدا ثم أنشأ يقول:

أرى علل الدنيا علي كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل

وكان يزور قبرها في كل يوم فأقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى بكاء مرا وأنشأ يقول:

ما لي مررت على القبور مسلما ... قبر الحبيب فلم يرد جوابي
يا قبر ما لك لا تجيب مناديا ... أمللت بعدي خلة الأحباب

فأجابه هاتف يقول:

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم ... وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم ... وحجبت عن أهل وعن أترابي
فعليكم مني السلام تقطعت ... مني ومنكم خلة الأحباب

وأما أولادها: فالحس والحسين والمحسن، وهذا مات صغيرا وأم كلثوم وزينب وزاد الليث بن سعد رقية وماتت صغيرة لم تبلغ. ولم يتزوج علي على فاطمة، وكانت أول أزواجه عليهما السلام ونفعنا الله بهما آمين.(١)

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى(١٩/٨) ، حلية الأولياء (٣٩/٢) ، الاستيعاب (٣٦٣/٤) ، الإصابة (٣٦٥/٤) .

-١٢٥-

فاطمة ابنة الحسين

ابن علي بن أبي طالب . أمها أم إسحاق التميمية بنت طلحة بن عبيد الله وتزوج فاطمة ابن عمها حسن بن الحسن السبط فولدت عبد الله ويلقب بالمحض، وإنما سمي بالمحض لمكانه من الحسنين وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له: لم صرتم أفضل الناس؟ فقال: لأن الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد، وولدت صاحبة الترجمة للحسن المثنى إبراهيم القمر والحسن المثلث وكل منهم له عقب ومات المحض هو وإخوته في سجن المنصور العباسي، وكان موتهم سنة ١٤٥ هجري ثم مات عنها الحسن المثنى فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

وفي (الأغاني) : خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى عمه الحسين فقال: يا ابن أخي قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معي فخرج به حتى أدخله منزله فخيره في ابنتيه فاطمة وسكينة فاستحى فقال له: قد اخترت لك فاطمة بنتي فهي أكثر شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم – وكانت تشبه الحور العين لجمالها – ولما مات الحسن المثنى ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسطاطا، وكانت تقول الليل وتصوم النهار.

فلما كان رأس السنة قالت لمواليها: إذا أظلم الليل قوضوا هذا الفسطاط، فلكا أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلا يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا، ولما مات الحسن خرج بعد الله بن عمرو في جنازته فنظر إلى فاطمة حاسرة تضرب وجهها، فأرسل يقول لها: إن لنا في وجهك حاجة فارفقي به فاستحيت، وعرف ذلك منها، وخمرت وجهها، فلما حلت أرسل إليها يخطبها،

فقالت: كيف بأيماني؟ وكانت قد حلفت لزوجها أن لا تتزوج بعده فأرسل إليها يقول لها: لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شيء شيئان، فعوضها عن يمينها فنكحته وولدت له محمدا والقاسم، وكان عبد الله بن الحسن ولدها يقول: ما أبغضت بغض عبد الله بن عمرو أحدا ولا أحببت حب ابنه محمد أحدا.

وكانت فاطمة كريمة الأخلاق حسنة الأعراق. قيل: إنه لما جهز يزيد أهل البيت إلى المدينة بعد قتل الحسين أرسل معهم رجلا أمينا من أهل الشام في خيل سيرها، وصحبتهم إلى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينة: قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء؟ فقالت: والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلي. قالت: فافعلي. فأخرجت له سوارين ودملجين وبعثتا إليه بهما، فردهما وقال: لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا كفاية، ولكني والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كانت فاطمة أكبر سنا من أختها سكينة.

ومن كلام فاطمة : والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئا ولا أدركوا من لذاتهم شيئا إلا وقد ناله أهل المروءات فاستتروا بجميل ستر الله.

ومن قولها تنعي أباها:

نعق الغراب فقلت من ... تنعاه ويحك يا غراب
قال لإمام فقتل من ... قال الموفق للصواب
قلت الحسين فقال لي ... .بمقال محزون أجاب
إن الحسين بكربلا ... بين الأسنة والحراب
ثم استقل به الجنا ... ح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بي ... بعد الرضي المستجاب

وقيل: إن هذه الأبيات لفاطمة الصغرى وإنها تخلفت في المدينة فجاء غراب وتمرغ في دم الحسين ف كربلاء وطار حتى وقع على جدار فاطمة الصغرى، فرفعت طرفها ونظرت إليه وبكت بكاء شديدا وأنشأت الأبيات المذكورة.

وقال بعضهم لما زفت فاطمة بنت الحسين إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عارضها موسى شهوات فقال:

طلحة الخير جدكم ... ولخير القواطم

أنت للطاهرات من ... فرع تيم وهاشم

أرتجيكم لنفعكم ... ولدفع المظالم

وتوفيت السيدة فاطمة سنة عشرة ومائة للهجرة .(١)

(١) مصادر القصة : طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤٧. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١٨٢/٧

-١٢٦-

فاطمة بنت الخطاب

إن تاريخنا الإسلامي مليء بصور جليلة بين الجنسين، رجالاً ونساء ،حيث اتسمت فيها كل دلالات الإيمان الصادق ، وحسن النية، والذود عن الإسلام بكافة أنواع الجهاد، ومن الصور المشرفة في ذلك التاريخ العظيم الصحابية الجليلة السابقة إلى الإسلام في وقت لم فيه أي مطمع أو مغنم دنيوي في الدخول في الإسلام ، بل كان التعذيب والجفوة والمقاطعة وكثر من المعوقات في طريقه ، إنها فاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها)، وهي صحابية شاع ذكرها مع قصة إسلام أحد عظماء العالم الإسلامي عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين (رضي الله عنه). وقد قامت الباحثة بتسليط الضوء على بعض جوانب تلك شخصية العظيمة، شخصية فاطمة بنت الخطاب، وذلك ابتداء بنسبها ومروراً بصفاتها، وبقصة إسلامها، ومن مما روته عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ونهاية بما كتب فيها من شعر. فنحن بحاجة لمثل تلك الصور الرائعة الفريدة للاقتداء بها، والتمثل بخطواتها.

اسمها ونسبها (رضي الله عنها):

هي فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية ، ولقبها أميمة، و كنيتها أم جميل. وأمها حنتمة بنت هاشم بن المغيرة القرشية المخزومية. وهي أخت أمير المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)،وزوجة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. وقيل إنها ولدت لسعد بن زيد ابنه عبد الرحمن.

فاطمة بنت الخطاب(رضي الله عنها) صحابية جليلة، اتسمت بعدد من المزايا؛ منها أنها كانت شديدة الإيمان بالله تعالى وشديدة الاعتزاز بالإسلام، طاهرة القلب، راجحة العقل، نقية الفطـــــرة، من السابقات إلى الإسلام، أسلمت قديماً مع زوجها قبل إسلام أخيهـــا عمـــر(رضي الله عنه)، وكانت سبباً في إسلامه. كما أنها بايعت الرسول- صلى الله عليه وسلم- فكانت من المبايعات الأول.

دور فاطمة في قصة إسلام أخيها عمر (رضي الله عنهما):

عرف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعداوته تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه، فقد خرج عمر (رضي الله عنه) في يوم من الأيام قبل إسلامه متوشحاً سيفه عازماً على قتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فلقيه نعيم بن عبد الله، ورأى ما هو عليه من حال " فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً. قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة وقد قتلت محمدا ً؟ فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت، وتركت دينك الذي كنت عليه. قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر! إن أختك وختنك قد أسلما، وتركا دينك الذي أنت عليه.'' فلما سمع عمر ذلك غضب أشد الغضب، واتجه مسرعاً إلى بيت أخته فاطمة(رضي الله عنها)، فعندما دنا من بيتها سمع همهمة، فقد كان خباب يقرأ على فاطمة وزوجها سعيد (رضي الله عنهما) سورة "طه"، فلما سمعوا صوت عمر (رضي الله عنه) ، أخفت فاطمة (رضي الله عنها) الصحيفة، وتوارى خباب في البيت، فدخل وسألها عن تلك الهمهمة،فأخبرته أنه حديث دار بينهم. " فقال عمر- رضي الله عنه: فلعلكما قد صبوتما، وتابعتما محمداً على دينه! فقال له صهره سعيد: يا عمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك"،عندها لم يتمالك عمر نفسه، فوثب على سعيد فوطئه، ثم أتت فاطمة مسرعة محاولة الذود عن زوجها،ولكن عمر (رضي الله عنه) ضربها بيده ضربة أسالت الدم من وجهها ، بعدها" قالت فاطمة (رضي الله عنه):

يا عمر إن الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله". فعندما رأى عمر ما قد فعله بأخته ندم وأسف على ذلك، وطلب منها أن تعطيه تلك الصحيفة، فقالت له فاطمة (رضي الله عنها) وقد طمعت في أن يسلم:" إنك رجل نجس ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام مفعل ثم أخذ الكتاب فقرأ فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم. طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيل ممن خلق الأرض والسموات العلى. الرحمن على العرش استوى...) فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! ...، دلوني على محمد". فلما سمع خباب خرج من مخبئه مسرعا إلى عمر وبشره وتمنى أن تكون فيه دعوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: " اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هاشم" .

وكان الرسول- صلى الله عليه وسلم - حينها في دار الأرقم، فخرج عمر (رضي الله عنه) متجهاَ إلى تلك الدار، وقد كان متوشحاً سيفه، فضرب الباب، فقام أحد صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ونظر من الباب فرأى عمر وما هو عليه، ففزع الصحابي ورجع مسرعاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبره بما رأى، " فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لحمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه): فأذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه. فأذن له ونهض إليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى لقيه بالحجرة فأخذ مجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة. فقال عمر:" يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله" ، فلما سمع الرسول الكريم ذلك كبر تكبيرة عرف أهل البيت من صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن عمر قد أسلم.

لقد كان ذلك الموقف أحد أروع المواقف الإسلامية في تاريخ الحياة الإسلامية، وفيه يعود الفضل لفاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها) وثباتها على دينها، ودعوتها الصادقة لأخيها، الذي كانت البلاد بأجمعها تخاف من بطشه في جاهليته، ولكنها لم تخشاه قط، بل أصرت على موقفها، وكانت سبباً في إسلامه (رضي الله عنه)، وبذلك تحققت فيه دعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

رواية فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها للحديث :

"روى الواقدي عن فاطمة بنت مسلم الأشجعية، عن فاطمة الخزاعية، عن فاطمة بنت الخطاب- أنها سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم يقول:" لا تزال أمتي بخير ما لم يظهر فيهم حب الدنيا في علماء فساق، و قراء جهال، و جبابرة؛ فإذا ظهرت خشيت أن يعمهم الله بعقاب"

وبمراجعة الحديث الشريف السابق نجد فيه إشارة إلى خطورة العلماء في المجتمع ، وما يمكن أن يصنعوه من خير وتقدم إن كانوا صالحين أتقياء ، وما يجلبونه من شر وويل على الأمة إن كانوا فاسقين عصاة ، تعلقت قلوبهم بحب الدنيا ومتاعها ؛ذلك لأنهم يشكلون نخبة المجتمع وصفوته ، وبصلاحهم يصلح المجتمع ، وبفسادهم يفسد المجتمع.

مما كتب في فاطمة بنت الخطاب من شعر :

كتب عمر بن الخطاب في أخته فاطمة أبياتاً من الشعر، يصف فيها صبرها واحتسابها إلى ربها، حينما عارض عمر اعتناقها للإسلام، وذلك قبل دخوله (رضي الله عنه للإسلام):

الحمد لله ذي المنّ الذي وجبت ... له علينا أيادٍ ما لها غير
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا ... صدق الحديث نبي عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى ... ربّي عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زللٍ ... بظلمها حين تتلى عنده السّور
لما دعت ربّها ذا العرش جاهدة ... والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت أنّ الذي تدعوه خالقها ... فكاد يسبقني من عبرةٍ درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا ... وأنّ أحمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدقٍ أتى بالحق من ثقةٍ ... وافي الأمانة ما في عوده خور(١)

(١) مصادر القصة : ابن سعد ٨: ١٩٥ والسيرة النبويّة ١: ٢٧١ و ٣٦٧. و ٣٦٨

-١٢٧-

فاطمة ابنة قيس بن خالد الأكبر

ابن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشية الفهرية أخت الضاحك بن قيس قيل: كانت أكبر منه بعشر سنين، وكانت أديبة عاقلة فاضلة، ذات رأي صائب، وفكر ثاقب، وكمال باهر، وجمال ظاهر. هاجرت أول الإسلام مع من هاجر، وكانت تحت أبي حفص بن المغيرة فطلقها ثلاثا لأسباب وقعت بينهما فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم. فقالت له: ألي لي على أبي حفص نفقة؟ فقال لها: (ليس لك عليه نفقة ولا سكنى) ، فامتثلت.

وقيل: إنه لما طلقها أبو حفص خطبها معاوية وأبو جهم بن حذيفة فاستشارت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لها: (أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو حذيفة فلا يضع عصاه عن عاتقه) . وأمرها بأسامة بن زيد فتزوجته. وقيل: إنها قدمت الكوفة على أخيها الضحاك بن قيس، وكان أميرا بها من قبل عمر بن الخطاب، فلما سمع بقدومها أهل الكوفة تقاطروا عليها ومن جملتهم الشعبي وقد حدثتهم بما سمعته عن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها الشعبي جملة أحاديث.

وقيل: إنه لما قتل عمر بن الخطاب اجتمع أهل الشورى في بيتها وقضوا مآربهم في الخلافة باطلاعها وأخذوا رأيها في ذلك. وقد روت جملة أحاديث رواها عنها بعض الصحابة.(١)

---

(١) مصادر القصة : طبقات ابن سعد ٨: ٢٠٠ – ٢٠٢، تاريخ الإسلام ٢/ ٣١٠.

-١٢٨-

فاطمة بنت الوليد عتبة

بن ربيعة بن عبد شمس بن مناف القرشية العبشمية.

كانت تزوجت سالما مولى حذيفة زوجها منه عمها أبو حذيفة بن عتبة، وكانت من المهاجرات الأول ومن أفضل أيامى قريش لها عقل وكمال، وفضل وجمال. ولما قتل عنها سالم يوم اليمامة تزوجها بعده الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي. وقيل: إنها كانت في الشام تلبس الجباب من ثياب الخز، ثم تأتزر فقيل لها: ما يغنيك هذا عن الإزار؟ فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإزار. وقد روت جملة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواها عنها بعض الصحابة.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٣٩٥

-١٢٩-

فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومي أخت خالد بن الوليد

أسلمت يوم الفتح وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وهي زوج بان عمها الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ويقال: إنه تزوجها بعده عمر بن الخطاب، وقد ولدت للحارث بن هشام عبد الرحمن وأم حكيم وقد خرجت مع زوجها الحارث إلى الشام، وقد استشارها أخوها خالد في بعض أموره وذلك لوفرة عقلها وحسن تدبيرها، ولما مات عنها زوجها الحارث عادت إلى المدينة وقد تزوجها عمر بن الخطاب بعد رجوعها بقليل. وروي لها عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث رواها عنها بعض الصحابة.(١)

---

(١) مصادر القصة : أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٢٦/٧ ، الاستيعاب ت (٣٥١٤) .

-١٣٠-

فاطمة ابنة الضحاك الكلابية

كانت من النساء العاقلات الفاضلات، وهي ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة ابنته زينب. قيل: إنه خيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عند ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فكانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول: أنا الشقية اخترت الدنيا. والظاهر أن هذه الرواية باطلة لأنه جاء في الحديث الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله، وهكذا تتابع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كلهن على ذلك وقيل: كان عنده تسع نسوة حين خيرهن وهن اللاتي توفي عنهن. وروى جماعة أن التي قالت: أنا الشقية هي التي استعاذت منه. وقد اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً.(١)

---

(١) مصادر القصة : أسد الغابة في معرفة الصحابة٧/٢٢٢، طبقات ابن سعد: ٨ / ٢٢٠ – ٢٢١، تاريخ خليفة: ٩٢، المعارف: ١٤٠

-١٣١-

فاطمة ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية العبشمية

هي أخت هند بنت عتبة وهي خالة معاوية بن أبي سفيان الأموي، كانت فصيحة الألفاظ، رقيقة أديبة، حلوة المنطق، ذات عقل وافر، جامعة بين مزيتي الحسن والأدب.

أسلمت يوم الفتح وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنها أخوها أبو حذيفة بن عتبة ذهب بها وبأختها هند يبايعان رسول الله صلى الله عليه

وسلم وذلك يوم الفتح فقالت فاطمة: فلما اشترط علينا النبي صلى الله عليه وسلم.

قالت هند: أو تعلم في نساء قومك هذه الهنات والعاهات فقال: (بايعيه فهكذا يشترط) . وقيل: إن فاطمة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، قد كنت وما في الأرض قبة أحب إلي أن تهدم من قبتك وإني اليوم وما في الأرض قبة أحب إلي بقاء من قبتك فقال: (أما إن أحدكم لن يؤمن حتى أكون أحب إليه من نفسه) .(١)

---

(١) مصادر القصة : أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٢٣/٧ ، الاستيعاب ت (٣٥٠٩) .

-١٣٢-

فاطمة بنت علي

بن الحسين الواسطية الأصل، البغدادية، المدعوة ست الملوك، ابنة أبي نصر الحنبلية .

سمعت فاطمة العلم من عدد كبير من العلماء من أمثال أبي بكر محمود بن مسعود بن بهروز مسند الدارمي، والمنتخب من مسند عبد، وأجاز لها أبو الحسن محمد بن أحمد القطيعي و علي بن أبي بكر بن أبي بكر بن روزبة، و الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهرودي، و أحمد بن أبي السعود بن القميرة، وأحمد بن يعقوب المارستاني، والأنجب بن أبي السعادات الحمامي، وسعيد بن محمد بن ياسين، وعبد العزيز بن دلف، وعبد الملك بن أبي القاسم بن قينا، ومحمد بن سعيد بن الخازن، و محمد بن محمد بن السباك وعجيبة الباقدارية وحدثت.

سمع منها أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شامة، وأبو العلاء محمود بن أبي بكر الفرضي، وذكرها في معجمه، وسمع منها الأمام تاج الدين أبو الحسن علي بن سنجر بن السباك، و أبو الفضل عبد الأحد بن سعد الله بن نجيح الحرَّاني، والشيخ سراج الدين عمر بن علي القزويني، و أجازت أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الكازروني، وحدَّث عنها بدمشق وقال: هي أخت شيخنا بالسماع العدل عز الدين محمد.

شيخة جليلة، عفيفة، زاهدة من بيت عدالة، أي أن أهلها كلهم عدول تقات لم يسمع عنهم شائنة. وترى الباحثة أن ست الملوك كانت مولعة بالعلم والتعلم، وطلب العلم، يدل على ذلك كثرة شيوخها ومن تعلمت على أيديهم، وكثرة من

أجازها من العلماء والمحدثين. وترى كذلك أن ست الملوك كانت ذات سمعة طيبة بين الفقهاء والمحدثين، وكانت ثقة عدل بين العلماء؛ يدل على ذلك كثرة طلابها ومريديها من فحول العلماء، وكثرة من أجازهم، وخاصة من العلماء كالسباك، والحراني، والقزويني.

وفاتها:

"توفيت – رحمها الله – في يوم الاثنين السابع من شهر ربيع الأول سنة ٧١٠هـ ، (١٣١٠ م) ببغداد، ودفنت من الغد بمقبرة الأمام أحمد".(١)

(١) مصادر القصة : تاريخ علماء بغداد، ص٢٤٢، ٢٤٣، الأعلام، ج٥، ص١٣١. أعلام النساء، ج٤، ص٨٠.

-١٣٣-

فاطمة ابنة المجلل بن عبد الله

بن قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامرية.

وتكنى أم جميل كانت من النساء الفاضلات الأديبات العاقلات، وقد اشتهرت بالفضيلة والظرف والرقة وهي من السابقين إلى الإسلام.

تزوجها حاطب بن الحارث بن المغيرة فولدت له محمد بن حاطب والحارث بن حاطب وقد هاجرت مع من هاجروا إلى بلاد الحبشة مع زوجها حاطب.

فلما توفي زوجها في بلاد الحبشة وقدمت هي وابناها المذكوران إلى المدينة في إحدى السفينتين اللتين قدمتا إليها من الحبشة، وقيل: إنها لما قدمت من أرض الحبشة وفدت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنها فقالت: يا رسول الله، هذا ابن أخيك حاطب وقد أصابه هذا الحرق من النار فادع الله له فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالشفاء فشفي.(١)

---

(١) مصادر القصة : أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٢٥/٧

-١٣٤-

فاطمة ابنة عبد الملك بن مروان

كانت فصيحة زمانها وأديبة عصرها وأوانها، ذات جمال رائق، وحسن فائق، ودين وورع لم يسبق إليه أحد من نساء بني أمية. تزوجت بعمر بن عبد العزيز الأموي قبل أن يتولى الخلافة فغمرها بأمواله وأقنعها بنواله، وهي لم تكن بأقل منه مالا وقد عاشا في مبدئهما عيشة الرفاهية والتنعم ولما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رأى أن عبأها ثقيل لا حمله عاتقه.

قال لفاطمة: إن أردت صحبتي فردي ما معه من مال وحلي وجواهر إلى بيت مال المسلمين فإنه لهم وإني لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيت واحد. فردته جميعه ول تبق لها منه خلال إبرة.

وبقيت معه في عيشة التقشف والضيق مع اتساع الخلافة والملك إلى أن مات، فلما انتقلت الخلافة إلى أخيها يزيد بن عبد الملك قال لها: إن عمر قد ظلمك في مالك وإني رددته إليه فخذيه. قالت: كلا والله لا آخذه فما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتاً. فأخذه يزيد وفرقه على أهله وبقيت فاطمة في حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت بزوجها عمر – رضي الله عنه.(١)

---

(١) مصادر القصة : تاريخ الإسلام ٣/٢٩٥ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٢٢٤ و ٣٩٣

-١٣٥-

فاطمة أم الخير بنت علي المعروفة ببنت زعبل

كانت أوحد أهل زمانها بعلم الحديث،ولها مشاركة بالفقه والنحو والفرائض، وروت صحيح مسلم، كذا ذكره اليافعي، وكانت تتميز بالمسند والمرفوع والمتصل والمعنعن والمرسل والمتقطع والموضوع والمتواترة والغريب والمصحف والمسلسل.(١)

(١) مصادر القصة : الروضة الفيحاء في أعلام النساء ٨٣/١

-١٣٦-

فاطمة ابنة جمال الدين سليمان

فاطمة ابنة الشيخ الإمام المقرئ المحدث جمال الدين سليمان بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن أبي القاسم الأنصاري الدمشقي.

كانت من النساء العالمات العاقلات المحدثات الصادقات في الرواية أخذت الحديث عن والدها وعن أجلاء عصرها وقد أخذ عنها الحديث جملة مثل الصفدي وخلافه وأجازها معظم علماء القرن السابع للهجرة من الشام والعراق والحجاز وفارس وغيرها وكانت ولادتها في سنة ٦٢٠ هجرية، وتوفيت في سنة ٧٠٨ هجرية، وكانت ذات ثروة وافرة تمكنت منها بأعمال خيرات ومبرات ومدارس وبمارستانات وتكايا، وأوقفت لتلك المحلات الخيرية أوقافا، ورتبت لمستخدميها رواتب حتى باهت بأفعالها الخيرية أعاظم رجال ونساء عصرها - رحمها الله تعالى.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٣٦٦

-١٣٧-

فاطمة الفقيهة ابنة علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي

كانت من الفقيهات العالمات بعلم الفقه والحديث أخذت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون. وكان لها حلقة للتدريس وقد أجازها جملة من كبار القوم، وكانت من الزهد والورع على جانب عظيم تزوجت بفخر الأنام العالم العلامة علاء الدين القاشاني ومكثت عنده زمنا طويلا، وقد ألفت المؤلفات العديدة في الفقه والحديث وانتشرت مؤلفاتها بين العلماء والأفاضل، وكانت معاصرة للملك العادل نور الدين الشهيد وطالما استشارها في بعض أموره الداخلية وأخذ عنها بعضا لمسائل الفقيهة وكان دائما ينعم عليها ويعضد مسعاها.

وقد توفيت بمدينة حلب ودفنت في مقبرة من قبور الصالحين وقبرها هناك مشهور بقبر المرأة وزوجها لأنها دفنت بعد وفاته بجانبه.(١)

---

(١) مصادر القصة : : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٣٦٧

-١٣٨-

فاطمة النيسابورية رضي الله عنها

كانت من ذوي الزهد والورع ولابسات المسوح حجت جملة مرار من بيت المقدس إلى مكة وهي ماشية على قدميها، وكانت معاصرة لذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي وكان ذو النون المصري – رضي الله عنه – يقول: فاطمة أستاذتي.

وكانت تقول: من لم يراقب الله تعالى في كل حال فإنه ينحدر في كل ميدان ويتكلم بكل لسان، ومن راقب الله في كل حال أخرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص له.

وكانت تقول: من عمل لله على مشاهدة الله إياه فهو مخلص، وكان أبو يزيد البسطامي يقول عنها: ما رأيت امرأة مثل فاطمة

ما خبرتها عن مقام إلا كان الخبر لها عبانا.

ماتت في طريق العمرة بمكة سنة ثلاث وعشرين ومائتين.(١)

---

(١) مصادر القصة : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٣٨/٢ ، الطبقات الكبرى للشعراني ٥٦/١

-١٣٩-

فضة النوبية

هي جارية السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت من النساء العاقلات الصادقات وقد اشتهرت بالفضيلة. وقيل" عن أبي العباس في قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) [الإنسان: ٧-٨] قال: مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما صلى الله عليه وسلم وعادهما عامة العرب فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك نذراً.

فقال علي:

إن برءا مما بهما صمت لله -عز وجل- ثلاثة أيام شكراً. وقالت فاطمة: كذلك، وقالت جاريتهما فضة النوبية: إن برأ سيداي صمت لله -عز وجل- شكراً، فلبس الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق علي إلى شمعون الخبيري فاستقرض منه ثلاثة آصع من شعير فجاء بها فوضعها فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أتى المترل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف على الباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من أولاد المسمين أطعموني أطعمكم الله -عز وجل- على موائد الجنة فسمعه علي فأمرهم بإعطائه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة إلى الصاع وخبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم يتيم فوقف بالباب وقال:

السلام عليكم أهل بيت محمد يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطعموني فأعطوه الطعام فمكثوا يومين و لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الصاع الباقي فطحنته وأختبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت النبوة تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا، أطعموني فإني أسير، فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما بهم من الجوع فأنزل الله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) [الإنسان: ١] إلى قوله (لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً) [الانسان: ٩] .

ومن ذلك يعلم أن المترجمة ساوت نفسها بسيدتها فاطمة الزهراء، فنالت بذلك فخراً لم ينله غيرها من نساء العرب وبقيت بخدمة هذا البيت حتى توفاها الله رضي الله عنها.(١)

---

(١) مصادر القصة : : البداية والنهاية ٣٥١/٥ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٣٠/٧

-١٤٠-

كبشة بنت رافع

كبشة بنت رافع واحدة من المسلمات المجاهدات اللاتي رافقن الرسالة النبوية الشريفة منذ أن أشرقت أنوارها في المدينة المنورة.

وهذه الصحابية الجليلة قدمت للإسلام خدمات عظيمة، ففي بيتها ترعرعت نواة الإسلام ، ومن ثنايا دارها فاحت روائح الطيب في المدينة المنورة كلها ، فانتشر فيها الإسلام ، فكانت بركة وخيراً في الدنيا كلها.

وهذه الصحابية الكريمة هي أم سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته. نعم هي أم من حكم بحكم الله من فوق سبع سموات.

وكانت كبشة زوجة لمعاذ بن النعمان من بني الأشهل، وقد ولدت له سعداً وعمراً وإياساً وأوساً وعقرب وأم حزام.

أسلمت كبشة ، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لها أثر كبير في تاريخ نساء الإسلام ، وقد أثرت التاريخ بمواقف رائعة جعلتها من الأوائل في عالم نساء الصحابة ، فما أن سطعت شمس الهداية ، وأشرقت المدينة بنور الإسلام حتى سارعت كبشة – أم سعد – لتساهم بدورها في نصرة الإسلام مهما كلفها ذلك من ثمن.

لقد كانت أم سعد رضي الله عنها من السابقات في مضمار الخير ، حيث كانت أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم مع أم عامر بنت يزيد بن السكن ، وحواء بنت يزيد بن السكن.

لقد كان لها رضي الله عنها وقفات إيمانية تدل على جهادها وصبرها ، فقد خرجت في غزوة أحد مع من خرج من النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله صلى

الله عليه وسلم – بعد أن وردت الأخبار إلى المدينة باستشهاد عدد من المسلمين ، وكان من بينهم ابنها عمرو بن معاذ رضي الله عنه لكن الأم المجاهدة كانت ترجو سلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبلت مسرعة نحو أرض المعركة ، فلما علمت بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمدت الله تعالى واعتبرت مصيبتها هينة.

وكان عمرو بن معاذ رضي الله عنه يجالد في صفوف المشركين حتى لقيه ضرار بن الخطاب فقتله وكان يومئذ ما يزال على شركه.

ومن مواقف الصبر والجهاد لهذه الصحابية الجليلة موقفها يوم الخندق حين كانت مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما في حصن بني حارثة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين خرجوا إلى الخندق قد رفعوا الذراري والنساء في الحصون مخافة العدو عليهم ، قالت عائشة رضي الله عنها : فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة – قصيرة – قد خرجت منه ذراعه كلها ، وفي يده حربة يرفل بها وهو يرتجز بيتاً من الشعر لحمل بن سعدانة الكلبي ويقول :

لبثت قليلاً يشهد الهيجا حَمَل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت أم سعد رضي الله عنها : الحق يا بني فقد والله أخرت ، وبهذه الكلمات تظهر لنا شجاعة أم سعد وحرصها على ابنها أن لا تفوته لحظة دون أن يحظى بمعية رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

---

(١) مصادر : الطبقات الكبرى (١٢/٨).

-١٤١-

كريمة بنت محمد بن حاتم

جاوزت بمكة المكرمة وروت صحيح البخاري عن الكشميهني وروايتها من أصح روايات البخاري، وروت عن زاهر السرخسي، وكانت تصنف كتبها وتقابل بنسخها وهي في الفهم والنباهة وحدة الذهن بحيث ترحل إليها أفضل العلماء، وكان لها مجلس بمكة المكرمة تجتمع فيه الطلبة والأفاضل من رجال كل علم وهي تلقي على كل نوع مما يطلبه فصيحة المأخذ مفهومة المعنى، وكان أكثر ميلها إلى الحديث حتى بلغت فيه حداً لم يبلغه غيرها ولم تتزوج قط وبلغ عمرها ١٠٠ سنة، وتوفيت بمكة المكرمة.(١)

---

(١) مصادر القصة : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٤٥٨

-١٤٢-

أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب

لبابة بنت الحارث ، هي زوج العباس بن عبد المطلب ، عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأم أولاده الرجال الستة النجباء الذين لم تلد امرأة مثلهم وهم : الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، ومعبد ، وقثم ، وعبد الرحمن.

وفيها قال عبد الله بن يزيد الهلالي :

ما ولـــدت نجيبة مـــن فحل بجبـــل نعلـــمه وسهـــل

كســـته من بطن أم الفـــضل أكرم بها من كهلة وكهل

عم النبي المصطفي ذي الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل

أسلمت أم الفضل قبل الهجرة ، وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وكان ابنها عبد الله يقول : كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان.

كانت أم الفضل رضي الله عنها شجاعة في الحق لا تخشى لومة لائم ، والموقف الآتي يصور لنا ذلك : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس ، وكان الإسلام فأسلم العباس سراً ، وأسلمت أم الفضل، وكان العباس يهاب قومه.

وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلاً.

فلما جاء الخبر من مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه، فوجدنا في أنفسنا قوة وعزاً قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، أعمل الأقداح أنحتها في حجرة

زمزم ،فوالله إني لجالس وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرنا ما جاءنا من الخير، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس. فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم. فقال أبو لهب: هلم إلي، فعندك لعمري الخبر، فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف أمر الناس ؟ فقال أبو سفيان : والله ما هو إلا أن لقينا القوم حتى منحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ، ويأسروننا كيف شاؤوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين الناس ، والأرض والله لا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة ! فرفع أبو لهب يده فضرب بها في وجهي ضربة شديدة، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده !! فقام أبو لهب مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة – وهي بثرة تخرج بالبدن فتقتل وهي تشبه الطاعون – فقتلته.

ومن أخبار أم الفضل رضي الله عنها ما رواه ابن سعد في طبقاته والترمذي في سننه أن أم الفضل رضي الله عنها رأت في منامها حلماً عجيباً فذهبت لتوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله، رأيت فيما يرى النائم كأن عضواً من أعضائك في بيتي !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خيراً رأيت ، تلد فاطمة غلاماً وترضعينه بلبان ابنك قثم.وخرجت أم الفضل بهذه البشرى الكريمة، وما هي إلا فترة وجيزة حتى ولدت فاطمة الحسين بن علي رضي الله عنهما فكفلته أم الفضل. قالت أم الفضل: فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يتريه ويقبله، إذ بال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أم الفضل أمسكي ابني فقد بال علي).

قالت: فأخذته، فقرصته قرصة بكى منها، وقلت: آذيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلت عليه، فلما بكى الصبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أم الفضل آذيتني في بني، أبكيته).

ثم دعا بماء، فحدره عليه حدراً، ثم قال: إذا كان غلاماً فاحدروه حدراً، وإذا كان جارية فاغسلوه غسلاً).

ومن أخبار أم الفضل وفيها دلالة على حكمتها أن ناساً من الصحابة تماروا يوم عرفة في صوم النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: وهو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم. فأرسلت أم الفضل إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره حصل عند القوم.

توفيت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى (٢٧٧/٨) ، سير أعلام النبلاء (٣١٥/٢) ، حياة الصحابة (٣٦٥/٤) ، نساء حول الرسول: ص٢٤٨ .

-١٤٣-

ماجدة القرشية

كانت من المتعبدات الصالحات الزاهدات القائمات الليل الصائمات النهار. وكانت -رضي الله عنها- تقول ما حركة تسمع ولا قدم توضع إلا ظننت أني أموت في أثرها. وكانت تقول: يا لها من عقول ما أنقصها سكان دار أوذنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون في المهلة كأن المراد غيرهم والتأذين ليس لهم ولا عنى بالأمر سواهم، وكانت تقول لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنة ورضا الرحمن إلا بتعب الأبدان.

-١٤٤-

مارية القبطية

بنت شمعون رضي الله عنها .

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام ، وكان حاطب بن بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ، فكان رد المقوقس على الرسالة : أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت من ذكرت وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقي

وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبكسوة ،ومطية لتركبها ، والسلام عليك .

وعاد حاطب إلى المدينة بكتاب المقوقس ، مصطحباً معه مارية ، وأختها سيرين ، وعبداً خصياً يدعى (مابور) ، وألف مثقال ذهباً ، وعشرين ثوباً ليناً من نسيج مصر ، وبغلة شهباء اسمها (دلدل) ، وجانباً من عسل (بنها) ، وبعض العود والمسك والند .

اصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه مارية ، ووهب أختها سيرين لشاعره حسان ، ووزع باقي الهدايا ، وأنزل مارية في العالية ، في مشربة أم إبراهيم.

أسلمت مارية وأختها سيرين ، وضرب عليها الحجاب ، ولم يكن لها هم إلا إرضاء سيدها صلى الله عليه وسلم .

وغدا تردد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العالية حيث تقيم مارية ومكوثه الطويل لديها يثير غيرة نسائه .

وزفت مارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها حامل ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتهم المنافقون مارية في طهارتها ، وقالوا :علج يدخل على علجة ، والمقصود (مابور) ، فاستدعى النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، روى البزار عن علي قال : كثر على مارية أم إبراهيم في قبطي ابن عم لها ، كان يزورها ويختلف إليها ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خذ هذا السيف فانطلق به ، فإن وجدته عندها فاقتله) ، قال : قلت : يا رسول الله ، أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة للمحمّاة ، لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به ، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال : (بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب) ، فأقبلت متوشحاً السيف فوجدته عندها ، فاخترطت السيف ، فلما رآني أقبلت نحوه عرف أني أريده ،فأتى نخلة فرقي ، ثم رمى بنفسه على قفاه ، ثم شغر برجله ، فإذا هو أجب أمسح ، ما له قليل ولا كثير ، فغمدت السيف ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : (الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت) .

وروى البزار عن أنس قال : لما ولد إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية جاريته ، وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى أتاه جبريل فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

وقال قائل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلق إلى مولاته ، فقال صلى الله عليه وسلم : (أعتقها ولدها) .

ولما بلغ إبراهيم من العمر سنتين مرض مرضاً شديداً فأرسلت مارية إلى أبيه حتى يراه ، يقول أنس : لقد رأيته- أي إبراهيم- وهو يكيد نفسه ، وهو في الترع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال : (تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا مايرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون) .

وودعت مارية وحيدها وهي تردد : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وعاشت مارية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس سنوات ، ففي سنة ست عشرة للهجرة ، وفي خلافة عمر بن الخطاب أسلمت أم إبراهيم روحها إلى بارئها فحشد الناس لجنازتها ، ثم صلي عليها ، ودفنها بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .(١)

(١) مصادر القصة : الاستيعاب (٣٩٦/٤) ، الإصابة (٣٩١/٤) ، السمط الثمين : ص١٦٢

-١٤٥-

ماشطة ابنة فرعون

هذه قصة امرأة علم الرسول ﷺ علمها عندما عرج إلى السموات العلا فى ليلة الإسراء ، فقد تنسم الرسول ﷺ فى عروجه نسمات طيبه هبت عليه ، فسأل جبريل عن مصدرها ، فأخبره أ، هذه الرائحه الطيبه تنبعث من ماشطة ابنة فرعون ومن أولادها .

كانت هذه المرأة تعيش فى قصر الملك ، وكانت تعنى بابنته ، فتمشط شعرها وتقوم على أمرها ، ومن كان هذا عمله لا بد أن يكون مكرماٍ معززاً مرفهاً، ولكن الإيمان غزا قلبها ، وملك عليها امرها ، كما غزا قلب الملكه زوجة فرعون ، وقد كتمت هذه المرأة ايمانها كما كتمته زوجة فرعون ، وكتمه مؤمن آل فرعون .

ولكن مهما حاول المرء أن يكتم ما يجرى فى أعماق نفسه ، فلا بد أن تدل عليه تصرفاته ، وسمته وحركاته ، وأقواله ، ففى بعض الأوقات يغفل الإنسان عن نفسه ، فيتصرف علي سجيته . وقد حصل هذا لهذه المرأة الصالحة ، فقد سقط منها المدرى ـــ المشط ـــ عندما كانت تسرح لأبنة فرعون شعرها ، فقالت بسم الله وعجبت ابنة فرعون لمقالتها وكانت جاهلة مغترة بابيها ، تعتقد فيه ما ادعاه زوراً وكذباً من الألوهية والربوبيه ، فقالت لها مستفهمه : أبى ؟ فقالت : ربى ورب ابيك الله . عند ذلك قالت لها : اخبره بذلك ؟ تسالها إن كانت توافق اخبار الملك بإيمانها بالله ، وخروجها عن الوهية الملك ، فقالت : نعم . واخبرت الفتاة المغرورة اباها الجبار الطاغية بما كان من شأن ماشطتها ، فدعاها واستعلم منها ،

فصدقته القول ، وان الله هو ربها وربه . فما كان من ذلك الطاغية الا ان استعمل وسيلة من الوسائل التى كان قد اعدها لمن يخرجون عن ألوهيته وربوبيته ، فقد جاء بأداة مصنوعة على شكل بقرة ، فاشعلت تحتها النار حتى حميت ، ثم أمر أن تلقى وأولادها فى جوف هذه البقرة النحاسية ، بعد ان اصبحت فرناً ذا حرارة شديدة هائلة . فطلبت منه طلباً وهو أن يجمع بقاياها المحترقة وبقايا اولادها فى ثوب ثم تدفن بقايا الأجساد المحترقة ، وقد وعدها بتحقيق مطلبها .

أمر الطاغية برمى أولادها فى جوف ذلك الآتون المشتعل واحداً فى إثر واحد قبل أن يقذف بها فيه ، و لعله أراد بذلك أن ترجع عن دينها ، وهى تري كيف تفعل النار بهم قبلها ، ولعله أن أراد أن يزيد من عذابها برؤيتها أولادها . يحترقون بين يديها ، والمراة رقيقة فى طبعها ، ولذا تؤذيها رؤية المناظر البشعة كالإحراق بالنار وسفك الدماء ، ويزيد من ألمها أن يكون الذين يعذبون ويقتلون هم أولادها ، فالأم فى هذه الحال يتصدع قلبها ، وتنفطر مرارتها ، ولكن هذا الموقف الذى وقفته ، وهذا الصبر والتجلد الذى تحلت به يدل علي ذلك المستوى الإيمانى الذى بلغته تلك المرأة ، ولذا لم يكن عجباً أن يفوح عطرها وعطر أولادها وشذاهم هناك في السموات وأن يجده الرسول ﷺ ويلفت نظره في رحلته في السموات العلا وأن يعلم خبرها في تلك الرحلة ، إنها عظيمة في عند الله ، فبمقدار هوانها على فرعون وجنده عظمت عند الله وملائكته . وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن تلك المرأة رق قلبها وتألمت ألماً شديداً عندما جئ بابنها الرضيع ليقذف به في النار ، وأكثر ما تكون المرأة شفقة ورقة عندما يصاب ابنها الرضيع بما يؤذيه في هذا السن ، فكأنها تقاعست وفكرت بالنكوص ، فثبتها الله بابنها ، فانطقه الله لها ، ليزيد ايمانها وليدلل لها علي صدق موقفها ، فقال لها : يا أمه ، اقتحمي ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الاخرة . وهنا لم تنتظر منهم أن يقذفوها في النار بل اقتحمت

بنفسها النار ، والقت بها وذلك الاتون المستعمر ولا شك أن رائحة جسدها المحترق وأجساد أولادها كانت تفوح شأنها شأن اللحم عندما يوضع في الفرن فيحترق ، ولذلك كان من اكرام الله لها أن جعل لها عطراً مميزا يفوح في السموات

هذه قصة ماشطة ابنة فرعون ، والتي رواها أحمد في مسنده [١]عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " لما كانت الليلة التي اسرى بي فيها أتت علي رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها . قال: قلت : وما شأنها ؟ قال : بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المدري من يديها ، فقالت : بسم الله ، فقالت لها ابنة فرعون أبي ؟ قالت : لا ، ولكن ربي ورب أبيك الله فقالت : أخبره بذلك ؟ قالت نعم فأخبرته ، فدعاها ، فقال : يا فلانة ، وإن لك رب غيري ؟ قال : نعم ربي وربك الله ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها أن تلقي هي وأولادها فيها ، قالت له : إن لي اليك حاجة ، قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد ، وتدفننا ، قال : ذلك لك علينا من الحق قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً الي أن انتهي ذلك الي صبي لها مرضع ، وكأنها تقاعست من أجله ، قال : يا أمه اقتحمي ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الاخرة فاقتحمت. (٢)

---

(١) أخرجه أحمد (٣٠٩/٣).

(٢) صحيح القصص النبوي للأشقر ص٢٨٩

-١٤٦-

معاذة بنت عبد الله

السيدة العالمة .أم الصهباء ، العدوية ، البصرية ، العابدة. زوجة السيد القدوة صلة بن أشيم .

لما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله بيت العروس بيتاً مطيباً فقام يصلي فقامت تصلي معه ، فلم يزالا يصليان حتى برق الصبح ، قال : فأتيته فقلت له : أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقمت تصلي وتركتها ؟ قال: إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتي فيهما حتى أصبحت .

البيت الذي أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس .

بلغنا أنها كانت تحيي الليل عبادة ، وتقول : عجبت لعين تنام ، وقد علمت طول الرقاد في ظلم القبور .

ولما استشهد زوجها صلة وابنها في بعض الحروب ، اجتمع النساء عندها ، فقالت: مرحباً بكن إن كنتن جئتن للهناء ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن .

وكانت تقول : والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى ربي بالوسائل ، لعله يجمع بيني وبين أبي الشعثاء وابنه في الجنة .

لما حضر معاذه العدوية الموت بكت ثم ضحكت . فقيل لها . مم بكيت ثم ضحكت ؟ فمم البكاء ومم الضحك ؟ قالت : أما البكاء الذى رأيتم ، فإنى ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر ، فكان البكاء لذلك . وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهباء . وكان زوجها ، وقد مات قبلها قد

أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوان ، وهو فى نفر ، والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبهاً ، فضحكت إليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضاً . قال فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة.

روت عن علي بن أبي طالب ، وعائشة ،وهشام بن عامر ، حدث عنها أبو قلابه الجرمي ، ويزيد الرشك ، وعاصم الأحول ، وعمر بن ذر ، واسحاق بن سريد ، وأيوب السختياني ، وآخرون ، وحديثها محتج به في الصحاح ، وثقها يحيي بن معين .

توفيت سنة ثلاث وثمانين .(١)

(١) مصادر القصة : صفة الصفوة (٢٢/٤) .

-١٤٧-

مريم ابنة عمران

ابن ساهم بن أمود بن منشا بن حزقيا بن أحرنق بن يوثان بن عزازيا بن أنصيا بن ناوس بن نوثا بن بارض بن ﻫناساط بن رادم بن ايبا بن رجعم بن سليمان بن داود عليهما السلام.

كان زكريا بن يوحنا وعمران بن ساهم متزوجين بأختين إحدهما: عند زكريا وهي "أليصابات" بنت فاقود أم يحيى. والأخرى: عند عمران وهي حنة بنت فاقود أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت، وكانوا أهل بيت بمكان فبينما هي في ظل شجرة إذ نظرت طائراً يطعم فرخاً فتحركت عند ذلك شهوتها للولد، ودعت الله تعالى أن يهب لها ولداً وقد نذرت على نفسها إن رزقها الله بولد تتصدق به على البيت المقدس، فيكون من خدمته، ورهبانه، فتقبل الله دعاءها وحملت بمريم فحررت ما في بطنها.

ولكن لم تعلم ما هو فقالت: رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً عن الدنيا وأشغالها خالصاً لك وخادماً لبيتك المقدس.

فقال لها زوجها: ويحك، ماذا صنعت إن كان في بطنك أنثى لا تصلح لذلك فوقعا جميعاً في وهم من ذلك وفي حالة توفي زوجها عمران.

فلما أتمت مدة حملها وضعت جارية فقالت: (ربي إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) (آل عمران: ٣٦) في خدمة بيتك المقدس (وإني سميتها مريم) (آل عمران: ٣٦) وكانت مريم أجمل النساء وأفضلهن

وأحسنهن، وأنبتها الله نباتاً حسناً. وكانت أخذتها أمها ولفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار كما نذرت على نفسها وقالت لهم:

دونكم هذه النذيرة. فتنافس فيها الأحبار وكل منهم أراد أخذها وقال لهم زكريا -وكان أكبرهم-: أنا أحق بها منكم لأن عندي خالتها.

فقالت له الأحبار: لا نفعل ذلك ولا نسلمها إليك ولكن نقترع عليها ومن خرج سهمه أخذها فاقترعوا فطلعت من سهم زكريا، فأخذها وكفلها وضمها إلى خالتها أم يحيى واسترضعت منها حتى بلغت مبالغ النساء وبنى لها محراباً في المسجد وجعل بابه مرتفعاً لا يرتقى إليها إلا بسلم فلا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها في كل يوم وكان إذا خرج من عندها أغلق بابها فإذا دخل عليها وجد عندها رزقاً -أي فاكهة- فيقول لها: من أين أتى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله.

فلما ضعف زكريا عن حملها خرج إلى قومه وقال لهم: إني كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي ويقوم بأداء خدمتها كما كنت أفعل بها. فقالوا: لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فلم نجد من يحملها فتقارعوا عليها بالسهام فخرجت سهم رجل صالح نجار يقال له: يوسف بن يعقوب بن ناثان وكان ابن عمها فتكفل بها وحملها فقالت له مريم: يا يوسف، أحسن الظن بالله سيرزقنا من حيث لا نحتسب فجعل يوسف يرزقه الله برزق حسن ويأتي كل يوم لها بما يصلحها من كسبه فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق فتقول له: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

فلما بلغت من العمر خمس عشرة سنة وهي إذ ذاك في خدمة البيت المقدس، وكان اعتراهم يوم شديد الحر نفد فيه ماؤها فأخذت قلتها وانطلقت إلى العين التي فيها الماء لتملأها منها.

فلما أن أتت إلى العين وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشراً سوياً فقال لها: يا مريم، إن الله بعثني إليك لأهب لك غلاماً زكياً. قالت: أعوذ بالرحمن منك إنك

كنت تقياً. قال لها: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً. قالت: (أنى يكون لي غلام و لم يمسسني بشر و لم أك بغياً) (مريم: ٢٠) قال: (كذلك قال ربك هو على هينٌ) (مريم: ٢١) . فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت وضعته إليه.

فلما انصرفت عنها لبست درعها فحملت بعيسى بإذن الله، ثم ملأت قلتها وانصرفت إلى مسجدها، فلما ظهر عليها حملها كان أول من أنكر عليها ذلك ابن عمها يوسف النجار واستعظم ذلك الأمر و لم يدر ماذا يصنع، وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة وإذ أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه وأعياه الأمر كلمها وقال لها: إنه قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري. فقالت له: قل قولاً جميلاً.

قال لها: أخبريني يا مريم هل نبت زرع من غير بذر. قالت: نعم. قال: هل نبتت شجرة من غير غيث. قالت: نعم. قال: فهل يكون ولد من غير ذكر.

قالت: نعم، ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعدما خلق كل واحد منهما على حدته. أو تقول: إن الله لا يقدر أن ينبت شجراً حتى استعان بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته فقال لها يوسف: نعم، إن الله قادر على كل شيء وقادر على أن يقول للشيء كن فيكون. فقالت له مريم: أمل تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى؟ قال: بلى.

فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها من أمر الله وأنه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك، ثم تولى خدمة المسجد وكفاها كل

عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وضعف قوتها. فلما أثقلت مريم ودنا نفاسها خرجت من المسجد على

بيت خالتها لتلد فيه. فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها وأدخلتها ثم قالت لها: يا إلى مريم، شعرت أني حاملة وأنك أنت أيضاً حاملة مثلي فإني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك.

ولما أقامت في بيت خالتها أوحى الله إليها إنك إن ولدت بجهة قومك قتلوك أنت وولدك فاخرجي من عندهم. فأخذها يوسف النجار ابن عمها وخرج بها هارباً وقد حملها على حمار حتى أتى قريباً من أرض مصر أدركها النفاس فألجأها إلى أصل نخلة وكان ذلك في زمن الشتاء، وكانت هذه النخلة يابسة ليس لها سعف ولا كراسيف وهي في موضع يقال له بيت لحم. قال: فلما اشتد الأمر بمريم تضرعت على ربها و (قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) (مريم: ٢٣) ، فنوديت أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا (وهزي غليك بجذع النخلة تسقط عليك رطباً جنياً) (مريم: ٢٥) .

فلما ولدت ونزل الغلام من بطنها ناداها وكلمها بإذن الله تعالى. وقد أجرى الله لها نهراً من ماء عذب بارد ولما يسر الله لها أسباب ولادتها رجعت به إلى قومها وكانت قد غابت عنهم أربعين يوماً فكلمها عيسى في الطريق فقال: يا أماه أبشري فإني عبد الله، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وقالوا: (يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كنت أمك بغياً) (مريم: ٢٨) فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم إلى الصبي أن كلموه. فغضبوا وقالوا: (كيف نكلم من كان في المهد صبياً) (مريم: ٢٩) فقال عند ذلك الصبي وهو ابن أربعين يوماً (إني عبد الله ءاتني الكتب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً

أين ما كنت وأوصاني بالصلوة والزكوة مادمت حياً وبراً بوالدتي و لم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) (مريم: ٣٠-٣٣) .

فلما شاع خبره بين قومه أراد "هيردوس" ملكهم أن يهم بقتله فأخدهما يوسف النجار وهرب إلى مصر، فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحاصادين إلى أن بلغها أن "هيردوس" الملك قد مات فرجعت هي وابن عمها يوسف النجار إلى أن أتوا إلى جبل يقال له: الناصرة فسكنوا فيه إلى أن بلغ ولدها من العمر ثلاثين سنة، ثم خرجوا إلى قومهم وقيل: إن وفاتها قبل رفع ولدها عيسى -عليه السلام- بست سنين.

-١٤٧-

ميمونة بنت الحارث الهلالية

أم المؤمنين ، بنت الحارث بن حزن الهلالية. زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخت أم الفضل زوجة العباس ، وخالة ابن عباس .

تزوجها أولاً مسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام ، ففارقها . وتزوجها أبورهم بن عبد العزى ، فمات . فتزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم في وقت فراغه من عمرة القضاء سنة سبع في ذي القعدة . وبنى بها بسَرِف- أظنه المكان المعروف بأبي عُروة- وكانت من سادات النساء ، وروت عدة أحاديث.

قال مجاهد : كان اسمها بَرَّة ، فسماها رسول الله : ميمونة.

عن يزيد بن الأصم : أن ميمونة حلقت رأسها في إحرامها، فماتت ورأسها محمّم أي : مُسود بسبب نبات الشعر بعد الحلق ، وفي حديث أنس :كان إذا حمّم رأسه بمكة خرج واعتمر ، أي اسود بعد الحلق بنبات الشعر . ولعل ميمونة لم يبلغها رضي الله عنها أن المرأة لا تحلق رأسها في الحج بل تقصر.

وقال خليفة : توفيت سنة إحدى وخمسين . رضي الله عنها .(١)

---

(١) مصادر القصة : الطبقات الكبرى (١٣٢/٨) ، الاستيعاب (٣٩١/٤) ، الإصابة (٣٩٧/٤) .

-١٤٨-

السيدة نفيسة بنت الحسن

بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي الطالب.

قال المقريزي: إن أمها أم ولد تزوجها إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر فولدت له ولدين: القاسم وأم كلثوم و لم يعقبا وبعده تزوجت بالحسن بن زيد فولدت له نفيسة، وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه فيقال: إنها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار فقيل لها: ألا ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره، وكانت لا تأكل إلا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة وذكر أن الإمام الشافعي -رضي الله عنه- زارها من وراء الحجاب وقال لها: ادعي لي وكان (ب) صحبته عبد الله بن عبد الحكم وماتت -رضي الله عنها- بعد موت الإمام الشافعي بأربع سنين. وقيل: إنها كانت فيمن صلى على الإمام الشافعي -رضي الله عنه- وقد توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين للهجرة ودفنت في منزلها المعروف بخط درب السباع بمصر ويقال: إنها حفرت قبرها هذا وقرأت فيه مائة وسبعين ختمة وإنها لما احتضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت في حزبها إلى قوله تعالى: (قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة) (الأنعام: ١٢) ففاضت نفسها مع قوله تعالى: (الرحمة) (الأنعام: ١٢) ، وكان سبب دخولها إلى مصر كما قال ابن خلكان: إنها دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر وقيل: مع أبيها الحسن، وإنها لما استقر بها المقام ودخل الشافعي إلى مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو إلى الآن باق كما كان، ولما توفي الإمام الشافعي أدخلت

جنازته إليها وصلت عليه في دارها. ولما ماتت عزم زوجها على حملها إلى المدينة فسأله المصريون بقاءها عندهم ودفنت في الموضع المعروف بها الآن.

وقال الشيخ محمد الصبان في كتابه إسعاف الراغبين إن السيدة نفيسة -رضي الله عنها- ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة في العبادة والزهد وكانت ذات مال ولما ورد الشافعي إلى مصر كانت

تحسن إليه وربما صلى بها في رمضان. ولما قدمت مصر كانت بها بنت عمها السيدة سكينة ولها بها الشهرة التامة فخلعت عليها الشهرة، فصار للسيدة نفيسة القبول التام بين الخاص والعام، وماتت وهي صائمة فألزموها الفطر فقالت: وا عجباه لي منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة أأفطر الآن هذا لا يكون؟! ثم قرأت سورة الأنعام. فلما وصلت إلى قوله تعالى: (لهم دار السلم عند ربهم) (الأنعام: ١٢٧) ماتت ودفنت بمدفنها المشهور الآن.

وقال السخاوي في كتاب المزارات إن سبب قدوم السيدة نفيسة إلى مصر أنها حجت ثلاثين حجة، وفي الحجة الأخيرة توجهت مع زوجها إلى بيت المقدس، فزارت قبر الخليل إبراهيم، وأتت مع زوجها مصر في رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة وكان لقدومها إلى مصر أمر عظيم تلقاها الرجال والنساء من العريش، ونزلت أولا عند كبير التجار بمصر وهو جمال الدين عبد الله بن الجصاص وكان من أصحاب المعروف والبر، فأقامت عنده شهورا يأتي إليها الناس من سائر الآفاق للتبرك، ثم تحولت إلى مكانها المدفونة به وهبه لها أمير مصر السري بن الحكم وسبب ذلك أن بنتا يهودية زمنة تركتها أمها عندها وذهبت إلى الحمام فقدر الله شفاءها على يد السيدة -رضي الله عنها- وعند ذلك أسلمت البنت وأبواها وجماعة من الجيران يبلغ عددهم نحو السبعين نفرا، ولما شاع ذلك لم يبق أحد في مصر، إلا قصد زيارتها وكثر الناس على بابها فطلبت الرحيل إلى بلاد الحجاز فشق

على أهل مصر ذلك وسألوها الإقامة فأبت، فركب إليها السري بن الحكم وسألها الإقامة فقالت: إني امرأة ضعيفة وقد شغلوني عن عبادة ربي ومكاني قد ضاق بهذا الجمع الكثيف. فقال لها السري: أما ضيق المكان فإن لي دارا واسعة بدرب السباع فأشهد الله أني قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها مني، وأما الجموع الوافرة فقرري معهم أن يكون ذلك يومين في كل أسبوع وباقي أيامك في خدمة مولاك فجعلت لهم السبت ويوم الأربعاء إلى أن توفيت.(١)

(١) مصادر القصة : : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٥٢١ ، فوات الوفيات ٢: ٣١٠ ووفيات الأعيان ٢: ١٦٩ وخطط مبارك ٥: ١٣٥

-١٤٩-

هاجر زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام

كانت جارية مصرية ذات هيئة جميلة قد وهبها فرعون ملك مصر لسارة زوجة إبراهيم -عليه السلام- حينما كانت عنده وقد وهبتها سارة لإبراهيم -عليه السلام- وقالت له: إني أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها ولدا فتزوجها إبراهيم وقد رزقه الله منها إسماعيل -عليه السلام- وذهب بهما إلى مكة لسبب أن إسحاق بن سارة اقتتل مع إسماعيل ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت: لا تساكنيني في بلد وأمرت إبراهيم بعزلهما عنها وقد أوحى الله إليه أن يأتي بهما مكة ففعل وأنزلهما موضع الحجر وأمرهما أن تتخذ عريشا ثم قال: (ربنا) (إبراهيم: ٣٧) (إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) (إبراهيم: ٣٧) ثم انصرف فاتبعته هاجر فقالت: إلى من تكلنا؟ فجعل لا يرد عليها شيئاً فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا. ثم انصرف راجعاً إلى الشام وكان مع هاجر قربة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي، فنظرت إلى الجبال التي أدنى من الأرض فصعدت إلى الصفا وتسمعت لعلها تسمع صوتا أو ترى أنيسا فلم تسمع شيئا و لم تر أحدا، ثم إنها سمعت أصوات سباع الوادي نحو إسماعيل فأقبلت إليه بسرعة لتؤنسه، ثم إنها سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تدري السعي كالإنسان المجهد فهي أول من سعى بين الصفا والمروة. ثم صعدت المروة فسمعت صوتا كالإنسان الذي يكذب سمعه منه حتى استيقنت وجعلت تدعو اسمع اييل -يعني يا الله- قد أسمعتني صوتا فأغثني فقد هلكت ومن معي فإذا هي بجبريل -عليه السلام- فقال لها: من أنت؟

فقالت: سرية إبراهيم -عليه السلام- تركني ههنا. قال: وإلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله تعالى. قال: فقد وكلكما إلى كاف ثم جاء بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما إلى موضع "زمزم" فضرب بقدمه ففارت عين (فلذلك يقال: لزمزم ركضة جبريل عليه السلام) .

فلما نبع الماء أخذت هاجر قربة لها وجعلت تسقى فيها تدخره فقال لها جبريل -عليه السلام-: إنها روى. وجعلت أم إسماعيل تجعلها بئرا بحيث لا يخرج منها الماء إلى خارجها خوفا من نفادها. فقال لها جبريل: لا تخافي الظمأ على أهل هذه البلدة فإنها عين لشرب ضيفان الله تعالى. وقال لها: أما إن أبا هذا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه. قالوا: ومرت رفقة من "جرهم" تريد الشأم فرأوا الطير على الجبل فقالوا: إن هذا الطير لحائم على ماء فأشرفوا فإذا هم سكان مكة حتى شب إسماعيل وماتت هاجر قبل سيدتها سارة ودفنت في الحجز.

-١٥٠-

نائلة بنت الفرافصة

في عصر تجلت فيه شمس الإسلام باسقة...تجوب الأصقاع وترافق الحشود المؤمنة لنشر دين الله ... تضحك فرحة مستبشرة وهي ترى أشعتها ساطعة من برقة غرباً إلى سيحون شرقاً ... والأصوات المجاهدة تنشد بالحق ليصل الصوت إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فتشمخ بعز من بارئها وسيف ذي النورين يقود أمة التوحيد ...يزيدها وهجاً بنوره ومطايا الخير الذي حمله حين سقى المسلمين من بئر رومة وجهز جيش العسرة ...

لكن هذه الشمس الشامخة غابت في أواخر عهده ..حين اعترضتها غيوم سوداء أمطرت سجيلاً على الجموع المسلمة فاختلط الحابل بالنابل.. ولم تكن أعين يهود بعيدة عن تلك الغيمة فقد كانوا ـــ لعنهم الله ـــ سبباً في إشعالها ...حين حرك ابن سبأ خيوط المؤامرة من وراء الأستار ـــ كعادتهم ـــ وعاث في الجموع من وراء حجاب يبطن الشرّ ويظهر الولاء ...حتى وصلت الغيوم السوداء إلى سماء مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتفرغ حمولتها في فتنة شعواء عصفت بأمة الإسلام ردحاً من الزمان ....

حاول ذو النورين رضي الله عنه منع غبار النقع الأسود من الالتفاف حول شمس الإسلام لكن جموع الغوغاء من ضعاف النفوس المحاصرين لداره أبت إلا صب النار على الهجير..

في دار عثمان بن عفان كانت تسكن امرأة من بني كلب..أحد أشهر بطون العرب في الفصاحة والبلاغة.. ولم تكن فصاحة قومها تقتصر على رجالهم بل شملت نسائهم

أيضاً.. خطبها عثمان رضي الله عنه فحملها أهلها له ، وحين اجتمع بها رفع قلنسوته عن رأسه فظهر الصلع فيه فقال لها : يا بنت الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعي ! فإن تحته ما تحبين. فأمسكت عن الكلام .. فبادرها بقوله : إما تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك.. فقالت : أما ما ذكرت من الصلع فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلع، وأما قولك: إما أن تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك، فوالله إن ما تجشمته من قطع الصحراء الواسعة والسفر الطويل، لأبعد مما بيني وبينك، بل أقوم إليك.

فقامت وجلست إلى جواره..فمسح على رأسها ودعا لها بالبركة ، فبوركت بفضل من الله عز وجل.. فقد جعل كرم عثمان وحنانه في قلبها مودة ورحمة له.. تهبها المرأة المسلمة لزوجها حين يزرع الزوج نبتة الحب في قلبها ..

أنجبت نائلة بنت الفرافصة لعثمان بنتاً وقيل بنتاً وولداً ... وكانت له طيلة حياتها معه الزوجة المطيعة الحانية..حتى وصل الطوفان إلى المدينة قادماً من البصرة والفسطاط.. يحمل معه آلافاً من الغوغاء الذين تأبطوا الشر بسيوفهم يريدون قتل الخليفة عثمان بن عفان ...فحاصروا بيته ونائلة معه تشد من عزيمته وتؤنس وحدته..حتى إذا خشي الرعاع من المحاصرين قدوم جيش من الشام لإنقاذ الخليفة المحاصر.. قفزوا على داره لا يألون لبيته حرمة ولا لصحبته مكانة ولا لفضائله ذكراً في نفوسهم الآثمة فقرروا قتله وهو صائم يقرأ القرآن ...عندها أرادت نائلة أن تمنع دخولهم إلى حرمة منزلها فنشرت شعرها ظناً منها أن في قلوبهم بضعاً من إيمان وغض طرف يصون عليهم دينهم ....

لكن عثمان رضي الله عنه منعها في قوله لها : خذي خمارك فلعمري لدخولهم عليّ أهون من حرمة شعرك ...فلم يكن من نائلة وهي ترى السيوف تقترب من زوجها

الحبيب إلا وضع يديها لتتقي السيف عن عثمان فقطع السيف أصابعها ومضى في بطن الخليفة الراشدي الثالث.. وزوجته تحاول صد السيوف عن جسده حتى قتل..

فخرجت نائلة تجمع شعث همومها في موكب دفنه عند أطراف البقيع حيث وري الثرى رضي الله عنه وأرضاه وكفاه ببطشه ما فعلته الغوغاء فيه.

لا أود الخوض في حديث الفتنة الكبرى هنا رغم أنها أم الفتن التي انهالت على أمة الإسلام حتى يومنا هذا ولكني أردت أن أبحث في موقف امرأة لم تكن من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ولكنها نهلت من معين أحد صحابته كزوجة لعثمان وحبيبة له ...كانت بجانبه يوم شدته ودافعت عنه بجسدها حتى قطعت أصابعها..لأقف بكم أيها القراء الأعزاء أمام صورة لحب قلّ نظيره في زماننا بل ووفاء نادرٍ لزوج حبيب بقي خالداً في ذكرى نائلة بنت الفرافصة.. إذ بعد وفاة عثمان خطبها معاوية بن أبي سفيان فرفضته وقالت حين سئلت عن سبب رفضها قولاً شهيراً : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وإني خفت أن يبلى حزني على عثمان فيطلع مني رجل على ما اطلع عثمان وذلك مالا يكون أبداً..

فأين نحن من نائلة بنت الفرافصة تلميذة مدرسة عثمان بن عفان..التي تعلمت فيها حب الزوج حين أحبها فوهبته حياتها حياً وميتاً.. ودافعت عنه بجسدها حين داهمه الخطر..

لن أقول في قصة نائلة : أيتها المرأة المسلمة أحبي زوجك ليحبك !!!! ولكني سأوجه خطابي للرجل فأقول له : يا أيها الرجل أحبّ زوجتك لتحبك وتعطيك ماء عينيها..

رحم الله عثمان بما أحب نائلة .. ورحم الله نائلة في إخلاصها لعثمان .(١)

(١) مصادر القصة : نسب قريش ١٠٥، ١٨٠ ، نساء يضرب بهن المثل لمنصور ين ناصر العواجي: ص٧٦ ، طبقات ابن سعد ٨: ٣٥٥